فصول ودراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية بوادي سوف

1962-1854



الأستاذ الدكتور علي غنابزية
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة الوادي - الجزائر

فصول ودراسات
في تاريخ الحركة الوطنية
والثورة التحريرية
بوادي سوف

1962-1854



الأستاذ الدكتور علي غنابزية
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة الوادي - الجزائر

عنوان الكتاب

فصول ودراسات في تاريخ الحركة الوطنية والثورة التحريرية بوادي سوف

1962-1854

الأستاذ الدكتور علي غنابزية
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
جامعة الوادي - الجزائر

الطبعة الأولى



ردمك
978-9931-273-04-2

الإيداع القانوني:
مـــاي 2022

بمساهمة الجمعية التاريخية أول نوفمبر 1954 بولاية الوادي


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي هذه الفصول التاريخية

إلى مجتمع وادي سوف قاطبة

- إلى الأبناء الأوفياء من رجال الحركة الوطنية.
- إلى الأبطال الأشاوس من مجاهدي الثورة التحريرية.

الأستاذ الدكتور علي غنابزية

المقـدمة

أظهرت الدراسات التاريخية قدم الكتابة في تاريخ المدن والقرى في بلاد العرب قبل الإسلام، وكانت بدافع قومي، وغيرة تغذيها الدوافع الشخصية، وبعد سطوع فجر الإسلام انتشرت تلك الكتابات بشكل أوسع في المشرق والمغرب، وتهذبت بروح العقيدة والشريعة، وحينئذ اتجه علماء التاريخ والسير إلى تسجيل الوقائع، ووصف الحياة الاجتماعية والفكرية، وإبراز المآثر، وتخليد المواقف في صفحات كتبهم، وسارت الأمم والشعوب في أوربا بعد نهضتها في نفس الطريق، مخلدة حياة مدنها وقراها.

وشهدت بلاد المغرب العربي حركة علمية في التاريخ الوطني، حمل لواءها العلامة ابن خلدون، بوضع الأسس العلمية، واقتفى أثره في وادي سوف الشيخ العدواني، بوضع الأسس لتاريخ سوف ومحيطه الإقليمي، والذي برز في صورة ثانية في كتاب الصروف لابن عامر في بداية القرن العشرين، وظهرت بعده كتابات متناثرة، ودراسات أكاديمية معمقة، ومنها هذه الباكورة، حول تاريخ وادي سوف السياسي والعسكري.

إن أحوال الزمان تتعاقب على المرء في الأيام والشهور، وتمر في ساحة عمره السنوات والعقود، وتتفاوت أعماله خلالها بين العمل العزيز الساطع، وبين النشاط القليل المحتشم. والباحث الأكاديمي في ميدانه، يحتم عليه الوسط العلمي، والمحيط الثقافي، كتابة بحوث، وإعداد دراسات في الملتقيات والندوات والأيام الدراسية، أو في نطاق فرق البحث الجماعية، أو المقالات المنشورة في المجلات والصحف الدوارة. وكل الأعمال السابقة الذكر، لها أهميتها، فعندما جمعت ونسقت، شكلت لوحة علمية، وهي تقدم فوائد جمة، وترصد تراثا، وتثمن جهودا مبذولة من قبل كاتبها.

وعندما أدركت هذا البعد العلمي، قمت بجمع الفصول والدراسات الموزعة في حقول عديدة مما كتبته في مدة ثلاثة عقود، وبدأت في هذه السلسلة - بهذا الكتاب الأول - بالجانب السياسي والعسكري، انطلاقا من الحركة الوطنية وانتهاء بالثورة

التحريرية، في إقليم وادي سوف العريق خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ونشاط المجتمع في مقاومة الأساليب الاستعمارية، والمخططات الفرنسية. وقام - الفرد السوفي - بتلك الأعمال الجليلة، التي لم تثنه عن ركوب الصعاب، ولم تفل في عضده عن تحمل المشاق، وكما صارع الرمال العاتية، والرياح العاصفة، واجه المستعمر الغاشم بكل قوة وشجاعة، واستمات في الدفاع عن مقومات شخصيته، وجاهد بصدق من أجل تحرير وطنه.

أنجزت هذه الدراسات، وفق الأسلوب العلمي، والمنهج المعتمد على التوثيق، والنقد والتحليل، مستندا إلى الوثائق الارشيفية، التي زخرت بها دور الأرشيف داخل البلاد وخارجها ولاسيما في تونس وأرشيف ما وراء البحار بفرنسا، فضلا على الوثائق المحلية، والشهادات الحية والمذكرات الشخصية التي قدمت مادة غنية بالمعلومات والمعارف، والتي أفادت البحوث في الإثراء والشرح والتفسير، وتبرير القضايا الشائكة والمعضلات العالقة في ثنايا التاريخ.

لقد استوعبت هذه الفصول البحثية والدراسات التاريخية، طرفي المعادلة السياسية والعسكرية، فطرحت فيها العديد من القضايا والأفكار، التي شع نورها وتجلى في البعد الوطني والعمق الاستراتيجي لوادي سوف في منطقة المغرب العربي بالإشعاعات التالية:

-القسم الأول تركز في تاريخ الحركة الوطنية، بداية من الدراسة الأولى حول الجانب العسكري المحض، وتمثل في المقاومة الشعبية المسلحة، والتي دامت نحو ثلاثة عقود (1854-1872)، وعبرت عن الرفض الشعبي للاستعمار ومقاومته إلى آخر نفس. كما ظهرت المنطقة بالمقاومة السياسية، والتي كسرت الصمت، وتحدت الخوف، وأثبتت نبض الحياة الوطنية في النفوس، في تلك الاحتجاجات التي قام بها شيوخ الزاوية القادرية بالوادي، وقادها الشيخ الهاشمي الشريف 1918، ونجله الشيخ عبد العزيز الشريف 1938، وكلفتهم تلك الحركات، السجن والنفي والتشريد. وهي لعمري انتفاضات قلما نجد لها مثيلا في تاريخ الصحراء في تلك الاثناء.

كما تغلغلت في مجتمع وادي سوف، الأفكار الناضجة التي تنم عن الوعي، وأبرزها فكرة الجامعة الإسلامية، والتي تلقتها بعض الفئات بصدر رحب، زعزع مضجع الاستعمار، والذي بادر بالتصريح بانتهاء عصر الخلافة الإسلامية، مذكرا بذلك أعوانه الذين – رغم ولائهم – بقوا متمسكين بدينهم وهويتهم. بل رأى كل نشاط صوفي مظهري، وعاء للدين الذي هو أول خطر يداهم صروحه المهددة بالانهيار. كما شهدت فترة الثلاثينيات، نشاطا متميزا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي شارك علماء وادي سوف في تأسيسها، وحضر بعضهم مؤتمرها الأول. والجدير بالذكر أن جمعية العلماء بوادي سوف، تميزت عن غيرها من مناطق الوطن، لأن الجمعية ازدهرت في رحاب الزاوية القادرية والتي اتخذت من مقرها قلعة للعلم والاصلاح، بزعامة الشيخ عبد العزيز الشريف الذي جسد التحدي والعنفوان. وكان الثمن إجهاض مشروعه الإصلاحي.

ورغم الصدمات التي تلقاها شيوخ الجمعية وأتباعهم، ظل فكرها يسري، ومهد للثورة التحريرية، عندما بادر الجيل الذي عاش أحداث الثلاثينيات، بتأسيس الخلايا الأولى لحزب الشعب، وبرزت من خلاله المنظمة الخاصة، والتي حملت على عاتقها مهمة الاعداد والتحضير للعمل المسلح. بداية من جمع السلاح، والتدريب على فنون القتال. وتبوأت وادي سوف مكانة استراتيجية، واضطلعت بمهام كبرى في جمع السلاح من الجارتين تونس وليبيا، وترحيله نحو الشمال، والذي كان وقوداً للثورة، والتي انطلقت شرارتها الأولى من الأوراس بفضل السلاح الذي جلبه أبطال وادي سوف الأوفياء. تلك هي الدراسات التي هيأت للثورة في كامل أرجاء المنطقة.

- أما القسم الثاني فقد تركز في تاريخ الثورة التحريرية، وتم استهلاله بالدراسة الأولى حول احتضان وادي سوف للثورة، عبر مراحلها المختلفة، وفي نطاق العمل السياسي الإداري، مع خوض المعارك، وتنظيم المجتمع في إطار المنظمة السرية المساندة للثورة ماديا ومعنويا. ورغم الحصار المضروب على المنطقة، عرفت وادي سوف معارك

كبرى، بالقرب من النسيج العمراني، وخصص هذا البحث، دراسة لكل معركة من المعارك الخمس الكبرى، وكان أولها معركة حاسي خليفة يوم 17 نوفمبر 1954، وهي أول معارك الثورة التحريرية على مستوى القطر، ثم تلتها معركة صحن الرتم، ومعركة غوط شيكة، وكلها في المحور الشمالي لوادي سوف. أما جنوبا فكانت المعارك في ضواحي الرباح التي اندلعت بها معركة الدبيديبي، ومعركة هود سلطان بتغزوت، وهي آخر المعارك القريبة من العمران.

وكان النشاط العسكري المتميز لوادي سوف في جيش الحدود، الذي قاده أبناء سوف، بداية من القائد الجيلاني بن عمر، والطالب العربي قمودي، وتواصلت الدوريات العسكرية، وخاض العديد من المعارك الفاصلة، وكان أغلب أفراده من أبناء سوف، حتى أطلق عليه جيش السوافة. وكان للجيش انعكاساته على الثورة عموما في المناطق الحدودية مع تونس، في الفترة ما بين 1956-1957. وهي المرحلة التي تلقت فيها وادي سوف الضربة الموجعة، بالتضييق عليها، ومحاصرتها، وتم قطع السبيل على حركة التنقل نكاية في المجاهدين، والأخطر من ذلك، تمثل في الضربات الثلاث التي أصابتها في مقتل:

- تصفية إدارة عبد الحي وإخوانه في العاصمة تونس، وفسح المجال - في مكانها – إلى لجنة التنسيق والتنفيذ، التي صارت المتحكم والمتآمر، وفق مصالح ضيقة، أبرمت خيوطها مع النظام التونسي الذي نفذ الإقصاء والاعتقال، ووجد المستعمر فرصته في الانتقام والترهيب.

- ارتكاب المستعمر مجازر في رمضان عام 1957، والتي جفف من خلالها منابع الدعم المادي للثورة، ومس المعنويات، وحاول إحباط النفوس على الالتحاق بالثورة، ولكن المجتمع أبطل مخططاتهم، والتي باءت مستقبلا بالفشل الذريع.

- إعدام القائد الطالب العربي قمودي ورفاقه، وسجن جنوده وتشريدهم، وتصفية الجيش من الوجود العسكري. واعتقدت فرنسا، بأعمالها الماكرة، أنها نجحت في

القضاء على الثورة وامتداداتها الجغرافية في وادي سوف، ولكن الخمود الثوري تمهل إلى حين، وإن الغد لناظره قريب.

لقد تجدد النشاط العسكري لمجاهدي وادي سوف، وتبلور بشكل بارز، فيما عرف (جيش الصحراء) ما بين 1958-1962. وكان قائده الحبيب الجراية على دراية بالمخططات الفرنسية، وعلى علم بالتواطؤ التونسي، الذي استفاد من البترول الجزائري، عندا أعطيت تونس حصتها من (الخبز المسموم) كما وصفته أدبيات الثورة في صحافتها. وكان القائد وأبطال جيشه الفتي يخوضون المعارك في الشريط الحدودي من بوعروة وحتى بير رومان، في مرحلته الأولى (مارس إلى نوفمبر 1959)، ورغم تشتت الجيش وانقسامه إلى طرفين، فقد حقق أهدافه الكبرى، وواصل بعض أفراده انطلاقا من الأراضي الليبية، واستمروا في حراسة الحدود، واثبات الوجود إلى فيفري 1962، حتى تبقى الصحراء جزائرية. وكان لجيش السوافة عموما، دوره الفعال في منع انشطار الجنوب الجزائري عن الشمال، مصرا على بقاء الجزائر واحدة مُوحدَةً جغرافيا، ومجتمعة على كلمة سواء، ومُوحِّدةً إيمانيا.

ولا يمكن أن ننسى جبهات القتال الأخرى، التي صنع فيها أبناء وادي سوف مجداً من الجهاد والاستشهاد في كامل ربوع الوطن، وفي الولايات التاريخية، في ربوع الجزائر الشاسعة، بداية من الاوراس، وخوضهم المعارك التاريخية، وفي الشمال القسنطيني ومشاركتهم في أحداث 20 أوت 1955. وتبقى الولاية السادسة معبرة عن دورهم في الوصول إلى مراكز قيادية مع سي الحواس، ومشاركتهم في معامع القتال، إضافة إلى الإسناد المادي من خلال خلايا التنظيم المدني. ولم يتوقف نشاطهم داخل الوطن، بل تعداه إلى الولاية السابعة في دار المستعمر وعاصمته ومدنه. وحيثما وجد العمال السوافة، كان لهم نشاطهم، وسجلوا أسماء الشهداء بالدم، حتى لا يبقى أدنى شك في جهادهم الخالد. وهكذا بقيت أسماؤهم في كل تلك المواطن شاهدة على نضالهم وجهادهم، نقرؤها صباح مساء في لافتات المدارس والشوارع والجامعات.

والجدير بالذكر والتنويه أن هذه الدراسات المتخصصة في التاريخ المحلي تمثل حاليا ضرورة ملحة لكتابة التاريخ الوطني الجزائري، لأنها دراسات تتكامل مع أخواتها في مختلف جهات القطر فترسم معلما للوحدة الوطنية والفكرية للمجتمع الجزائري، الذي يتطلع للكشف عن تاريخه الزاخر بالأمجاد، والتي ساهمت في البعد الحضاري العربي الإسلامي، وهو مقصد هذه الفصول المشعة بنور الدراسات العلمية.

نتمنى لهذه الدراسات النفع لكل القراء، ونأمل أن تفتح فضاء للدراسات العلمية المعمقة، وتساهم في وضع لبنة قوية في صرح التاريخ الوطني.

والله ولي التوفيق.

الأستاذ الدكتور علي غنابزية

الوادي في: 09 مارس 2022م

06 شعبان 1443هـ

القسم الأول

الحركة الوطنية ونضالاتها السياسية بوادي سوف

الحركة الوطنية وخصائصها بوادي سوف

تقوم سياسات الأمم على أساسات وقواعد، تحفظ أمنها، وتحمي ذمارها، من كل الغزاة والاعداء المتربصين، وأخطرهم الضعف والتخلف، والجهل والأمية، والانغماس في الشهوات على حساب الأخلاق الفاضلة، مع ذبح المبادئ على ناصية الفساد والانحلال.

والذي حدث في الجزائر في جويلية 1830، كان نكسة كبرى، سببها تضخم الواقع المرير، والذي ظل ينخر كالسوس البطيء في جسدها المترهل، حتى تركها لقمة سائغة، عندما فقدت مناعتها، وهبت عليها رياح الغزو الأجنبي الصليبي، بداية بالإسبان في حرب الثلاثمائة سنة، والتي تجاوزتها بشدة، ولكن الهجمة الفرنسية نجحت في تحقيق هدفها، فأحكمت سيطرتها على البلاد، وفرضت سيادتها على العباد، الذين استحالوا إلى عبيد في أرضهم.

ولعل قارئ التاريخ يتأمل في حالة الشعب الجزائري المقهور، وله الحق أن يتساءل، هل استكان واستسلم كلية لعدوه، والقى سلاحه جانبا، وصمت آذانه، وأخرس لسانه، وشلت عنده حركة التغيير، وألقى عصا الجد والاجتهاد؟

وحقيقة الأمر غير ذلك، لأن الشعب - مهما بلغ من الضعف والتخلف – بقيت قوته كامنة، ترفض الظلم، وتقاوم الضيم وترد كيد الغازي، وهذا ما عرف عن الشعب الجزائري الأبي، منذ عصور التاريخ القديم، بمواجهة الغزاة في أرضه من رومان ووندال وبيزنطيين، وفي المقابل فتح الامازيغ الأحرار، الأذرع للمسلمين، بل تعربوا بلسانهم بدون حرج، واعتزوا بانتمائهم للدين القويم، الذي حافظ على الهوية الامازيغية، وتعاون أبناء يعرب ومازيغ على مر الدهور في مواجهة العدو، ومؤازرة الصديق. واستمر هذا التعاون والاعتزاز، عندما استنجدوا بإخوانهم في العقيدة، وهم الاتراك العثمانيون، ولم يفرقوا بينهم وبين الذين سبقوا من الدول الاصيلة التي حكمت البلاد،

سواء كانت عربية الأصل، أو أمازيغية المشرب، بداية من الرستميين، وإلى زمن الزيانيين.

والجدير بالذكر أن دخول العثمانيين إلى الجزائر مبكراً، مثل أكبر حماية للوطن، بل تحولوا إلى سادة بلدان المغرب الإسلامي، بداية من الجزائر، ثم تونس وطرابلس الغرب، ومثلت الجزائر قطب الرحا، وقامت بدور السيادة والريادة للجميع عندما كان خير الدين برباروس الحاكم العام لكل الايالات، وتحولت الجزائر إلى دار الجهاد، يحسب لها سكان الضفة الشمالية للمتوسط ألف حساب، ويقدمون قربان الطاعة والولاء، ويتحببون لها بربط العلاقات الودية، والمعاملات التجارية.

ولكن التدهور الذي مس الدولة العثمانية انعكس سلبا على الجزائر، ففقدت حيويتها، واستسلمت للضعف، ولاسيما الضعف العسكري والتكتيكي الذي رجح كفة الفرنسيين، وبرز تفوقهم، ونجم عنه الاحتلال. ولكن سياسة الرفض، والتصدي للاحتلال، تجلت في مواجهة الغزاة بدون هوادة، بل بقوة واستماتة، منذ معركة اسطوالي في جوان 1830، وقدموا فيها الشهداء، ولكن الغلبة كانت للأقوى، والأكثر تنظيما، والأشد استعدادا واهتماما، وهذا توفر للفرنسيين فقط؟ فماذا توفر للجزائريين بعد ذلك؟ والجواب سهل ميسور، هو تاريخ جديد، ملخصه « الحركة الوطنية الجزائرية».

- **مفهوم الحركة الوطنية وخصائصها:**

الحركة الوطنية في عمقها ومفهومها الراسخ، هي روح الاعتزاز بالوطن، وهي روح سارية في نفوس الجزائريين، وتبلورت في سياسة الرفض والمقاومة والتصدي للاحتلال الفرنسي، بشتى الطرق والوسائل، بداية من حمل السلاح والتفاني في القتال، أو بالكلمة الصادحة المدوية، في شكل الخطب والشعر والنثر. أو من خلال التجمعات الاحتجاجية، والتنظيمات المهيكلة، في نطاق الجمعيات والأحزاب والنوادي. والمدارس الحرة والكتاتيب القرآنية، التي حافظت على اللغة العربية والعقيدة

الإسلامية. فضلا عن النشاطات الاصيلة المستمرة في الحفاظ على الهوية في محاضنها بالمساجد والزوايا، لكونها المحرك الأكبر، في مواجهة غطرسة وظلم الاستعمار. واستمرت الحركة بكل ثقة، وعمل متواصل، مدة قرن وربع، والذي خلف حصيلة كبرى، وضريبة للدم ثقيلة، ولكنها عبرت عن الوطنية الصادقة، والتي أثمرت بزوغ فجر الحرية والاستقلال.

-الحركة الوطنية في ظل الحكم العسكري:

لما بسطت فرنسا سيطرتها على الجزائر الشمالية، وتوغل جيشها في أطرافها، فرض وجوده بالقوة، وحاول القضاء على بذور المقاومة المستميتة، والتي اصطدم بها دون سابق إنذار. برزت بوادر المقاومة، والتي ساهمت في تأخير توغل القوات الفرنسية، وعرقلت تغلغل الجيش في أعماق الصحراء الجنوبية، وتطلب الأمر جهودا مضنية، تحمل فيها الجيش الفرنسي المآسي، وخاض مغامرات مجهولة العواقب، ودامت صراعاته نحو خمسة عقود، وحينها تأكدت فرنسا من أمرين:

أولهما: الاستعانة بالخونة، والانتهازيين والعملاء، وتجنيد الأعوان المخلصين، وهم الذين مهدوا لها السبيل، واخترقوا المجتمع، وناصروا المحتل الغاصب، ومكنوه من التوغل بسهولة، وساعدوه على استكمال احتلال البلاد.

والامر الثاني: هو فرض الحكم العسكري في الصحراء، لأن الجيش الفرنسي الذي خاض المعارك، هو نفسه الذي عين جنوده وضباطه لإدارة مناطق الجنوب، ومنها منطقة وادي سوف التي حكمت عسكريا وبدون هوادة، وكان هذا الحكم عندهم من الضرورة القصوى، لعدة اعتبارات:

- شساعة الصحراء، وامتداد عناصر المقاومة، وتحولت المنطقة من الزاب ووادي سوف وعين صالح، ومن الأغواط وورقلة وحتى الحدود الجزائرية المحاذية لبلاد الجريد، كلها إلى منطقة مشتعلة نارا تلظى على الفرنسيين وأعوانهم، من قياد حكموا

بالوكالة عن الفرنسيين. ولكن المقاومة تمكنت من إزاحة بعضهم، ونصبوا مكانهم قادة وطنيين.

- استمرار القتل والاغتيال في صفوف خدام فرنسا وأعوانها المجندين، والذي اضطرها إلى استقدام المزيد من جيوشها الجرارة، واشتعلت معارك المواجهة الضارية، والتي تفوقت فيها القوات الفرنسية، نظرا لتنظيمها، وامتلاكها ترسانة قوية من السلاح والعتاد، وتمتعها باستراتيجية مدروسة في فنون القتال، وتمتعها بالإمكانيات البشرية النوعية، والامكانيات اللوجستية المتعددة. ورغم ذلك توصلت المقاومة إلى إحداث شرخ كبير في كيان الجيش الفرنسي، ولكن كانت له الغلبة، ولاسيما سنة 1872 عندما ألقى القبض على بطل المقاومة الشريف محمد التومي بوشوشة، وعلى إثره كان السعي الفرنسي هو تحقيق أمرين أساسيين:

- تنظيم المنطقة إداريا تحت الحكم العسكري، وتأسيس ملحقات عسكرية في وادي ريغ وقاعدته تقرت، وفي وادي سوف وقاعدته مدينة الوادي، واستطاعت تلك الملحقات أن ترصد وتتابع الحركة الوطنية بكل فصائلها، ونشاطات أفرادها، والوقوف في وجهها البارز(المقاومة الشعبية المسلحة) مع ملاحقة فلولها، وتضييق حركة التنقل والتفاعل الشعبي.

- تمكين الجيش الفرنسي من الاستقرار في ثكناته ولاسيما في شرق وادي سوف المحاذية للجنوب التونسي، لأن تونس قبل حلول الحماية الفرنسية، كانت الملجأ الآمن للمقاومة من جهة، وتخوفا من تعاون المقاومة في البلدين، كثفت جهودها الأمنية، ونشرت قواتها العسكرية، وعددت نقاط المراقبة، بحفر الآبار، وبناء الأبراج العسكرية، ووضعت المعالم التي سهلت مهمة التنقل للقوات الفرنسية، مع تأمين وجودها. والتفرق للمراقبة المستمرة للحركة الوطنية بوادي سوف.

- **مميزات الحركة الوطنية بوادي سوف:**

لعل الميقات الزمني للحركة الوطنية بوادي سوف، يبرز جليا في الفترة الممتدة ما

بين (1854 - 1954)، والتي كانت الثورة التحريرية هي المتوجة لثمارها. ويمكن الوقوف عند أهم عناصر ومميزات الحركة الوطنية بوادي سوف:

- النشاط العسكري الذي بدأ منذ مشاركة الابطال الأشاوس من أهل سوف منذ 29 نوفمبر 1854 في معركة المقارين في منطقة تقرت، ومثلت عناصر وادي سوف جيش النجدة، والذي تصدى مع أهل وادي ريغ للقوات الفرنسية الغازية، التي عزمت على اقتحام الصحراء الجنوبية الشرقية، واحتلالها. وكانت معركة المقارين أول غزو فعال، صمدت القوات المشتركة في بادئ الأمر، ولكن قوات العدو كانت أكبر، فتغلبت في الجولة الأولى، وواصلت تغلغلها، عندما اجتاحت كتائب الضابط ديفو الصحراء ووصلت إلى وادي سوف، وتصدى لها السكان بقوة على مشارف البلاد، بما توفر لهم من قوة، مع أن إمكانياتهم غير متكافئة، ولكنها خلدت الرفض، وأبرزت عدم الخنوع الطوعي للغزاة المحتلين، وبعد جهد جهيد وفق قاعدة(مكره اخاك لا بطل).

- المناوشات بين السكان والقياد الذين نصبتهم فرنسا حكاما على وادي سوف، وتعداه إلى اغتيال الخونة من أعوان المستعمر، مثل عمار التارزي، والقايد العربي المملوك، ومطاردة علي باي الذي حكم وادي سوف نحو عقدين من الزمن.

- ممارسة المعارضة للسياسة الفرنسية، وهو شأن لا يسمح به في ظل الحكم العسكري الفرنسي، لأن كل القرارات الفرنسية ملزمة التنفيذ، وبدون معارضة تذكر، ومن تسول له نفسه معارضة السياسة المحلية، يكون مصيره السجن والتعذيب، أو القتل والتشريد. ورغم التضييق الذي شهدته المنطقة، سجلت وادي سوف احتجاجات متفاوتة القوة، على سياسة التجنيد الاجباري سنة 1918، وقادتها الزاوية القادرية خفية، وترتب عليها محناً كبيرة.

- محاولة فك الحصار على العمل السياسي، والذي اقتضت قوانين الملحقة العسكرية منع وتحريم أي نشاط خارج نطاق الأوامر الفرنسية، ولكن من صفوف الطريقة

القادرية، ظهرت المعارضة، وفيها التحدي الذي رفع لواءه الشيخ عبد العزيز الشريف، والذي تبنى فكر جمعية العلماء، وانتمى إليها، ولأول مرة تلتقي الطرقية مع الحركة الإصلاحية في عمل سياسي فعال ومؤثر لدى الحركة الوطنية. فقد نظم معارضة عنيفة عام 1938، وفتح مدارس إصلاحية بدون ترخيص من السلطات الفرنسية، وتدخل كلها ضمن التحدي السياسي السافر للاستعمار الفرنسي.

- فتح مدارس على نطاق واسع في ربوع سوف وهي المدارس الحرة التي تغذت من نبع جمعية العلماء، واستمر بعضها في خط الجمعية، ولكن بتقية خفية، إلى عهد الثورة التحريرية، وكان لها الفضل في تربية جيل كان وقوداً للثورة وسبباً في استمرارها وقوتها.

- انتشار علماء وادي سوف في أنحاء الوطن، ومثلوا أحسن السفراء، فعلموا في المدارس، واشرفوا على تسيير المساجد، وبث الوعي، وكتبوا في الصحف ما يثلج الصدور، وينمي الروح الوطنية، ونظموا القصائد العصماء، ودبجوا بأقلامهم أحسن المقالات العميقة، وانشأوا الصحف والجرائد السيارة، وخلدوا نشاطهم في مواقفهم النبيلة، فكانوا بحق نبراسا ضمن نشاط الحركة الوطنية.

تلك هي الحركة الوطنية بوادي سوف، رمز العطاء، ونبع النماء، وسبيل العلم، ودرب الجهاد، ومقام البذل من الروح والدم والعمر. وبقي تاريخها خالدا لكل مناضل في صفوفها بداية من الفرد البسيط، والفلاح المخلص الملتزم بالقيم، إلى العالم الجليل في محراب الكلمة الصادقة، التي كانت ثمارها، مرحلة متقدمة للجهاد، سطعت في سماء الثورة التحريرية التي خرجت من رحم الحركة الوطنية الجزائرية والتي تعانقت مع كل المدن والقرى، فعم خيرها الآفاق، وتحقق بفضلها الانعتاق من ربقة الاستعمار.

المقاومة الشعبية بوادي سوف وأثرها على العلاقات
مع الجنوب التونسي1854-1882 [1]

- تمهيد:

مثلت منطقة وادي سوف ملاذاً للمقاومة الشعبية في الجنوب الشرقي منذ وطئت أقدام الفرنسيين الإقليم سنة 1954، إذ التجأ إليها العديد من المقاومين ولاسيما ابن ناصر بن شهرة، ومحمد بن عبد الله، ومحمد التومي بوشوشة، ومحي الدين بن الأمير عبد القادر، وكانت دوافعهم مختلفة، وأبرزها طلب الدعم المادي والبشري، فضلا عن طلب الأمان، واسترجاع الأنفاس، لكسب القوة ومواصلة الكفاح، وربما يتسارع أولئك القادة ويتوغلون في الجنوب التونسي، للمزيد من الأمان. وكانت زاوية نفطة العزوزية مأوى لهم، وهذا ما جعل السلطات الفرنسية تضج منهم، وتحاول صدهم عن ذلك المأوى، ولكن بداية السبعينات كانت حدا فاصلا لهذا المأوى، لأن السلطات الفرنسية تمكنت من محاصرة فلول المقاومة، وبدأت في التخطيط لاحتلال تونس والذي تم سنة 1881، وهذا مكنها من التوغل في الجنوب الشرقي، ولكن إزعاج المقاومة للقادة المحليين من أعوان الاستعمار، عجل باندفاع بجحافل القوات الفرنسية نحو تلك المناطق، وتمت السيطرة على وادي سوف وما جاورها من المناطق الصحراوية سنة 1882.

ويطرح هذا البحث إشكالية جوهرية، حول الأسباب والعوامل التي أخرت الاحتلال النهائي لوادي سوف وبقية المناطق المجاورة لمدة ثلاثة عقود؟ وهل كان للمقاومة الشعبية دخل في تأخير هذا الاحتلال؟ وما هو تأثير المقاومة الشعبية على وادي سوف، والجنوب الشرقي، وبلاد الجريد التونسية؟ وما علاقة التوسع الفرنسي

---

[1] - محاضرة قدمت في الملتقى الوطني الأول بعنوان " المقاومة الشعبية في الصحراء الشرقية للجزائر 1850-1875." والمنعقد بجامعة عمار ثليجي بالأغواط يومي 29 و 30 أفريل2015.

في الصحراء وأثره على المقاومة الشعبية، والعلاقات الشعبية الجزائرية مع الأيالة التونسية؟

1) احـتلال الفرنسيين لبسكرة (1844):

أسند الأمير عبد القادر مقاطعة الزيبان والصحراء الشرقية إلى محمد الصغير بن عبد الرحمان المدعو (أحمد بلحاج)، فقام بنشاط حربي واسع بالتصدي للقوات الفرنسية، وقام بدور سياسي، واهتم بتدعيم سلطة الأمير في الناحية الشرقية، كما راسل الباي التونسي، وسعى لربط الصلات والعلاقات الحسنة بين الأمير وبايات تونس[1]، لأن مقاطعته متاخمة لتونس، وكانت سوف تمثل الحدود الجنوبية الشرقية مع تونس. وبالرغم من الجهود الجبارة التي بذلها فإنه لم يستطع وقف تقدم القوات الفرنسية، وبمساعدة بن قانة دخلت القوات الفرنسية إلى بسكرة في 4 مارس 1844. [2] واحتلتها، وبعد حين أصدر الدوق دومال أمرا تنظيميا عاما يوم 23 ماي 1844، تم بمقتضاه تعيين الرائد توماس قائدا أعلى لدائرة بسكرة وتحت إدارته أربعة مسئولين من الأهالي يعملون في نطاق محدد بمنطقة الزيبان ومنهم شيخ العرب بوعزيز بن قانة الذي عيّن في منصب خليفة في الصحراء. [3]

لقد قاتل محمد الصغير بن عبد الرحمان - بعد سقوط بسكرة - لكنه اضطر في الأخير أن يغادر البلاد متخذا من منطقة سوف ملجأ له، [4] ولكنه لم يتوقف عن المقاومة تحت لواء الأمير حتى بعد استسلام هذا الأخير عام 1847، حيث كان بالحاج يجوب

---

[1] -أنظر: يحي بوعزيز، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 57.

[2] -أنظر: أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992، ج1، ص284.

[3] -أنظر: إبراهيم مياسي، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، لجزائر، 1999، ص ص 70-71.

[4] - إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977، ص 247. يحى بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، دار البعث، ط1، قسنطينة، 1980، ص 49.

المناطق المتاخمة للزيبان، وهي سوف والجريد التونسي. وعندما وقعت أحداث واحة الزعاطشة أواخر عام 1849، [1] وصلت أصداؤها إلى وادي سوف والجريد، [2] وحينئذ غادر مجموعة من المقاومين وادي سوف لنجدة إخوانهم المحاصرين، [3] ولا يستبعد التنسيق بين السوافة وبين محمد الصغير بن عبد الرحمان الذي كان يومها في نفطة التونسية، وقدم لنجدة الشيخ بوزيان شيخ واحة الزعاطشة، والذي كان تابعا فيما سبق لسلطة الأمير عبد القادر. [4]

إلا أن نتائج الأحداث كانت مأساوية وانتهت بإحكام الفرنسيين قبضتهم على منطقة الزيبان مع نهاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر لتواصل توغلها نحو الجنوب في المناطق المتاخمة للزيبان ومنها منطقة وادي ريغ ووادي سوف.

2) ظهور مقاومة الشريف محمد بن عبد الله ونتائجها (1852 -1854):

كانت مناطق الجنوب الصحراوي الجزائري حلبة للصراع وميدانا ملائما للثائرين وخاصة الشريف محمد بن عبد الله الذي لقي في وقت مبكر مؤازرة من الثوار المحليين وذلك مكنه من الهيمنة على خط يشمل عدة مدن وقرى ابتداء من الاغواط إلى ورقلة وأخيرا تقرت وسوف، ولم تستطع القوات الفرنسية أن تواصل توغلها نحو الحدود الجنوبية الشرقية المتاخمة لتونس عبر " وادي سوف " إلا بعد تطويق المنطقة المجاورة والهيمنة على الاغواط وورقلة وتحييد وادي ميزاب واحتلال تقرت.

---

[1] -أنظر: يحي بوعزيز، كفاح الجزائر، ص 56.

[2] -أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 357.

[3] -أنظر: إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 85.

[4] -أنظر: يحي بوعزيز، كفاح الجزائر، ص 56.

ا) احتلال الاغواط:

بدأت مهاجمة الشريف محمد بن عبد الله لها في أوائل عام 1852 وذلك دفع الفرنسيين إلى إرسال جيش بقيادة بيليسيه بداية من شهر أكتوبر، إلا أن الشريف استطاع الدخول إلى الاغواط في شهر نوفمبر بمساعدة بن ناصر بن شهرة، واستمر القتال على أشده وانتهى بمعركة عنيفة بين الطرفين في 4 ديسمبر 1852 أجبرت الشريف وأعوانه على الانسحاب، واستولى الفرنسيون على الاغواط، [1] ووضعوا بها حامية عسكرية دائمة واتخذوها قاعدة حربية لتوسعاتهم نحو الجنوب. [2]

ب) احتلال وادي ميزاب (1853/04/19):

كما أبرم الفرنسيون اتفاقا مع أهل ميزاب في 19 أفريل 1853 يتعهدون فيه بدفع ضريبة سنوية قدرها 45 فرنك والاعتراف بحمايتهم وعدم التدخل في شؤونهم الداخلية، بشرط أن يتعهدوا بعدم فتح أبوابهم لأعداء الفرنسيين والغرض من ذلك تحييد أهل ميزاب وإبعادهم عن مساعدة الثوار أمثال الشريف محمد بن عبد الله وابن ناصر بن شهرة. [3]

ج) احتلال ورقلة(1853):

كانت ورقلة موقعا هاما للشريف محمد بن عبد الله وصديقه بن شهرة، فقد جند لها الفرنسيون قوات كبيرة قدمت من البيض في 3 نوفمبر 1853 والتحمت بقوات المقاومين في نقوسة والرويسات وانتهت بهزيمة الشريف ورفاقه، وسيطر الفرنسيون على ورقلة في أواخر عام 1853. [4]

---

[1] -أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 358-359.

[2] -أنظر: ج ايفر، الأغـواط، **دائرة المعارف الإسلامية**، دار الشروق، القاهرة، 1933، المجلد الثالث، ص 576.

[3] -أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 359-360.

[4] -أنظر: يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص 127.

ولم يبق للفرنسيين يومئذ إلا احتلال القلعة الحصينة وهي« تقرت» وتمثل إمارة بني جلاب التي وضع الفرنسيون أمامها كل ثقلهم العسكري، لأنها تأوي المقاومة وتحتضنها.

وقد وصل في شهر مارس 1853 طابور فرنسي إلى مدينة بسكرة تحت قيادة العقيد ديفو قائد مقاطعة باتنة، والذي توجه صوب تقرت من أجل غزوها.(1) واكتفت تلك القوات بإجراء مناورات بضواحي المدينة محاولة إثارة الفزع في حياة السكان، وتحذير سلمان من مغبة إصراره وتعنته ورفضه موالاة الفرنسيين. (2) ومن جهته قام سلمان بتحصين مدينته، واستنفر سكان تقرت، وقرى وادي ريغ وأهل سوف، وراسل شريف ورقلة محمد بن عبد الله، (3) وذهب إلى أبعد من ذلك حيث طلب المساعدة والمدد من الباي التونسي، الذي لم يستجب لطلبه، واكتفى بإهدائه ستة بنادق. (4)

وبعد انسحاب القوات الفرنسية عن تقرت بدأت قوات المقاومة الشعبية تتجمع فيها، إذ وصلها الثائر محمد بن عبد الله (شريف ورقلة) في صيف 1853، لأن مدينته احتلت من طرف الفرنسيين.

أما الثائر بن ناصر بن شهرة (ولد 1804) الذي ينتمي إلى قبيلة الأرباع ومن أتباع الطريقة القادرية بالأغواط، والذي بدأ مقاومته للفرنسيين منذ عام 1851 واتصل بالشريف محمد بن عبد الله بورقلة وتعاون معه، واستطاع في سنة 1852 أن

---

[1]- Souad Selami: **Touggourt Esquisse Historique** ,Les imprimeries du sud ,Ouargla, 1998,P 65.

[2] -أنظر: الحاج محمد الصغير دبابي، **"حقائق من تاريخ بني جلاب بوادي ريغ"**، مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جلاب بوادي ريغ، 1998. الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتقرت، الآمال للطباعة الوادي- الجزائر، 1999، ص 43.

[3]- Souad Selami, op. Ci t , p 65.

[4] -أنظر: محمد الصغير دبابي، المرجع السابق، ص ص 43-44.

يسيطر على بلدة قصر الحيران قرب الأغواط واتخذها مركزا لمقاومته. ولما غزا الفرنسيون ورقلة، كان من المدافعين في جيش محمد بن عبد الله، وأصيب بجروح بليغة، وفي نهاية 1853 انسحب نحو تقرت للعلاج، وكان تحت رعاية الشيخ سلمان بن جلاب [1]، وبعد أيام من الاستشفاء غادر بن شهرة المنطقة نحو الجريد التونسي عبر وادي سوف. [2] وفي تلك الأثناء ازداد الإصرار الفرنسي لاحتلال منطقتي تقرت وسوف والذي تم الإعداد له بكل قوة وصرامة.

د) احتلال تقرت (5 / 12 / 1854):

كان حاكم تقرت عام 1854 هو الشيخ سلمان الجلابي الذي رفض التعاون مع الفرنسيين وفتح باب مدينته للمقاومين خاصة الشريف محمد بن عبد الله وبن ناصر بن شهرة، وكان تصرفه هذا عاملا قويا حفز الفرنسيين ودفعهم بقوة إلى احتلال تقرت، التي توجهت إليها قوات ضخمة آتية من بوسعادة بقيادة العقيد ديفو والقائد جيري قادما بقواته من الأغواط، [3] كما تعززت القوات الفرنسية بكتائب وطوابير عسكرية أخرى، والتحمت هذه القوات مع جيش سلمان والشريف محمد بن عبد الله، وجيش النجدة الذي قدم من «وادي سوف» تلبية لنداء سلمان لهم، وكانت المعركة في نواحي المقارين في المكان المعروف ببورخيص، [4] في يوم 29 نوفمبر 1854، وانتهت المعركة بانتصار الفرنسيين والتجاء سلمان الجلابي والشريف محمد بن عبد الله إلى تقرت والاعتصام بها، وخضعت المدينة لحصار فرنسي شديد، بينما انسحب المقاومون من أهل سوف إلى الوادي، وفي يوم 2 ديسمبر 1854 غادر الشيخ سلمان والشريف محمد

---

[1] -أنظر: بن نعمية عبد المجيد، " **مواقف شيوخ بني جلاب في تقرت من الاحتلال الفرنسي 1830 – 1854** "، مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ. المرجع السابق. 1998. ص 125.

[2] -أنظر: يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص 178.

[3] -أنظر: يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص 128.

[4] -أنظر: عبد الحميد ابراهيم قادري، **التعريف بوادي ريغ**، منشورات جمعية الوفاء للشهيد بتقرت، الأمال للطباعة والنشر، الوادي – الجزائر، 1999، ص 19.

بن عبد الله تقرت، التي سقطت في يد الفرنسيين يوم 5 ديسمبر 1854، لما دخلها العقيد ديفو قائد ناحية باتنة، [1] معلنا عن سقوط <<مشيخة بني جلاب>> التي حكمت تقرت أكثر من أربعة قرون.

هـ) احتلال وادي سوف(1854/12/14):

بعد احتلال الجيش الفرنسي لإمارة بني جلاب << تقرت>> سهُل عليهم مواصلة زحفهم نحو<<وادي سوف>>. ويومئذ ترك العقيد <<ديفو>> بعض قواته بمدينة تقرت للمحافظة على الأمن، وقاد بقية القوات القادمة من باتنة والأغواط وبوسعادة واتجه نحو وادي سوف، [2] يوم 10 ديسمبر 1854 وكان مضطرا لسلوك طريق رملي صعب، وبعد معاناة مع الطبيعة، وبعض المناوشات في القرى المحيطة بالمنطقة، فإن الصدام على أبواب المنطقة كان عنيفا بين الطرفين، فقد استمات سكان سوف وبذلوا أقصى ما عندهم من جهد وهذا ما أشار إليه صاحب الصروف بقوله: (ثم بعد أن نزلت تلك المحلة بتقرت وأخضعت أهلها ارتحلت متوجهة إلى سوف لتخبر أهلها وبعد قتال بين الطرفين أياما عديدة في النخيل والسيوف[3] تغلبت المحلة على سوف).[4] وحسب المصادر الفرنسية، فإن العقيد ديفو قضى مدة سبعة أيام بسوف. [5] قضاها في الصراع مع المقاومين، ولكن القوات الأهلية عجزت عن رد الزحف الفرنسي، فاستجابت للمفاوضات التي مكنت هذه القوات من التقدم نحو مركز سوف، مدينة الوادي، في حدود 14 ديسمبر 1854، ثم رجعت إلى تقرت يوم 22 ديسمبر 1854، لتقوم بتنظيم الإقليم وضبط شؤونه الإدارية بالاشتراك مع منطقة وادي سوف، فبادر

1- . André Voisin – le souf, Monographie d'une région Saharienne, –1985. Paris, p 47.

2 -Loc-Cit.

3 -**السيوف:** الكثبان الرملية.

4 - إبراهيم العوامر، المرجع السابق. ص 24.

5.- C. Couvet – Notes sur le souf et les souafa – **Bulletin de la société de géographie d'Alger,** 1934, p 50.

العقيد ديفو بتعيين ‹‹علي باي›› بن فرحات بن سعيد ‹‹ قايد›› على تقرت وسوف باسم فرنسا منذ 26 ديسمبر 1854. [1]

وعند رجوع القوات الفرنسية لم تترك في سوف أي أثر لها من القوات العسكرية لتحافظ على احتلالها، وذلك جعل المنطقة محل صراع مرير ومقاومة متواصلة دامت قرابة 30 سنة، ولم تتمكن السلطات الفرنسية من الاستقرار النهائي بسوف إلا في منتصف الثمانينات عندما طوقت تلك المقاومات، وقضت على زعمائها. [2]

3) المقاومة الشعبية بوادي سوف ورد الفعل الفرنسي:

أ) المقاومة الشعبية بوادي سوف والصحراء الشرقية: شهدت وادي سوف - بعد احتلالها - أوضاعا صعبة، وتفاقمت الاضطرابات، وبدأت تحركات المقاومين، [3] تنتشر في اطرافها، والبلدان الصحراوية المتاخمة لها، ونذكر من المقاومين:

- **سي النعيمي:** من أولاد سيدي الشيخ، اختلف مع أخيه سي حمزة الموالي للفرنسيين، فانظم سي النعيمي إلى الشريف محمد بن عبد الله وبن شهرة عام 1853، وشارك معهم في المقاومة.

- **محمد بو علاق اليعقوبي:** الثائر التونسي وهو رئيس أولاد يعقوب المتمردين على السلطة التونسية.

- **الطيب بن عمران الشعنبي**: كان يسكن وادي سوف، وقد جمع 264 من المحاربين من طرود سوف وشعانبة الوادي وعسكر بهم في جنوب ورقلة في فيفري 1864 لغزو تلك الجهات ثم التجأ كغيره من المقاومين إلى تونس. [4]عام 1868، وارتبط بالثوار في زاوية نفطة العزوزية.

1- André Voisin – op. cit,p47.

2 - علي غنابزية، " **مجتمع وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13هـ/19م**، رسالة ماجستير، تحت إشراف الدكتور عمر بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،.2001. ص 40.

3 - إبراهيم العوامر، المرجع السابق، ص 250.

4 - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر،ص 128.

- **بن ناصر بن شهرة ومحمد بن عبد الله:** قدما من تونس، وجددا المقاومة، وشاركا في ثورة أولاد سيدي الشيخ في 1864، ولكن بسبب الاختلاف في وجهات النظر اعتزلهم محمد بن عبد الله وانسحب إلى تونس لعدة سنوات. [1] بينما واصل بن شهرة في المقاومة، [2] بعدة جبهات في وسط الصحراء وفي أطرافها المتاخمة للحدود الجنوبية والشرقية. وكانت تربطه علاقة مع الطيب بن عمران الشعنبي، الذي كان مشهورا بجرأته وقوته.

- **مقاومة محمد التومي بوشوشة:** بدأ حركته الثورية سنة 1869 عندما اتصل به بن ناصر بن شهرة، وشرعا في تنسيق الجهود، واستطاعا ما بين سنتي 1870 – 1871 أن يهيمنا على عدة مناطق في الصحراء بعد هزيمة الحكام المحليين الموالين للاستعمار، وتم تنصيب آغوات (قياد) من الثوار أنفسهم. ففي مارس 1870 استولى بوشوشة على المنيعة وألقى القبض على القايد جعفر وسجنه، واستولى على عين صالح في ماي 1870، وتواصلت تحركاته في ضواحي متليلي الميزابية وورقلة، [3] وتقرت وسوف وخاصة بعد انطلاق ثورة المقراني التي ارتبطت بمقاومة الجنوب ارتباطا وثيقا، وأهم العمليات التي أنجزها بوشوشة:

1- الاستيلاء على ورقلة في 5 مارس 1871 وعين عليها بن ناصر بن شهرة آغا وبقي بها إلى سبتمبر 1871، وكانت ورقلة قبل ذلك تابعة لآغوية علي باي الذي كان آنذاك في حاسي الناقة، [4] فاتصل جماعة من شعانبة الوادي ببشوشة يومئذ وذكروا له أفعال علي باي وظلمه وطلبوا منه أن يغتنم الفرصة ليستولي على أموال علي باي وعياله وكل زمالته التي أودعها ببلدة «قمار» بوادي سوف. [5]

---

[1] - André Voisin , op. cit. p 48.

[2] - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص 179.

[3] - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر،ص 185.

[4] - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص ص 180-185.

[5] - إبراهيم العوامر، المرجع السابق، ص 253.

2- هجوم بشوشة على قمار يوم 8 مارس 1871، [1] بجيش قوامه 900 مقاتل، [2] إلا أن عائلة علي باي وجدت المساندة والحماية من زاوية قمار التجانية، وبعد مفاوضات مع أعيان الوادي رجع بشوشة وسلمت زمالة علي باي، [3] ولكن آغويته لم تسلم من سطوة بشوشة.

3- استولى بوشوشة على تقرت في 13 ماي 1871 وعين بوشمال بن قوبي آغا، [4] ويعتبر سقوطها نهاية حتمية لحكم «علي باي» ودخول منطقة سوف التابعة لتقرت تحت حكم بشوشة.

ولم يكد يوم 13 جويلية 1871 ينقضي حتى صار بشوشة المتحكم في الصحراء الجنوبية من نفطة الى تقرت بمؤازرة القوى الشعبية المختلفة. [5]

- **مقاومة محي الدين بن الأمير عبد القادر:** ظهر في الجبهة الشرقية الأمير محي الدين بن الأمير عبد القادر الذي قدم من بلاد الشام إلى تونس في شهر اكتوبر 1870، واستقبل بحفاوة من طرف السلطات التونسية، وكرم يوم 18 نوفمبر 1870، فاغتنم ذلك الوضع ووجه مأتي رسالة إلى زعماء الجزائر يدعوهم فيها إلى الاستعداد لمحاربة فرنسا معه عند قدومه اليهم من تونس، [6] ولكنه غادر تونس إلى مالطة ومنها إلى طرابلس التي انطلق منها عائدا إلى الجنوب الجزائري فاتصل بالمقاومين ومنهم بن ناصر بن شهرة وإبراهيم بن عبد الله واتجهوا جميعا إلى وادي سوف. [7] وشرع محي الدين في تنظيم كفاحه إذ التف حوله عدد من اللاجئين الجزائريين والمنفيين الذين كانت زاوية نفطة الرحمانية

---

1 - Luis Rinn – **Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie** –Alger. 1891. p 486.

2 - André Voisin, op. cit. p 43.

3 - إبراهيم العوامر،المرجع السابق، ص 253.

4 - Luis Rinn, op. cit P 488.

5 - Ibid ,P 612.

6 - يحي بوعزيز – ثورات الجزائر – ص .250

7 - عبد الجليل التميمي، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر وتونس وليبيا 1816 – 1871**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، تونس، ط 2،الجزائر، 1985، ص .253

مركزا لهم. [1] ولكن السلطات التونسية بدأت تمارس الضغط على محي الدين، فالتجأ إلى جنوب الجزائر، [2] ودخل في صراع مع أعوان فرنسا وخاصة حاكم تقرت وسوف علي باي في بداية عام 1871.

ولما انطلقت ثورة المقراني حاول محي الدين التعاون والتنسيق مع الثورة، فلم يتمكن من ذلك بسبب صعوبة التوغل نحو الداخل فاتجه إلى الجهة الشرقية فنزل بنقرين في 9 مارس 1871، لكنه لم يتمكن من الاستيلاء على تبسة، وحينئذ انتهت الحرب بين ألمانيا وفرنسا فرجعت القوات الفرنسية إلى الجزائر لقمع المقاومات الشعبية التي عمت البلاد فأدرك محي الدين أن المقاومة صارت غير مجدية، [3] فغادر البلاد إلى سورية في شهر جويلية 1871. [4]

ب) رد الفعل الفرنسي على المقاومة بالجنوب الشرقي الجزائري:

عندما بدأت المقاومة الشعبية تجتاح الجنوب الشرقي في بداية 1871 عهد الفرنسيون إلى حكامهم المحليين أمر مواجهتها في 12 أفريل 1871، إذ أوكلت ذلك إلى علي باي ومحمد الصغير بن قانة.[5] لكنهم أبدوا عجزهم، فتأكد الاستعمار أن هؤلاء الأعوان لا يحققون للجيش الاستعماري التوسع ولا الاستقرار، فتم إعداد جيش فرنسي لهذه المهمة بقيادة الجنرال ‹‹**لاكروا فوبوا** ›› " **LACROIS VAUBOIS** " الذي أعد خطة لمواجهة المقاومة الضارية، [6] وبدأت عملية الاجتياح الاستعمارية من ورقلة التي انتزعها من أنصار بوشوشة يوم 2 جانفي 1872، ثم زحف على تقرت وسيطر عليها، ثم لاحق قوات الثوار والتحم جيشه معها يوم 9 جانفي 1872 واستولى على معظم زمالة بوشوشة بما

---

1 - يحي بوعزيز، كفاح الجزائر،المرجع السابق، ص 252.

2 - عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص ص 30 –31.

3 - يحي بوعزيز، كفاح الجزائر، المرجع السابق، ص 275.

4 - أبو القاسم سعد الله،**تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1998، ج 5، ص 560.

5 - عبد الحميد قادري، المرجع السابق، ص 20.

6 - C.CAUVET, OP- CIT, P 50.

فيها من حيوانات وأمتعة. [1] ثم اتجه نحو وادي سوف وأخضعها للسلطة الفرنسية. [2] وعيّن عليها حاكما من جنود الصبايحية يدعى العربي المملوك. [3]

4) أثر المقاومة الشعبية علي العلاقات مع تونس:

رغم كل التدابير التي اتخذتها فرنسا للحد من قوة المقاومة، إلا أن جذوة الجهاد اشتعلت أكثر ولاسيما في المنطقة الممتدة من عين صالح إلى ورقلة وتقرت ووادي سوف، وتبسة ونقرين بالشرق، وبلاد الجريد ونفطة بتونس، ولقيت التأييد الأولي من تونس.

- **الدعم التونسي للمقاومة الشعبية:** لقد ساعد الموقع الجغرافي لوادي سوف والامتداد الرملي الشاسع والمناخ القاسي الذي تميزت به، على عزل هذه المنطقة مؤقتا، وجعلها الملاذ الآمن الذي يأوي إليه المقاومون الشعبيون بعد انتهاء معاركهم فيستقرون من أجل استرجاع الأنفاس وتجديد روح المقاومة والإعداد للمعركة الجديدة. فضلا عن ارتباطها الوثيق ببلاد الجريد التونسية، وقربها الشديد من الحدود، جعل فلول المقاومة تجد راحتها واستقرارها في نفطة وبلاد نفزاوة، التي تتواجد أطراف من المرازيق وأولاد يعقوب، وسكان قبلي، والتجأ إليها بعض المقاومين كمحمد بن عبد الله وغيره. [4]

كما كانت زاوية نفطة الرحمانية (العزوزية) [5] مركزا للمقاومين، وقد التجأ إليها سلطان تقرت السابق سلمان بن جلاب، وإبراهيم بن عبد الله مقدم القادرية بورقلة،

---

[1] - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، ص 180.

[2] - ابراهيم العوامر، المرجع السابق، ص 257.

[3]- C.CAUVET, OP- CIT, P 50.

[4] - أنظر: محمد المرزوقي، **صراع مع الحماية**، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973، ص ص 243-245.

[5] - **مصطفى بن عزوز:** ولد بالبرج قرب طولقة بالزاب، وهو ابن مؤسس الطريقة العزوزية محمد بن عزوز وهي فرع من الرحمانية. وقد هاجر إلى تونس إثناء احتلال فرنسا لبسكرة، واستقر في نفطة حيث أسس بها زاويته المذكورة، وكانت له مكانة دينية وسياسية لدى السلطات التونسية. وقد فتح زاويته للمقاومين الجزائريين، وتوفي سنة 1866. أنظر: محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1984، ج 3، ص ص 379 – 381. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، ص ص 146 – 153.

ومحمد العشابي البسكري الذي التجأ إلى نفزاوة منذ مدة طويلة، ومحمد بن أحمد الصغير بن الخليفة السابق للأمير عبد القادر بالزيبان، ومحمد بوعلاق رئيس أولاد يعقوب الثائرين التونسيين، والشيخ الميزوني مقدم زاوية الكاف الذي وضع تحت تصرف محي الدين كاتبا يساعده في تحرير الرسائل والنداءات، [1] وأولاد البطل الشعانبي السوفي بوطيب بن عمران. [2]

وبعد انكسار مقاومة المقراني انسحب أخوه بومزراق نحو الجنوب ثم توجه نحو تونس عبر تقرت وسوف ونفطة وتوزر، [3] بمعية ابن ناصر بن شهرة في شهر جانفي 1872، [4] وكان بومزراق يقود عائلته عددهم حوالي 150 شخصا، ودخلوا إلى الجريد التونسي واستقروا هناك. [5]

ويعتبر منتصف عام 1871 مرحلة حاسمة في تاريخ تونس، التي كانت تعاني من أزمة مالية حادة، وصارت تحت وصاية اللجنة المالية العالمية،[6] وصارت سيادتها منقوصة، وتلقت ضغوط أجنبية ولاسيما من فرنسا، التي كانت عينها على البلاد، ويومئذ شعرت حكومة محمد الصادق باي بخطر حركة محي الدين بن الأمير عبد القادر على البلاد التونسية، وتأثير ذلك على العلاقات التونسية الفرنسية، فطلبت من كل ولاتها توقيف محي الدين وجماعته وسجنهم وإرسالهم إلى تونس، غير أن محي الدين أدرك ذلك فالتجأ إلى جنوب الجزائر. [7]

---

[1] - يحي بوعزيز، كفاح الجزائر، المرجع السابق، ص 252.

[2] - يحي بوعزيز، "ثورة ابن ناصر بن شهرة 1850 – 1875 "_– في – **من أبطال المقاومة الشعبية بالجنوب**، مدونة الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي بالجنوب، الاغواط 23 إلى 25 ماي 1998، وزارة المجاهدين، ولاية الاغواط، ص 33.

[3] - الطاهر اوصديق، **ثورة 1871،** ترجمة جباح مسعود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 146، أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 3، ص 103.

[4] - يحي بوعزيز، ثورة 1871، المرجع السابق، ص 308.

[5] - الزبير سيف الإسلام، **ثورة المقراني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 55.

[6] - محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس،** ترجمة محمد الشاوش- محمدعجينة، دار سراس للنشر، تونس، 2001، ص 97.

[7] - عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص ص 30 – 31.

- **المخطط الفرنسي للقضاء على المقاومة الشعبية:** إن تواجد الفرنسيين في جنوب الجزائر، ولاسيما وادي سوف المتاخمة للحدود التونسية، جعلهم يسعون لرسم المخطط الاستعماري، ففي أواخر الخمسينات أراد الجنرال "راندون"[1] ضبط الحدود الشرقية للمنطقة، فتم إنجاز خريطة سنة 1857 ولكن الحدود النهائية للعرق الشرقي الكبير لم تحدد لها معالم ثابتة، وإنما خضعت للتغير باستمرار خصوصا ما بين 1867 – 1870، إذ بقيت الحدود غير واضحة ما بين سوف وجنوب شط الجريد.

وانتهت فترة السبعينات من القرن التاسع عشر بتصفية فلول المقاومة الشعبية المسلحة بالجنوب، والاستمرار في تهيئة الظروف للاستقرار الفرنسي في الجنوب الجزائري قريبا من الحدود التونسية، وتعتبر منطقة سوف من أهم المواقع التي يمكن استغلالها لتأمين ظهر الفرنسيين في شمال تونس. [2]

وتمكنت فرنسا من اختلاق ذريعة للتدخل في شؤون تونس، باستغلال الصراع الذي حدث بين قبائل الخمير في الشمال الغربي لتونس مع بعض الجزائريين فتدخلت فرنسا لردع المعتدين، بجيش قوامه ثلاثين ألف جندي، [3]عبروا الحدود يوم 24 أفريل 1881 واحتلوا مدينة الكاف، [4] ثم تقدموا داخل التراب التونسي نحو الوسط والجنوب، وأنزلوا ثمانية آلاف جندي في بنزرت، واتجهوا كذلك نحو العاصمة، وتم فرض الحماية على تونس يوم 12 ماي 1881. [5]

واندلعت الثورة الشعبية في شهر جوان 1881، في شرق البلاد التونسية وجنوبها بقيادة علي بن خليفة، وامتدت من القيروان إلى صفاقس، وتمكن الثوار بسهولة من السيطرة على كل الإقليم الجنوبي بما يشتمل عليه من سواحل تمتد حتى حدود

---

[1] - **رانـدون:** هو الحاكم العام للجزائر 1851 – 1858 ويعرف عهده " بعهد استكمال الاحتلال " أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 1. ص 371.

[2] - علي غنابزية، المرجع السابق، ص 52.

[3] - حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، الدار التونسية للنشر، ط 4، تونس، 1968،ص 213.

[4] - جلال يحي، **المغرب الكبير**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج 3، ص 320.

[5] - حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ص ص 213 – 214.

طرابلس. فرد الفرنسيون بقوة، عن طريق الأسطول الفرنسي الذي ضرب صفاقس وقابس بقوة، كما تم إعداد ثلاثة طوابير فرنسية اتخذت من سوسة قاعدة لها ثم أخذت في الزحف نحو الجنوب وتمكنت من إخماد المقاومة وأخضعت الإقليم لحكمها العسكري. [1]

والجدير بالذكر أن الضابط ديبورتر " Deporter " [2] شارك في احتلال تونس سنة 1881، [3] ثم انتدب لسوف فقام بوضع أسس أول مكتب عربي بالمنطقة، وتم اختيار منطقة الدبيلة، [4] القريبة من الحدود التونسية، فكانت المركز الأول للاستقرار الفرنسي بوادي سوف.

كما تم تأسيس برج صغير للحراسة بقي ثابتا بالدبيلة، واستمر إلى سنة 1887 رغم تناقص عدد أفراده يومئذ. [5] والجدير بالذكر أن الإدارة الفرنسية بدأت عملية استقرارها بقوة في مدينة الوادي عاصمة الإقليم خلال سنة 1882. [6]حتى تبقى المقاومة مطوقة، وترتبط العلاقات بين الحاكم العام بالجزائر وسلطات الحماية الفرنسية في تونس.

---

1 - جلال يحي، المرجع السابق، ص 321-331.

2 - كان هذا الضابط ينتمي للمكتب العربي ببسكرة، وتقدم نحو تونس بقدر الحاجة، وكان على اتصال بمصلحة الاستخبارات بالجريد.

3 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، المرجع السابق، ص 50.

4 - **الدبيلة:** بلدة تقع في الناحية الشمالية الشرقية لوادي سوف، وتبعد عن الحدود التونسية بحوالي 62 كلم، وعن سوف بحوالي 20 كلم.

5 - C. Cauvet. op. cit. p 51

6 - Gaid Zobeidi Si Hocine – **Histoire succinct de l'Administration du Souf dans les deux dernières siècles avant l'Arrivée des français** - Direction de Moudjahidine – EL-OUED. 1952.

الخاتمـة:

تعتبر المقاومة الشعبية في الجزائر أحد المفاخر في التاريخ الوطني، للدفاع عن البلاد، ومواجهة المستعمر، والتعبير عن الرفض الشعبي للاحتلال، رغم قلة الامكانيات المادية. وما يمكن الوقوف عليه من أوجه المقاومة الشعبية بوادي سوف، وأثرها على العلاقات السياسية مع الجنوب التونسي:

-كشفت هذه الدراسة عن معاناة الفرنسيين من التوغل في أراضي الجنوب الجزائري، ولم تستطع ولوج أراضيها إلا بعد نحو عشر سنوات، منذ احتلال بسكرة 1844، وغزو تقرت ووادي سوف سنة 1954. ولم تتمكن من الاستقرار النهائي الا بعد ثلاثة عقود، لأن المقاومة كانت عنيفة، وصارت البلاد تشتعل نارا من عين صالح إلى وادي سوف، وعرفت جهود كبار المقاومين من أمثال محمد بن عبد الله، وبن ناصر بن شهرة، ومحمد التومي بوشوشة، ومحي الدين بن الأمير عبد القادر. وعانى أعوان الاستعمار من ضربات المقاومة، وعجزوا عن التصدي لها بمفردهم، وتطلب استقدام القوات الفرنسية من الوسط والشمال.

- كانت تونس ملاذا آمنا، ومأوى كريما، تجمعت فيه الأطراف العديدة، وبعد تلقي قسط من الراحة، تنطلق إلى الجنوب، وتضرب في أعماق العدو، الذي فقد حامياته، وسيطرت المقاومة على المنطقة، وعينت القياد، وأمسكت بزمام الأمور، ولكن الضعف الذي عانت منه تونس بسبب فقدان سيادتها، جعلها تتخلى عن مساعدة المقاومة حتى تحافظ – تونس - على علاقاتها مع فرنسا المتنفذة في المنطقة.

- إن الاحتلال الفرنسي للجنوب الجزائري، تم وفق مراحل وجهود معتبرة بذلها الفرنسيون، وامتازوا بطول النفس في مواصلة الزحف نحو معاقل المقاومة، والسعي لتجفيف منابع القوة فيها، ومحاصرتها من الجنوب بزحف القوات الفرنسية، ومن الجنوب التونسي من طرف نظام الباي الذي تخلى عن بلده، وهذا لا يجعله حريصا على المقاومة، التي تصدت لها القوات الفرنسية بقوة عند احتلال تونس 1881.

- إن منطقة وادي سوف، برزت كمنطقة إستراتيجية في الجنوب الجزائري، وعندما تم بسط النفوذ الفرنسي عليها، مكن ذلك من مراقبة أي حركة، وجعل المقاومة تحسب ألف حساب لخطواتها المستقبلية، لأن القوات الفرنسية صارت متواجدة بحاميتها، وثكنتها التي شرعت في تشييدها بمركز وادي سوف في مدينة الوادي.

ويظهر مما سبق أهمية هذه المنطقة الصحراوية في ربط العلاقات، وإيواء المقاومة، والمساهمة في المقاومة الوطنية للاستعمار الفرنسي، ويبقى تاريخها صفحة ناصعة في الحفاظ على الجزائر والدفاع عنها من كل الغزاة والمتربصين من الأعداء.

احتجاجات أهل سوف على السياسة الاستعمارية
خلال الحركة الوطنية[1]

تمهيد:

تتطلع الشعوب الأصيلة إلى الحرية، وتتنفس عبيرها في بلدانها المستقلة، ولو كانت في أشد حالات الفقر والحاجة. وتعبر بلدان أخرى عن رفضها لكل سلوك من الغاصب المحتل، ولو وفر متطلبات الحياة العامة، وسياسة الرفض لها وسائلها المختلفة، ومنها الاحتجاج، والذي يتجلى في مظاهر عدة، مثل تقديم العرائض، وكتابة الرسائل الجماعية، وتنظيم الإضرابات، والتجمهر السلمي، وكتابة المقالات في الصحف، وإلقاء الخطب المستنكرة للممارسات الفاسدة. وتعتبر المظاهرات من أبرز الصور المعبرة عن الاحتجاج أمام السلطات الاستعمارية، وكلها في درجة دنيا، وتمثل المقاومة المسلحة أعلى تلك الصور في مواجهة سياسة المستعمر الرعناء.

وكانت منطقة وادي سوف ضمن التراب العسكري الفرنسي، الذي ضيق الأنفاس ولم يسمح بأي شكل من الاحتجاج أو التعبير عن رفضه للسياسة المتبعة، فضلا عن المطالبة بالحقوق المشروعة. ورغم التحديات السابقة، عبر المجتمع عن الرفض والمعارضة، ولم يبال بقبضة المستعمر. ويمكن الوقوف عند ثلاثة مظاهر للاحتجاج عند أهل سوف ولاسيما في ظل الحركة الوطنية، وهي زرع بذور الثورة المرتقبة.

1) الاحتجاج للدفاع عن العرض:

يمثل العرض - عند المسلمين - الشرف الذي يضحي المسلم من أجله بحياته، ولا يرضى لأي كان أن ينتهكه، أو يدنس جانبه، وأدرك الفرنسيون ذلك من أول وهلة، وتعهدوا بحفظ الأعراض والمقدسات، وسجل ذلك في معاهدة الاستسلام، ومما ورد

---

[1] - محاضرة قدمت في اليوم الدراسي حول "مظاهرات 27 فيفري 1962 بورقلة وأثرها على المفاوضات الجزائرية-الفرنسية"، والمنظم من قبل قسم العلوم الإنسانية، بجامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي يوم 23 فيفري 2015.

فيها:(سيظل العمل بالدين الإسلامي حراً، كما أن حرية السكان مهما كانت طبقتهم، ودينهم، وأملاكهم، وتجارتهم، وصناعتهم لن يلحقها أي ضرر، وستكون نساؤهم محل احترام، وقد التزم القائد العام على ذلك بشرفه). [1]

وكان سكان وادي سوف يعتبرون مجرد وقوع عين الفرنسي (الأجنبي) على المرأة، انتهاكا لعرضها الذي يستوجب منهم الدفاع المستميت، ولو كلف الرجل حياته، مثلما فعل الطالب صالح بالزلاسي في القرن التاسع عشر، الذي مر بعض الجنود بالقرب من بيته المكشوف في حي لعشاش بمدينة الوادي، فشاهدوا نساءه في المنسج، فاسترعى ذلك انتباههم، فبقوا ينظرون بفضول، فخرج إليهم وواجههم لوحده، واستمات في الدفاع عن عرضه المهان، فحاولوا أن يشرحوا له الأمر، ولكنه أصر على مقاتلتهم، فحملوه بعيدا عن بيته وقتلوه. [2]

وظل الكشف الطبي عن المرأة من طرف الطبيب الفرنسي - في نظر المجتمع السوفي المحافظ - نوعا من الاستهتار الذي لا يجوز من الرجال السكوت عنه. [3] وقامت مظاهرة في منطقة عميش في حدود 1910 عندما أراد الطبيب الفرنسي فصد النساء وتطعيمهم ضد الأوبئة،[4] وهذا اضطر السلطات إلى تعليم فتاة من المجتمع، قامت بالتطعيم داخل البيوت ورفع الحرج على الجميع.

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1982، ص 46.

[2] - لقاء مع أحمد خراز ببيته في شهر ماي 1996. وعبد الكريم شتحونة بالوادي 2007/09/25.

[3] - ويطلق على المتهاون، لفظ " **الطحان**" وهو الذي يرضى بالفجور والتميع عند أهله، وبالفساد في بيته.

[4] - محمد الساسي معامير، **التقويم الجزايري1345هـ/1927م**، نشر مطبعة النجاح، تونس، ص 336.

2) الانتفاضة الشعبية بوادي سوف (الهدة) الأولى[1]:

كانت منطقة سوف تعيش خارج الممارسة السياسية الثورية، بسبب الحضر الاستعماري لأي نشاط سياسي وطني، ولكن فرنسا تفاجأت بانطلاق مظاهرة شعبية عفوية، اكتشفت أن محركها الأساسي هو الشيخ الهاشمي الشريف الذي ظل مواليا لفرنسا، وخادما لمصالحها منذ قدومه من نفطة في أواخر القرن التاسع عشر، ورغم وجود المبررات المنطقية لهذا التحول في نهاية الحرب العالمية الأولى، إلا أن فرنسا اعتبرته معارضا لسياستها[2]ومتمردا معلنا عداوته ضدها[3]. وكان السبب وراء تنظيمها، إقدام فرنسا على تجنيد عدد من الشباب من وادي سوف بالقوة، للعمل في المصانع الفرنسية التي احتاجت إلى اليد العاملة، فلما بدأ القياد في عملية التجنيد، ضج سكان المنطقة، واعتبروه تجنيدا إجباريا لأبنائهم لجبهات القتال. [4]وقد أصدرت فرنسا القانون الاستثنائي للتجنيد الإجباري في جويلية 1917، وبموجبه فرضت التجنيد الإجباري على الأهالي الجزائريين،[5] وكان قانون التجنيد لا يشمل سكان المناطق العسكرية في الجنوب.

---

[1] - **الهدة:** أطلق سكان سوف على الانتفاضة الشعبية عدة تسميات كان أهمها وأشهرها " **الهدة** "، وهي اسم المرة من هَدَّ، وهي صوت وقوع الحائط ونحوه، ومعناها الشعبي: الاقتحام المسلح المصحوب بالهدم والتحطيم والهجوم على الخصم بدافع رد الظلم ومقاومته. واشتهرت بعدة أسماء حسب الإضافة، فعرفت بهدة الشيخ الهاشمي أو هدة الشريف نسبة لقائدها الهاشمي الشريف، أو هدة عميش وهي المنطقة التي انطلقت منها وأهم قراها البياضة، وهدة الشيخ معمر وهو أحد أعوان الاستعمار الذي اقتحمت داره من طرف الثائرين أثناء الانتفاضة، وعاثوا فيها فسادا.

A N. T. S:D. C: 178. D:5/15, Rapport de Directeur des Services des Sécurité

à M. Le Secrétaire Général de Gouvernement Tunisienne à Tunis, le18juillet 1941.

[2]. A N. T. S:D. C: 178. D:5/15, Rapport de Directeur des Services des Sécurité

à M. Le Secrétaire Général de Gouvernement Tunisienne à Tunis, le18juillet 1941.

[3] - André voisin , Op- Cit, p 77.

[4] - حمزة بوكوشة، **"الشيخ الهاشمي الشريف وانتفاضة وادي سوف سنة 1918 "،** محاضرة مكتوبة على الستانسيل، ألقيت بثانوية علي ملاح بورقلة بمناسبة الموسم الثقافي أفريل 1987، ص 02.

[5] - عمار هلال، "الشيخ عبد العزيز بن محمد الهاشمي"، **مجلة الثقافة،** الجزائر، العدد 95، 1986، ص 275.

كما أن تشديد الرقابة الفرنسية على الحدود الجزائرية الليبية، منذ بداية الحرب أدى إلى شل حركة التجارة مع غدامس،[1] وأثر على مستوى معيشة السكان، فضلا عن دفعهم الضرائب الباهظة التي أثقلت كاهلهم، بسبب حالة الجفاف والأزمات الاقتصادية بالمنطقة.

وبدأت الانتفاضة بزحف جموع الجماهير المسلحة بآلات العمل، والعصي، والبنادق،[2] بعد حلول الظلام وأداء صلاة المغرب،[3] ليلة 15 نوفمبر 1918[4] من بلدة عميش، وهم يرددون الشعارات الاحتجاجية « **لا نموت لفرنسا نموت هنا** »، والنداءات الغاضبة « **الجهاد في سبيل الله** »، وتزامن معها إطلاق البارود الذي ألقى الرعب والفزع في صفوف أعوان الاستعمار، الذين هرعوا إلى إخبار السلطات لتدارك الأمر قبل استفحاله.[5] وكان الشيخ الهاشمي قد أوصى « مقاديمه"[6] وأتباعه بالتجمع في أرض "الغاوي»،[7] فاستيقظ قائد الملحقة « **بواز**» على وقع الضجيج وطلقات البارود في الهواء، وعلم بجلية الأمر، فاتجه إلى بلدة عميش، وأيقظ الشيخ الهاشمي من نومه المزعوم، ورجع برفقته لتهدئة الجماهير الغاضبة، فأدركهم الشيخ بأرض الغاوي، وخط لهم خطا في الرمل وصاح فيهم قائلا: «**دعوة الشر لمن يتجاوز**

---

1 - حمزة بوكوشة، المرجع السابق، ص 02. عمار هلال، المرجع السابق، ص275.

2 - لقاء مع أحمد خراز ببيته بمدينة الوادي، يوم 09/14 /1997.

3 - لقاء بالوادي يوم 03/03 /1995، مع شاهد عيان هو السيد محمد باي الذي المولود سنة 1902، وكان وقتها شابا يبلغ سن السادسة عشر.

4 - A.O.M.10H89, Cap.Robert Thiriet: **les populations musulmanes du Souf et leur evolution politique.** 1938, p22.

5 - حمزة بوكوشة، المرجع السابق، ص 03.

6 - **المقاديم:** مفردها مقدم وهو الشخص الذي ينوب عن الشيخ ويمثله عند غيابه، ويكون مشرفا على طائفة من الأتباع.

7 - هي ضاحية بمدينة الوادي تقع في حي باب الوادي أوحي القواطين جنوب بيرو-عرب على مسافة أقل من 1 كلم.

هذا الخط»، وحينئذ قدمت تلك الجماهير مطالبها للحاكم العسكري، وارتكزت على قضية التجنيد الإجباري، والقوانين الاستثنائية المفروضة على الأهالي، والحكم الاستثنائي لمناطق الجنوب، وحينئذ أمر حاكم الملحقة بإطلاق سراح المساجين(الشباب المجند) فورا، حتى يضمن تهدئة الجماهير الغاضبة، ثم شرعت السلطات في معالجة الحادثة التي كانت تداعياتها شديدة التأثير في واقع السكان، ومنها اعتقال الشيخ الهاشمي، وتحويله إلى سجن الكدية بقسنطينة، وأصدرت عليه محكمتها العسكرية، أمرا بالنفي لمدة سنة،[1] ومنعته من دخول التراب العسكري في الجنوب، لأنه فتح باب التمرد، وقامت باعتقالات واسعة في صفوف أتباعه من إخوان القادرية ومن شاركهم، وسلط عليهم التعذيب والأعمال الشاقة لعدة شهور،[2] وهكذا انتهت الحرب العالمية الأولى[3]على وقع أول معارضة علنية للاستعمار الفرنسي في منطقة التراب العسكري بالجنوب.

3) الانتفاضة الشعبية بوادي سوف (الهدة الثانية) 1938: تعتبر الفترة ما بين 1937 – 1938 من أهم فترات النشاط السياسي الثوري، لدى الشيخ عبد العزيز الشريف، الذي اتخذ من جمعية العلماء غطاء سياسيا، عندما اعتمد « المنهج الثوري» والمعارضة الراديكالية. كما ربط علاقات مع الحركة الوطنية التونسية، وراسل الحزب الدستوري. [4]وأضاف إليها إرسال برقية احتجاج إلى السلطات العليا الفرنسية في 26 فيفري 1938 يحتج فيها بشدة ضد أي مساس بالأحوال الشخصية للجزائريين، وشنّ حملة واسعة ضد القياد وأعوان الاستعمار، وكثف تحركاته في قرى سوف منددا

---

[1] - حمزة بوكوشة، المرجع السابق، ص 04. عمار هلال، المرجع السابق، ص ص275-276.

[2] - حمزة بوكوشة، المرجع السابق، ص ص 5-6. André voisin, Op- Cit, pp 77-78.

[3] - أعلن عن انتهاء الحرب رسميا بعد توقيع الاستسلام من طرف ألمانيا يوم 11 نوفمبر 1918. أنظر: عمر الديراوي: **الحرب العالمية الأولى**، دار العلم للملايين، ط6، بيروت، 1979، ص 580.

[4]- A.O.M. 9H 23. Rapport sur l' arrestation de Si Abdelaziz ben El-hachemi, Chez de Zaouïa Khadirya d'El-oued, 21Avr 1938.

بالسياسة الاستعمارية وأعوانها، وخصوصا في شهر مارس 1938. [1] ورفض غلق المدرسة الإصلاحية التي أزعجت فرنسا، وردّ الشيخ « بأن الزوايا من قديم الزمان تعلّم بدون رخصة.. ».[2]وذلك التحدي جعل السلطات الفرنسية تنتظر الفرصة السانحة لمعاقبته.

واغتنم الشيخ عبد العزيز الشريف زيارة المدير العام للشؤون الأهلية ومناطق الجنوب الجزائري ميليوت "**Milliot**" الذي يرافقه نائب مدير مناطق الجنوب الكولونيل "**Belande**"، وقرر تنظيم مظاهرة احتجاجية، فحذره الحاكم العسكري شفويا وكتابيا، ولكنه أصر على ذلك، ونظم الاحتجاج أو الانتفاضة الشعبية، يوم 12 أفريل 1938، فتجمهر الآلاف أمام مقر الحاكم العسكري بالوادي واستقبلوا مدير الشؤون الأهلية بالغضب. فالتقى الموظف السامي الفرنسي بالشيخ عبد العزيز على انفراد، فقدّم له عريضة مطالبه، التي أكدت على رفع الظلم الاستعماري عن الأهالي، وعدم تدخل الإدارة في الشؤون الدينية للمسلمين، واحترام تعاليم الدين الإسلامي، والمحافظة على مقدساته. بإعادة فتح المساجد التي أغلقت، وتسهيل مهام علماء الإسلام، لأن فرنسا تسهّل مهام البعثات التبشيرية في مناطق ورقلة، وبلاد القبائل، ولم تحترم الحرية الدينية والعقائدية للسكان. [3]

كما دعا إلى إعادة الاعتبار للمدارس العربية الحرة لتقوم بدورها التعليمي في نشر اللغة العربية. والتخفيف من حدّة الأزمة الاقتصادية في سوف، وباقي مناطق الجنوب، فوعده المدير العام بتقديمها لحكومته، فخرج الشيخ للجماهير وأمرها بالانصراف. [4].

---

[1] - أنظر: Robert Thiriet , Op- Cit, p 48- 49. عمار هلال، المرجع السابق، ص 330. إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 175.

[2] - عبد الحميد بن باديس، " الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي والإصلاح "، **البصائر**، العدد 123، 22 / 07 / 1938.

[3] - Robert Thiriet, Op- Cit, p 47-49.

[4] - أنظر: عمار هلال، المرجع السابق، ص 333-331. إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 177- 178.

لكن السلطات تفاجأت بتجمع عدة آلاف من سكان سوف الثائرين، يومي 13، 14 أفريل 1938[1] فتجددت المظاهرة، والتي استطاعت السلطات إنهاءها بعد التفاوض مع الشيخ عبد العزيز مرة أخرى، ولكن الأحوال بقيت مضطربة بالمنطقة في الفترة ما بين (13 - 18 أفريل 1938) وتجدّدت الاضطرابات، عندما صمّم الشيخ عبد العزيز على تنظيم مظاهرة أضخم، وبدأ يتنقل يوم 17 أفريل 1938 بين قرى سوف، واعتبرت السلطات العسكرية تلك الحركة إعلانا للحرب المقدسة بالوادي،[2] حينئذ وجدت المبرر، لإنهاء نشاط العلماء، فاعتقلت الشيخ عبد العزيز، وأتباعه من علماء ومريدين، وبعض أعيان سوف، وسجنتهم، ونفت بعضهم، وأجبرتهم على أعمال السخرة، ولاسيما الشيخ علي بن سعد، والشيخ عبد القادر الياجوري، والسيد عبد الكامل النجعي، فأودعتهم سجن الكدية بقسنطينة. وجعلت السكان يعيشون حالة من الفزع والخوف كما عبّر الشيخ ابن باديس في البصائر[3].

والجدير بالذكر أن جمعية العلماء لم تكن موافقة على سلوك علماء سوف، ولكنها وقفت مدافعة عنهم، عبر البصائر من طرف الشيخ عبد الحميد بن باديس[4]، وتكفلت بالدفاع عنهم مستعينة بالمحامين ورجال القانون من جهة، ومثيرة لقضيتهم إعلاميا باستمرار في جريدة البصائر،[5] وجريدة "الدفاع"،[6] وتذكير فرنسا التي تعتبر نفسها أم

---

1 - A.O.M. 9H 23, Renseignement sur une Manifestation à 'El-oued,14 Avr 1938.

2 - A.O.M. 9H 23. Rapport sur l'arrestation de Si Abdelaziz ben El-hachemi, Chez de Zaouïa Khadirya d'El-oued, 21Avr 1938.

3 - عبد الحميد بن باديس، "حول كارثة سوف الأليمة، ثم سكوت "، **البصائر**، العدد 121، 08/07/1938.

4 - أنظر المقالات في البصائر، 13ماي 1938 بعنوان:" ماذا في الجنوب؟ أندجينا جديدة بعد مائة سنة وثمان سنوات" والعدد112 6 ماي 1938 " ماذا في سوف؟ بعد الاعتقال الضغط والاضطهاد".

5 - A. N. A. S: D.T. S. C:0870, Rapport Mensuel de T.S à M. Le G. G.A, Avril 1938.

6 - le Souf sous la Terreur, **la Défense**, 7 Sep 1938, p02.

الحرية وترفع شعارات العدالة والمساواة، وهي التي حطّمت سجن الباستيل.[1] ولكن الإدارة استمرت في تضييقها ومكثوا في السجن ليكونوا عبرة لكل معتبر.[2]

الخاتمة:

إن سياسة الاستعمار تنم عن غباء وتهور، وتكشف عن حسابات خاطئة، لأن التاريخ لا يحابي أحداً. ولكن المستعمر لا يفهم الدرس، ويكرر الأخطاء باستمرار «وما أشبه الليلة بالبارحة». ومما سبق يمكن الوقوف عند الملاحظات التالية:

ـ مهما بلغت غطرسة المستعمر، واشتدت قبضته، فإن أصحاب الحق وقفوا له بالمرصاد، واحتجوا ضده بشتى الطرق والوسائل، حتى يحققوا ما يريدون.

ـ إن الدفاع عن العرض والاحتجاج من أجل القيم، أمر نابع من العقيدة، ولو دفع المسلم حياته ثمنا لذلك، وحينها يعتبر من الشهداء، لقوله عليه الصلاة والسلام: (من قتل دون أهله فهو شهيد). رواه أبو داود.

كما أن تغيير الأوضاع بالاحتجاج، سواء تعلق بالقيم أم المطالب، كلها ثمن للتضحية، والتماسك بين أبناء المجتمع الذي يجبر المستعمر على التراجع أو التكيف مع الوضع.

ـ مثلت الهدة الأولى، أول احتجاج في الجنوب الجزائري ضد السياسة الاستعمارية، ونجحت في إبطال التجنيد الإجباري، وحسبت – السلطات الاستعمارية - للسكان ألف حساب، وازداد التضييق على الحريات.

ـ توريث المقاومة، والاحتجاج، هو بعث لها من جديد من طرف الابن عبد العزيز اقتداء بالوالد الهاشمي الشريف، وكتب ذلك في سجل المقاومة الشريفة.

---

[1] - عبد الحميد بن باديس: " حول مساجين العلماء، هل في سجن "الكدية" ما يذكرنا بالباستيل؟... "، البصائر، العدد 178، 11/08/1939.

[2] - A.N. A. S: D.T. S. C: 0870. Rapport Mensuel de T.S à M. Le G. G.A, Avril 1938.

فكـرة الجـامعة الإسـلامية
في منطقة وادي سوف [1]

المقدمـة:

إن الإسلام هو الدين الحنيف، والمقوم الرئيسي في حياة الأمة العربية، وأكبر مؤثر في واقع شعوبها، وقد أخرجها من الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء، وصنع منها أمة واحدة، استطاعت أن تجد لنفسها موطن قدم بين أمم الأرض وشعوبها، وارتفعت به في سلم الحضارة الإنسانية، وتبوأت بعقيدتها الصافية السليمة أعلى الرتب. وكان الإسلام على مدار العصور الماضية، ملاذا للمظلومين، وسندا قويا للمجاهدين، وفيه الثقة الكبيرة لدى المرابطين، دفاعا عن الذمار والديار، وروحا تسري في النفوس المقهورة، يجدد عزيمتها، ويولد فيها العمل والحزم، ويحي في أعماقها الأمل، ويهيئ لها السبل لإزاحة الظلم من طريقها.

وكانت العقيدة الصادقة، والدين القيم، والسلوك المستقيم في دنيا الناس، خطرا داهما هدد الوجود الاستعماري في بلاد المسلمين، لأنه يترصدهم بمظاهره الثابتة في كل ميدان. وبعفوية عابرة تتلى آيات القرآن، فتصعق آذانهم، وتزعزع كيانهم. وهو يتجلى لهم في الوحدة الإسلامية المنشودة عند كل مسلم، والخلافة الجامعة التي يهفو لها قلب كل مؤمن. واللغة العربية التي هي محتوى الإسلام، وترتبط تلك المعاني بالأوطان، فتزيد الناس تماسكا. وكلها سمات ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر في لحظة ضعفت فيها الأمة الإسلامية، وتكالبت عليها الأمم كتكالب الأكلة على الطعام، وتجاذبتها الأهواء والغفلة من كل مكان، فهرع العلماء إلى حضارتهم المكنوزة، يغترفون من منابعها الفكرية، ويدعون إلى توحيد صفوف المسلمين. فنهض جمال الدين

---

[1]- محاضرة قدمت في اليوم الدراسي لقسم التاريخ حول المنابع الفكرية والروافد السياسية للحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، المنظم بالمركز الجامعي بالوادي يوم الثلاثاء 2010/3/9.

الأفغاني في الشرق، وسار على دربه محمد عبده ومحمد رشيد رضا، في بلاد العرب. واقتفى أثرهم - في كل بلد - جيل من العلماء، وكانت الوحدة الإسلامية شعارهم، والرجوع إلى أصول الدين الإسلامي وجهتهم الرئيسية. وآزرهم سلطان المسلمين عبد الحميد الثاني، الذي اعتبر أن قوة المسلمين الحقيقية لمواجهة الخطر الغربي، تكمن في وحدتهم على الإسلام، والانضواء تحت لواء الجامعة الإسلامية، فرفع شعاره المعروف « **يا مسلمي العالم اتحدوا** »، ولكن صيحاته وصلت خافتة إلى أسماعهم، وأزيح عن الحكم بكيد اليهود وأشياعهم، وألغيت الخلافة الإسلامية يوم 3 مارس 1924، التي كانت أمل المسلمين في لم شملهم.

وران على بلاد المسلمين الاستعمار البغيض، الذي استهدف القيم الأساسية للمجتمعات، ولكن الشعوب ظلت تقاوم، وسلاحها الفعال هو الإسلام بشموله، وبقيت فكرة الجامعة الإسلامية السابقة الذكر هدفا، وتغلغلت بالجزائر في وقت مبكر، عندما تسللت إليها جريدة العروة الوثقى، وتوجت بزيارة محمد عبدة للجزائر 1903، والشيخ محمد الأخضر بالحسين 1904، وترك ذلك الأثر الكبير في نفوس النخبة المثقفة بالعربية، وحينئذ كانت منطقة وادي سوف على موعد مع هذا الفكر - على بساطته في حياتهم وضمن نشاطات مجتمعهم - الذي تصدى له المستعمر، وتتبع آثاره وحاصر أتباعه، خوفا من الانبعاث الإسلامي الذي يقض مضاجع الطغيان ويدمر أوكار الفساد، ويقتلع الاستبداد من أصوله.

وقد حاولت عند كتابة هذا الموضوع، أن أتتبع مظاهر فكرة الجامعة الإسلامية بوادي سوف الجزائرية، ورصد بعض ملامحها، والتي تتجلى في كل نشاط يمد حبال الوصال مع الإسلام بكل أبعاده وعباداته، وكلها مظاهر تدعوا إلى الاعتزاز بتمسك المجتمع بقيمه التي كانت نوعا من المقاومة الثقافية، والتي واجهها المستعمر، ومنع تلك النشاطات التي يعتبرها المصلحون - بسيطة في شكلها، وخرافية في أدائها - ولكنها تمثل رصيدا إسلاميا، يرجع الناس فيه إلى قيمهم. ورغم الكيد الظالم، فإن الفكرة

الإسلامية استمرت حية في المجتمع، وكانت عنصرا في فكر ونشاط الحركة الوطنية، ودافعا للجهاد عند انطلاق الثورة التحريرية.

واليوم تبقى فكرة الجامعة الإسلامية درسا يتدفق بالعطاء، ومعينا صافيا يجود بالذكريات، ويذكر بالمآثر التاريخية التي تحتاج إلى المزيد من الدراسات، وما هذه الدراسة إلا أرضية للبحث المستقبلي.

1) فكرة الجامعة الإسلامية في الجزائر:

كانت الأمة الإسلامية في الربع الثاني من القرن التاسع عشر تعاني من التخلف والتمزق، والتكالب الاستعماري على أراضيها ولاسيما دولة الخلافة، ونشأت المسألة الشرقية، وحينئذ تعالت الأصوات المنادية بلم شمل المسلمين وتوحيد جهودهم للنهوض من كبوتهم، ونفض غبار الذل والهوان الذي بدأ يتسلل إلى حياتهم، والتصدي للهجمة الصليبية التي تستهدف التهام كيانهم الذاتي، ومثلها طرفان:

أ) الطرف الشعبي: وهم الأحرار من أبناء الأمة الإسلامية وعلماء الإصلاح الذين أخذوا على كاهلهم هم الأمة، وتحملوا مسؤولية الإصلاح لكيانها المتهالك، وأبرزهم جمال الدين الأفغاني (1838 -1897) وتلميذه ورفيقه في درب الإصلاح الشيخ محمد عبدة (1849- 1905)، والشيخ المصلح محمد رشيد رضا (1865 - 1935) وغيرهم من العلماء، [1] ومن تبعهم من الأعيان والوجهاء. ويعد جمال الدين الأفغاني في رأي المستشرق الأمريكي لوثروب ستودارد: «... أول مسلم أيقن بخطر السيطرة الغربية... وأدرك شؤم المستقبل وما سينزل بساحة الإسلام والمسلمين من النائبة الكبرى... فهب يضحي بنفسه ويفني حياته في سبيل إيقاظ العالم الإسلامي.. ».[2]

---

[1]- أنظر: أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية**، دار الغرب الاسلامي، ط4، بيروت، 1992، ج2، ص109.

[2]- أنظر: لوثروب ستودارد، **حاضر العالم الإسلامي**، ترجمة شكيب أرسلان، دار الفكر، ط4، بيروت، 1972، م1، ص 305.

وأمام هذا الخطر كان الأفغاني يرى وحدة المسلمين في شكل جامعة تواجه الخطر الصليبي، ويدعوا إلى وحدة المسلمين في ظل القرآن الكريم، ويجوب العالم الإسلامي وينقل دعوته، ويوقظ المشاعر، وينبه إلى مختلف الأخطار المرتقبة. [1]

ب) **الطرف الرسمي:** ومثله السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وتبنى الفكرة واستغلها لمواجهة خصوم الدولة، وكان سعيه حثيثا لتوحيد المسلمين في خلافة قوية تكون قادرة على حماية المسلمين، والصمود أمام أعدائهم في الشرق والغرب.

وكان دعاة الجامعة الإسلامية ينطلقون من الإصلاح الديني والاجتماعي، والرجوع إلى الإسلام على منهج السلف الصالح، وهي فكرة قديمة في الجزائر، وظهرت منذ أول يوم للمواجهة مع الاستعمار، ويعتبر حمدان بن عثمان خوجة أول جزائري يتحدى الأوروبيين مؤكدا على الإسلام كمعلم حضاري لا يتعارض مع القيم الحضارية الأوروبية، وبعده الأمير عبد القادر الذي أثبت مقدرة على تبني الفكر الإسلامي في مرحلة الجهاد والمقاومة، وبعد نفيه إلى المشرق العربي، ومثله حمدان خوجة.

والجدير بالذكر أن فكرة الجامعة الإسلامية وجدت الحرية في المشرق في لبنان ومصر وإستانبول عن طريق الصحافة والتفاف المثقفين ومؤازرة الجهات الرسمية في بعض الأحيان، بينما واجهت التضييق والاضطهاد في الجزائر، واضطر أصحابها إلى استعمال الشعر الشعبي للتعبير عن مواقفهم.

ورغم التضييق فإن الجزائر كانت حقلا خصبا لدعاة الجامعة الإسلامية منذ فترة الثمانينيات من القرن التاسع عشر، وكان السلطان عبد الحميد الثاني يحظى بمحبة الجزائريين الذين يرون فيه المنقذ لهم من الاستعمار، وكان عزله صدمة كبرى لهم، [2] ولكن عملهم لم يتوقف، وبرزت مظاهره في مختلف النواحي، ومنها منطقة وادي سوف بالجنوب الشرقي من الجزائر.

---

[1]- أنظر: علي عبد الحليم محمود، **جمال الدين الأفغاني**، دار عكاظ، الرياض، 1979، ص 359.

[2]- أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص111-109.

2) مظاهر ونشاطات وملامح الجامعة الإسلامية بوادي سوف:

إن النشاطات التي تخدم الفكرة في معظمها عفوية، وتغلب عليها الذاتية، وليس لها نسق التنظيم المهيكل، لأن الشعور والعاطفة الإسلامية راسخة في نفوس العامة، والسلوك العملي عند الفئات الإسلامية(مرابطون واصلاحيون) يمتد بحبال الوصال مع الشرق وتفاعلاته الثقافية، وكانت الصحف السيارة تنقل لهم الأخبار السياسية عن الدولة العثمانية من جهة، وأفكار الأفغاني ومدرسته الفكرية عبر العروة الوثقى، وأبرز المظاهر والنشاطات التي يمكن وضعها في خانة الفكرة الخادمة للجامعة الإسلامية، هي:

- رد الفعل الشعبي على عزل سقوط السلطان عبد الحميد سنة 1908، والذي أحدث هزة عند الجزائريين، وحينئذ تفطن بعض الشباب من النخبة الجزائرية، وبدأوا في استعمال الطربوش منذ 1909. وهو غطاء الرأس الذي كان رمزا للعزة عند الشباب التركي الثائر في تلك الأثناء.[1] ومثلهم فعل الشباب المثقف في وادي سوف، كالعمودي والتليلي وحمزة بوكوشة وغيرهم من النخبة المثقفة ولاسيما الذين درسوا بالزيتونة.

- الدعاء للسلطان العثماني، لأن منطقة وادي سوف في بداية القرن العشرين، كانت محافظة على ولائها للسلطان العثماني، وتعبر عن ذلك بالدعاء له في صلاة الجمعة في كل زواياها ومساجدها، ما عدا زاوية سي محمد العروسي بقمار، لأن العلاقة كانت سيئة بين التجانيين والدولة العثمانية، لأن الأتراك في الجزائر كانوا سببا في خروج الشيخ أحمد التجاني من الجزائر إلى فاس، إثر التضييق التركي. [2]

- دخول الكتب والصحف التونسية إلى وادي سوف، وتأثيرها على السكان، وحينئذ تشبع بأفكارها طلبة جامع الزيتونة الذين مثلوا أحسن جالب لتلك الأفكار

---

[1]- المرجع السابق، ص ص 114-109.

[2] D.D.M.E: Classe Dirigeante de l'Annexe d'El-oued- S.D.

الإسلامية، وشارك بعضهم في الصحافة التونسية منذ العشرينيات، وخصوصا على صفحات جريدة النهضة بتاريخ جانفي 1925. [1]

- زيارة العلماء المصلحين للبلاد، وعلى رأسهم الشيخ محمد الخضر حسين، والذي قام برحلات إلى الجزائر أثناء بحثه ودراسته لأحوال العالم الإسلامي، قبل هجرته إلى المشرق، [2] وتلك الزيارة لا تقل أهمية عن زيارة محمد عبده إليها، فقد دون رحلته الأولى إلى الجزائر في مجلته « السعادة العظمى» بتاريخ 12 نوفمبر 1904، ومن خلال تتبع مسار رحلته العلمية الدعوية، ومحتواها، [3] ندرك الأهداف التي توخاها بمقابلة علمائها، وكذلك زيارته لوادي سوف، التي وقعت سنة 1905، وتركت أثرا في وسط السكان، لأنه تنقل في قرى سوف، وخاصة قمار وكوينين، وجالس العلماء في الزاوية الرحمانية، والمسجد العتيق بالوادي، ودرس بعض الكتب المهمة في الحديث، وتفسير القرآن. [4] والتقى بالشيخ إبراهيم العوامر، الذي كان تلميذه في جامع الزيتونة بتونس. [5]

- المسامرات الليلية التي كان يعقدها الشيخ إبراهيم العوامر في بيت خاص، وهو بمثابة المنتدى الثقافي والسياسي، ويجمع تلاميذه وأتباعه، وكأنهم في سمر عادي، ولكنهم يتناقلون أخبار الشرق الإسلامي ولاسيما أحداث الدولة العثمانية، والحرب الطرابلسية ضد الاستعمار الايطالي، ومما ذكره تلميذه حسني الهاشمي: «.. كان رحمه الله يخرج بعد كل عشاء من داره فندخل معه منزلا خاصا بندواته ليلقي علينا

---

[1]- محمد الصالح الجابري، **الأدب الجزائري في تونس**، بيت الحكمة، جزءان، قرطاج، 1931، ج1، ص ص 59-58.

[2]- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990، ج3، ص 104.

[3]- أنظر: محمد الخضر حسين، **مجلة السعادة العظمى**، العدد 19/20، في 16 شوال 1322هـ/23 ديسمبر 1904. والعدد 21 في غرة ذي القعدة 1322هـ/ 7جانفي 1905، تح، علي الرضا الحسني، ص ص 158-144. محمد صالح الجابري، **رحلات جزائرية**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2001، ص 50.

[4]- رسالة حمزة بوكوشة من الجزائر يوم 12/01/1994.

[5]- لقاء مع الشيخ أحمد خراز بالوادي يوم 02/10/1998.

مسامرات حول السياسة وأخبار المجاهدين بحرب طرابلس ضد الطليان أو حرب تركيا مع البلقان أو غير ذلك. وقد تتواصل هذه الندوات إلى منتصف الليل... ». [1]

- الحرب العثمانية الايطالية في ليبيا، وكانت فرصة لتعلق الجزائريين بفكرة الجامعة الإسلامية. والجدير بالذكر أن سليمان الباروني كان مسالما لفرنسا، [2] وتمكن من زيارة الجزائر وتونس ما بين 1914-1915، وربط علاقات مع العلماء والأعيان، [3] وتمت المراسلات بينه وبين الشيخ الهاشمي الشريف، الذي وصفه الحاكم العام في الجزائر بموالاته للفرنسيين،[4] وخضعت غدامس يومئذ لسلطة سليمان الباروني المستقر في أكتوبر 1917 ببلدة نالوت الواقعة إلى الشمال من غدامس، [5] وكانت المراسلات دائرة بين الشيخ الهاشمي الشريف بوادي سوف، والباروني الذي ينتظر من الشيخ الهاشمي الفاتحة والبركة الصوفية.[6] وقد أثارت هذه النشاطات انتباه السلطات، وواجهتها بشتى الأساليب الزجرية.

---

[1]- أنظر: حسني الهاشمي، **نبذة من حياة المؤلف**، إحدى مقدمات إبراهيم العوامر، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977، ص 13.

[2]- أبو القاسم سعد الله، "سليمان الباروني أضواء وملاحظات "، **مجلة الثقافة**، الجزائر، العددان 111-110، سبتمبر- ديسمبر، 1995 ص 240.

[3]- A. N. T, S:H. C: 278. D:17 Lettre de M. le Commandant de la Division d'Occupation de Tunis, à M. le Résident Générale Mai 1915.

[4]-A. N. T. S:D. C: 178. D:5/1. Lettre de G. G. A, à M le R. G. T, le 4 Août 1915.

[5]- Rapport de Gouverneur Général de l'Algérie à M. le Président du Conseil Ministre de la Guerre à Paris. Le 13 des 1917,**DHF** 4èm Série. N:37.p560-562.

[6]- أبو القاسم سعد الله،"سليمان الباروني أضواء وملاحظات "، **مجلة الثقافة**، المرجع السابق، ص 240.

3) محاربة الفرنسيين لفكرة الجامعة الإسلامية:

كانت السلطات الفرنسية ترى في حركة الجامعة الإسلامية، خطرا بارزا لا بد من التصدي لأدنى ملامحه التي توحي إلى الانتماء السياسي والروحي، وتجسد رد الفعل على الدعاية إلى الفكرة السابقة، في المواقف التالية:

- التنبيه إلى قيمة الدعاء للسلطان العثماني بوادي سوف، والذي يتطلب الحذر الشديد، لأن كلماته تحمل معاني الولاء، ولو صدر ذلك السلوك من أتباع الإدارة، وأعوان السلطة المحلية.[1]

- منع النشاطات الاحتفالية الدينية المهرجانية البارزة في الشوارع، مثلما وقع في عهد القايد مصرلي عبد العزيز، فعند تعيينه على عرش المصاعبة في 1919، وبمناسبة المولد النبوي الشريف، طلب من رجال العلم في مسجد سيدي المسعود بالوادي، وبعد قراءة المولد صباحا في المسجد المذكور، أن يكملوا إنشاد بقية القصائد في بيته، ويختموها بطعام الغداء. وتم الأمر كما خطط له، وتوجه جمعهم تحت إشراف القايد والأئمة، على أنغام الدفوف، وأصوات المدائح الدينية، وقصيدة البردة، في موكب روحي متميز، قطع الشارع من المسجد إلى بيت القايد، ولما بلغ الأمر إلى مسامع الحاكم العسكري لملحقة الوادي، توجه باللوم والعتاب للأئمة والقايد مصرلي، بقوله:

« **إن عهد الخلافة قد انتهى، ولا ينبغي أن يتكرر هذا مرة أخرى**». والسبب في معارضة الحاكم لهذا السلوك العابر، أنه رأى في تلك المراسيم الدينية موقفا سياسيا ينذر بالخطر، ولا بد من إيقافه حتى لا يستشري أمره ويؤثر على وجودهم في المنطقة. وبادرت السلطات بالتصدي للمظاهر الطرقية المشتبهة - عندهم - فأمرت بنزع الأعلام الخضراء التي تزين ضريح الولي الصالح سيدي أحمد الغرايسة بمدينة الوادي، بإشارة من الأب المسيحي (كريبس) لأنه لا ينبغي أن يرفع إلا العلم الفرنسي.[2]

---

[1]- D.D.M.E: Classe Dirigeante de l'Annexe d'El-oued- S.D.

[2]- لقاء مع أحمد خراز ببيته بالوادي يوم الجمعة 03/06/2005.

- توظيف رجال الطرق الصوفية في الجزائر، ومنها وادي سوف للوقوف مع الثورة العربية، ومساندتها معنويا ضد الأتراك، والتي توجت بإعلان الشريف حسين، الثورة العربية الكبرى ضد الدولة العثمانية يوم 10 جوان 1916، ويومها أصدر المنشور الأول للثورة يوم 26 جوان، ووزع في المشرق، وحرصت بريطانيا على نشره - في نطاق واسع - في شمال إفريقيا، بالتنسيق مع فرنسا، وتم توزيعه على شيوخ الطرق الصوفية المؤثرة على الحياة السياسية بوادي سوف، وخصوصا الشيخ الهاشمي الشريف، من أجل القضاء على العاطفة التي تكنها الطريقة للدولة العثمانية، وقطع الطريق على المقاومة الليبية الموالية للسلطة العثمانية القديمة بطرابلس الغرب. [1] وكذلك محمد العروسي شيخ التجانية بقمار، واستغلت العلاقة السيئة لهم مع الأتراك بسبب المضايقات التي تعرض لها الشيخ أحمد التجاني في الجزائر - مما دفعه إلى الاستقرار بفاس - وتم توظيف ذلك الجفاء لخدمة أغراض الاستعمار في قطع الطريق على المقاومة الليبية.

وتضمن المنشور نقدا لاذعا للعثمانيين وسلوكهم المخالف للإسلام في بلاد الحجاز، والاعتداء على الحرم المكي وتدنيسه، وضربه بالقنابل، فضلا عن الظلم المتكرر في حق العلماء والأعيان، ونصب المشانق، وإصدار قوانين تخالف الشريعة الإسلامية. [2] والسبب اختيار الشريف حسين، والحرص على توزيع منشور ثورته، لتحقيق عدة أهداف تخدم السياسة الفرنسية في الجزائر، وأبرزها إضعاف الدعوة إلى الجامعة الإسلامية التي هزت مشاعر الجزائريين بعد الاحتلال الايطالي لليبيا سنة 1911، وأظهرت المقاومة الليبية المسلحة تعاطفا شعبيا معها. [3]

1- أنظر: رسالة رئيس مركز تطاوين إلى المقيم العام الفرنسي بتونس، 5 جويلية 1915، وما ورد في الوثائق الفرنسية، **DHF** 2èm Série. N:18.p60.

2- أنظر: سليمان موسى، "المنشور الأول للثورة العربية الكبرى وتوزيعه في شمال افريقيا "، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 87، تونس، جانفي 1977، ص ص111-106.

3- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 116.

- كسب ود القوى الإسلامية الجزائرية، ومنهم رجال الطرق الصوفية المؤثرين والأعيان، من أجل تدجينهم لخدمة الأهداف الاستعمارية بطريقة غير مباشرة، وحتى يستخلصوا العبرة من سيطرة الشريف حسين على مكة، وقد أرسل حاكم ملحقة الوادي في يوم 20 جويلية 1916 إلى الشيخ الهاشمي الشريف يخبره بسقوط قلعة الأتراك في مكة يوم 9 جويلية بعد الاستسلام، والتسليم التركي التام للشريف حسين،[1] وهو خبر يحمل التحذير للشيخ الهاشمي، والرغبة في نشر الخبر على نطاق واسع بين أتباع الطريقة القادرية، لأن البلاغات التركية ظلت تصدر منكرة قيام أي ثورة في بلاد الحجاز. [2] ولم ترتاح السلطات الفرنسية لأعمال الشيخ الهاشمي، فعاقبته بعد هدة عميش بالنفي تأديبا له، ولتجعله عبرة، وتخفف من حدة الروح الدينية التي عرفت بها الطريقة القادرية.

ورغم سقوط الخلافة نهائيا في 1924، والحذر المتواصل من السلطات الفرنسية، إلا أن فكرتها بقيت في أذهان السكان، ومثلت المبادئ القريبة من الحركة الوطنية، وعبر عنها الشاعر الشعبي الهادي جاب الله في الأربعينيات بقوله:

تحيا الجمعية الوطنية والخيرية * والناس اللي يحبُّوا الحرية

تحـيا اللغـة العربية بالثـقافة * ويتجدد **عهد الخلافة** [3]

---

[1]- أنظر: نسخة من الرسالة عليها ختم الزاوية القادرية بالرويسات، وهي منشورة ضمن كتاب حميدة عميراوي، **رسالة الطريقة القادرية في الجزائر**، دار الهدى، عين مليلة - الجزائر، المرجع السابق، ص 74.

[2]- جورج انطونيوس، **يقظة العرب**، تر، ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1978، ص 297.

[3]- شاعر شعبي ولد بالوادي عام 1882، وكان فلاحا، وبدايته صوفية، وانتمى إلى جمعية العلماء، أنظر: أحمد زغب، "صدى الحركة الاصلاحية بوادي سوف"، **مجلة القباب**، دار الثقافة بالوادي، العدد 01، جوان 2004، ص 26.

الخاتمة:

إن فكرة الجامعة الإسلامية في الجزائر ونشاطاتها، ودورها في منطقة وادي سوف في النصف الأول من القرن العشرين، تكشف عن رصيد تاريخي معتبر، وتظهر أن الأفكار النبيلة تدب فيها الحياة بعد موت أصحابها، ويمكن الوقوف على بعض الملامح المستخلصة من هذه الدراسة الأولية:

أن الفكر الإسلامي يشكل خطرا كبيرا على الاستعمار، ويرى فيه سلاحا يهدد كيانه، وهو فكر أصيل، تكمن في طياته معاني الجهاد الحقيقية التي يعادي أصحابها، كل الظالمين المغتصبين. وفكرة الجامعة الإسلامية على ضعف مظاهرها، فقد استرعت الانتباه، ودفعت إلى التنبيه والحذر الشديد، خوفا من إحياء الخلافة الإسلامية.

ويسعى المستعمر إلى عزل السلوك الإسلامي، الذي يشعر المسلمين بذاتهم، ولو كان له طابعه « الكرنفالي» مثل المدائح، والرايات الخضراء، والدعاء بالنصر للخليفة الضعيف، لأن الحياة الدينية كانت من وراء الثورات الشعبية التي قادها شيوخ الزوايا، وأطرتها الطرق الصوفية ولاسيما القادرية التي سعى الحاكم الفرنسي إلى تدجينها، وعزلها عن العمل الجهادي، وترك لها متنفسا في العلاقة مع الباروني، ولكن تحت مراقبة شديدة.

وحرص الاستعمار على تشجيع الفكر القومي، ونصرة الشريف حسين الذي اتخذوه معولا لهدم الدولة العثمانية، وتقويض صرح الخلافة الإسلامية، واستغلال الطرق الصوفية للوقوف ضد الأتراك، وتعميق سياسة فرق تسد الاستعمارية.

ولا بد أن نلاحظ أهمية النشاط الثقافي الصحفي، ورحلات العلماء، والمظاهر الإسلامية، ولو كانت طربوشا يرتدى، أو راية خضراء ترفرف فوق ضريح أحد الأولياء، أو دعاء عابر لنصرة أحد الخلفاء، فكلها عوامل صحة للجسد الإسلامي المتهالك، الذي يطلب الإنعاش باستمرار، وحينئذ كانت تلك المظاهر مصادر قوته، وبعث الحياة في كيانه، والإعلان عن بقاء الروح الرافضة للطغيان على مر الأيام في كل البلدان.

النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين
بوادي سوف 1931-1938[1]

تمهيد:

منذ نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 1931، أعلنت عن طبيعتها بأنها جمعية إرشادية تهذيبية، لا تتدخل في المسائل السياسية، بل تسعى لمحاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والفجور، وكل ما يحرمه الشرع الإسلامي ويرفضه العقل السليم، وتمنعه القوانين، التي تعمل الجمعية في إطارها. ولكن الممارسة العملية جعلتها تقتحم الميدان السياسي بدون اختيار وروية، لأن الدفاع عن المقومات، فرض عليها التدخل لدى السلطات الاستعمارية، والمشاركة في النشاطات الوطنية، مثلما حدث في المؤتمر الإسلامي الجزائري 1936. إلا أن السلطات الاستعمارية كانت تتحين الفرص لمعاقبة المخالفين، مثلما حدث لعلماء وادي سوف، الذين تعرضوا للسجن والتعذيب والنفي، وإغلاق المدارس ظلما وعدوانا.

ولكن الجمعية دأبت على التذكير والتحذير للاستعمار، بأنها لن تترك الدفاع عن مقومات الأمة، كما عبر عن ذلك الشيخ البشير الإبراهيمي في البصائر سنة 1947، في مقاله «جمعية العلماء موقفها مع السياسة والساسة»، وهو يخاطب الاستعمارِ:

« يا حضرة الاستعمار: إن جمعية العلماء تعمل للإسلام بإصلاح عقائده، وتفهم حقائقه - وإحياء آدابه وتاريخه - وتطالبك بتسليم مساجده وأوقافه إلى أهلها. وتطالبك باستقلال قضائه، وتسمي عدوانك على الإسلام، ولسانه ومعابده، وقضائه، عدوانا

---

[1]- محاضرة ألقيت في معهد الآداب واللغات، بالمركز الجامعي بالوادي، أفريل 2003.وكذلك في اليومين الدراسيين حول جمعية العلماء ومساهمتها في الحركة الوطنية والثورة بالمركز الجامعي بالوادي، القطب الجديد، يومي 17/18 أفريل 2006. ونشرت في **مجلة القباب**، الصادرة عن دار الثقافة بالوادي، العدد الأول، جوان 2004، ص ص 33-40.

بصريح اللفظ، وتطالبك بحرية التعليم العربي، وتدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن... ››.

وظلت الجمعية في قوانينها الأساسية تصرح، بأنها جمعية دينية، علمية، تهذيبية، أدبية - حتى في قانونها المعدل سنة 1951 - مؤكدة عدم تدخلها في المسائل السياسية، لكي تجنب نفسها المصير الذي لقيته معظم الحركات السياسية الوطنية الجزائرية.

والجدير بالذكر أن النشاط الفكري التعليمي، والتحرك السياسي لعلماء الجمعية في وادي سوف هو أحد النماذج المتميزة للنشاطات السياسية للجمعية في فترة الثلاثينيات.

1- ظهور النشاط السياسي الإصلاحي بوادي سوف:

كانت منطقة وادي سوف تعيش وضعا سياسيا صعبا عند ظهور جمعية العلماء، بسبب خضوعها للحكم العسكري العنيف، الذي تحكم في النفوس والعقول، وحاول بث الشقاق والفرقة بين العشائر. [1]إلا أن بعض علماء سوف لبوا نداء إخوانهم العلماء، وحضروا للاجتماع التأسيسي بنادي الترقي بالعاصمة، وحينئذ بدأت النشاطات السياسية تمارس على نطاق واسع بالمنطقة، وسبب ذلك إزعاجا للاستعمار الذي رد بقوة، محاولا اجتثاث العمل الإصلاحي من الأعماق، ومن أبرز النشاطات الأولية التي واجهها المستعمر في وادي سوف:

أ. نشاط الشيخ عمار بن الأزعر القماري:

هو أبرز شيوخ سوف الذين حضروا لتأسيس الجمعية، وقام بدور بارز في قمار بالخصوص، فحارب البدع والضلالات، والمفاسد الأخلاقية، والأفكار الطرقية، والسياسة الاستعمارية الظالمة، فترك الأثر الكبير في المنطقة، واستقطب الأتباع، فانزعجت السلطات الاستعمارية من نشاطه، فتعرض للمضايقات فاضطره ذلك إلى

---

[1]- إبراهيم العوامر، الصروف في تاريخ الصحراء وسوف، مرجع سابق، ص 71.

الهجرة نحو المدينة المنورة سنة 1937. [1]

ب. تحول الشيخ عبد العزيز الشريف من الطرقية إلى زعامة الحركة الإصلاحية:

نال الشيخ عبد العزيز الشريف شهادة التطويع بامتياز في حياة والده، وتولّى مشيخة الزاوية القادرية بوادي سوف إثر وفاة والدة الهاشمي سنة 1923. ولكن تحولا مفاجأ حدث في حياته سنة 1936 عندما رحل لأداء فريضة الحج، جعله يعايش - عن قرب - الأحداث السياسية، والنشاطات الشعبية الحرة، واحتكّ ببعض علماء مصر في طريق عودته، فصمّم فور رجوعه على الانضمام لجمعية العلماء، [2] وراسل الشيخ عبد الحميد بن باديس، فرحّب به، وعيّنه كعضو نشيط في مكتب الجمعية مكلَّف بمناطق الوادي وما جاورها. [3] وحضر الشيخ عبد العزيز الشريف للمؤتمر السنوي العام للجمعية بنادي الترقي في 24 سبتمبر 1937، ويومئذ توج من طرف الشيخ كأحد جنود الإصلاح في الجزائر. [4] فتحولت الزاوية القادرية بوادي سوف ما بين 1937-1938 إلى إحدى القلاع التي تفتخر بها الحركة الإصلاحية في الجزائر. وكانت أبرز أعماله التي سبّبت له المضايقة الاستعمارية هي:

- تأسيس أول مدرسة عصرية إصلاحية بمدينة الوادي، واختار لها أساتذة من رجال الجمعية أبرزهم الشيخ عبد القادر الياجوري، والشيخ علي بن سعد القماري.
- تنظيم زيارات لرجال جمعية العلماء، وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ الفضيل الورتلاني.
- تزعم الشيخ عبد العزيز الانتفاضة الشعبية في سوف عام 1938، والتي أدت إلى التصادم مع السلطات الاستعمارية.

---

[1] - الطاهر التليلي، من تاريخ وادي سوف مخ، ص 86-87. أنس يعقوب الكتبي الحسني. أعلام من أرض النبوة، ص 139-140.

[2] - إبراهيم مياسي، " جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف "، **مجلة الثقافة**، العدد 109، 1995، ص 165-167.

[3] - عمار هلال، " الشيخ عبد العزيز ن محمد الهاشمي "، **مجلة الثقافة**، العدد 113، 1996، ص 278.

[4] - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 169.

2- زيارة الشيخ ابن باديس لوادي سوف وأثرها السياسي:

بعد انضمام الشيخ عبد العزيز الشريف، بادر بتنظيم زيارة لرئيس الجمعية، بمعية وفد هام في أواخر شهر ديسمبر 1937، [1] واستمرت الزيارة إلى بداية جانفي 1938. وضم الوفد: الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الفضيل الورتلاني، والشيخ مبارك الميلي، والشيخ محمد خير الدين، [2] والشيخ العربي التبسي، والشيخ حمزة بوكوشة، [3] وقام الوفد بزيارة معظم قرى الاقليم، والتقى بأفاضل السكان، وكان للزيارة أهداف سامية هي:

- بث الوعي الوطني في المجتمع السوفي، والاتصال بالجماهير مباشرة بدون واسطة (مثلما حدث في السوق الشعبي لمدينة الوادي في يوم الجمعة، الذي يجمع معظم السكان).

- كسر حاجز الخوف المضروب على السكان من جرّاء الحكم العسكري، الذي كان يتتبع تحركات الوفد، ويستقصي أقواله، بواسطة الجواسيس وأعوان الاستعمار.

- إبراز هيبة العلماء، وربطهم بالجماهير، وتمكينهم من تصحيح المفاهيم الخاطئة، ولمّ شمل أبناء الجهة، وتعليمهم نبذ الخلاف عمليا، عندما زار الوفد مواقع الطرق الصوفية في الرقيبة وتاغزوت، وتمكّن من مواجهة سياسة « فرّق تسد» التي بذرها الاستعمار.

- إظهار زيف الفكر الخرافي، بتقديم المبادئ الإسلامية صافية نقية من كل زيف وفق المنهج الباديسي، الذي يستقي أفكاره من نصوص القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والموروث الفقهي الإسلامي، وبرز ذلك جليا في الخطب التوجيهية لعلماء الوفد الزائر:

---

[1] - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 169. عمار هلال، المرجع السابق، ص 278.

[2] - مذكرات الشيخ محمد خير الدين. ج 2- ص 280.

[3] - سعد العمامرة، الجيلاني العوامر، **شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف**، مطبعة النخلة، الجزائر، ب ت ط، ص16.

- تفسير الشيخ عبد الحميد بن باديس في مدينة الوادي قوله تعالى: « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ». [1] وبعده الشيخ مبارك الميلي قوله تعالى: « وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون ».[2]

- وفي بلدة البهيمة (حساني عبد الكريم حاليا) كان درس الشيخ عبد الحميد بن باديس هو تفسير قوله تعالى: « وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ».[3] وفي بلدة الزقم فسّر الشيخ الرئيس قوله تعالى:« وأوصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب».[4] وألقى بعده الشيخ العربي التبسي درسا شرح فيه الحديث النبوي الشريف: « الدين النصيحة ». [5] لأن الوضع العام يقتضي ذلك التوجيه. [6]

- أما في سوق مدينة الوادي الجامع للسكان يوم الجمعة، فقد فسّر الشيخ بن باديس الآية الأولى من سورة النساء: « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ». [7] وركّز حديثه عن الأخوة الإسلامية والأخوة الإنسانية والروابط التي تربط بين المجتمع، وفسر الآية تفسيرا عميقا، [8] وحين نقل الترجمان الذي بعثه الحاكم العسكري ليتجسس على الشيخ ابن باديس، قال للحاكم: « انه يقرأ القرآن، ولم أفهم ماذا يقول ». وهي لعمري حكمة الشيخ ابن باديس، الذي كان يعمل على بث الوعي عند الشعب ويهيئه لأمر جلل في المستقبل. [9]

---

[1] - سورة النساء، الآية 1.

[2] - سورة الذاريات، الآية 56.

[3] - سورة الاسراء، الآية 82.

[4] - سورة البقرة، الآية 132.

[5] - حديث صحيح رواه البخاري ومسلم.

[6] - أنظر: حمزة بوكوشة، وفد بوادي سوف ونواحيها، **البصائر** العدد 95، والعدد 96، جانفي 1939.

[7] - لقاء مع الشيخ عثمان مجور في عيد الفطر 1995/3/3 في بيته.

[8] - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 173.

[9] - علي غنابزية، "جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف، نشاط فكري وسياسي وتجاوب واسع"، **جريدة الشعب**، الإثنين 27 جويلية 1998.

- السعي الحثيث لتنظيم وهيكلة الجمعية وتأسيس شُعب لها في المنطقة، وكانت -بعد الزيارة- تحت رعاية الشيخ عبد العزيز الشريف.

أما الأثر الفعال الذي تركته الزيارة فيمكن تحديده فيما يلي:

-تم فتح المدارس في مختلف أنحاء المنطقة وخصوصا الوادي وقمار والزقم والرقيبة، واستمرت فيما بعد في إعداد جيل أول نوفمبر، ومعظم الثوار درسوا بها، وكانوا الركيزة الأولى لحزب الشعب في الوادي وخاصة عبد القادر العمودي، والمجاهد أحمد ميلودي وغيرهم.

-أعطت الزيارة انطلاقة العمل السياسي في صفوف الجبهة، ومهّدت للعمل الحزبي مستقبلا.

-أرست سلوكا حضاريا راقيا، تمثّل في إصلاح ذات البين، بالتقريب بين أتباع الطرق الصوفية وخاصة في بلدة الرقيبة. يقول الشيخ محمد خير الدين: « فقد زرنا الرقيبة وهي بلدة صغيرة تتنازعها طريقتان القادرية والتجانية، وقد بلغ الشقاق بينهما شأوا بعيدا فحرّموا التعامل والتزاوج بينهما وقسّموا المسجد الجامع شطرين، أقاموا في وسطه جداراً فاصلا جعل من المسجد مسجدين، مسجد لهذه ومسجد لتلك، وقد دعانا الشيخ عبد العزيز إلى زيارة هذه الناحية، واستقبلنا استقبالا حافلا فألقينا الدروس وعقدنا الاجتماعات ونظمنا الشعبة ومضينا ». [1]

-عرّفت زيارة ابن باديس سكان وادي سوف بالعلماء العاملين، فازداد إقبال الناس على أفكار الجمعية، وصحفها التي كانت توزّع في السوق في حانوت أحد رجالها.

-الاتصال بالقرى المعزولة، وصناعة الحدث السياسي، بجلوس الناس إلى العلماء والسماع إليهم مباشرة، والأخذ من كلامهم العلمي، وأفكارهم الإصلاحية الجديدة.

[1] - مذكرات خير الدين، ج1، ص 280-281.

-أعطت دفعا للجمعية بوادي سوف، وشجعت الشيخ عبد العزيز الشريف على العمل أكثر، فنظم بعدها زيارة أخرى في أواخر شهر جانفي 1938 للشيخ الفضيل الورتلاني، المعروف لدى السلطات الاستعمارية بتصلب آرائه ومواقفه الثابتة. [1]

- شجّعت الشيخ عبد العزيز الشريف على تكثيف معارضته للاستعمار، وتحدّيه اقتداء بوالده، فنظم انتفاضة، معتمدا المنهج الثوري في وقت مبكّر، مخالفا بذلك منهج الجمعية.

3.علماء الجمعية بوادي سوف والانتفاضة الشعبية (1938):

تعتبر الفترة ما بين 1937 – 1938 من أهم فترات النشاط السياسي الثوري، لدى الشيخ عبد العزيز الشريف، الذي اتخذ من جمعية العلماء غطاء سياسيا، لكنه خالفها في الممارسة السياسية، عندما اعتمد « المنهج الثوري » والمعارضة الراديكالية وتجلت ملامحها في العناصر التالية:

- ربط علاقات مع الحركة الوطنية التونسية، منذ كان طالبا بالزيتونة، [2] وواصلها بمراسلة الدكتور الماطري مسؤول الحزب الدستوري، وحاول التنسيق معه للقيام بعمل ثوري ضد الاستعمار. [3]

- أرسل برقية احتجاج إلى السلطات العليا الفرنسية في 26 فيفري 1938 يحتج فيها بشدة ضد أي مساس مباشر أو غير مباشر بالأحوال الشخصية للجزائريين. [4]

- شنّ حملة واسعة ضد القياد وأعوان الاستعمار، وكثّف تحركاته في قرى سوف منددا بالسياسة الاستعمارية وأعوانها، وخصوصا في شهر مارس 1938. [5]

---

[1] - عمار هلال، المرجع السابق، ص 280.

[2] - عمار هلال، المرجع السابق، ص ص 277-285.

[3] - عبد المجيد الشريف، محاضرة عن حياة عبد العزيز الشريف، ص 02.

[4] - عمار هلال، المرجع السابق، ص ص 277-285.

[5] - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 175.

- رفض غلق المدرسة الإصلاحية التي أزعجت فرنسا، « وردّ الشيخ بأن الزوايا من قديم الزمان تعلّم بدون رخصة.. ». [1]وذلك التحدي جعل السلطات الفرنسية تنتظر الفرصة السانحة لمعاقبة الشيخ عبد العزيز، والعلماء المؤازرين له في المدرسة والمدينة عموما.

واغتنم الشيخ عبد العزيز الشريف زيارة المدير العام للشؤون الأهلية ومناطق الجنوب الجزائري " ميليوت Milliot " وقرر تنظيم مظاهرة احتجاجية، فحذّره الحاكم العسكري شفويا وكتابيا، ولكنه أصر على ذلك، ونظم الاحتجاج أو الانتفاضة الشعبية، ويمكن تقسيمها إلى المراحل التالية:

أ-انطلاق المظاهرة:

استطاع الشيخ عبد العزيز جمع 12 ألف من سكان سوف الثائرين، يوم 12 أفريل 1938، وتجمهروا أمام مقر الحاكم العسكري بالوادي، واستقبلوا مدير الشؤون الأهلية بالغضب، فالتقى الموظف السامي الفرنسي بالشيخ عبد العزيز على انفراد، فقدّم له عريضة مطالب وتشمل:

- رفع الظلم الاستعماري عن الأهالي الذي تمارسه الإدارة الفرنسية وأعوانها من القياد.

- عدم تدخل الإدارة الفرنسية في الشؤون الدينية للمسلمين، وحريتهم في ممارسة شعائرهم الدينية.

- احترام تعاليم الدين الإسلامي، والمحافظة على مقدساته، بإعادة فتح المساجد التي أغلقت، وتسهيل مهام علماء الإسلام، لأن فرنسا تسهّل مهام البعثات التبشيرية التي تهدف إلى تنصير أبناء المسلمين، بينما لم تحترم الحرية الدينية والعقائدية للسكان، وخصوصا في مناطق ورقلة، وبلاد القبائل. [2]

---

[1] - عبد الحميد بن باديس، " الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي والإصلاح "، **البصائر**، العدد123، يوم 22 جويلية 1938.

[2] - أنظر: عمار هلال، المرجع السابق، ص 282-284. إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص ص 177-178.

- عدم التمييز بين أجور الأئمة والموظفين من الأهالي في السلك الديني، وبين أجور الآباء البيض والقساوسة العاملين في الجزائر.
- إعادة الاعتبار للمدارس العربية الحرة لتقوم بدورها التعليمي في نشر اللغة العربية.
- التخفيف من حدّة الأزمة الاقتصادية، والوضعية المتدهورة لأهل سوف، وباقي مناطق الجنوب، وطلب من السلطات أن تساعدهم بالأطعمة الأساسية.

فوعده المدير العام بتقديم تلك المطالب لحكومته، فخرج الشيخ عبد العزيز للجماهير وأمرها بالانصراف.

ب - التظاهر برمي الحجارة عل مواقع الاحتلال:

تفاجأت السلطات في اليوم الموالي، 13أفريل 1938، بتجدد المظاهرة، عندما عزم المدير العام ميليوت على مغادرة المدينة، فاجتمعت الجماهير أمام مقر الحاكم العسكري، ورفعوا أصواتهم بالهتافات المنددة بالسياسة الاستعمارية، وتطوّر ذلك إلى استعمال العصي والحجارة ضد أعوان الإدارة الاستعمارية. فتدخّلت السلطات واعتقلت نحو 32 شخصا أودعتهم السجن، وتفاوضت مع وفد من الأهالي بقيادة الشيخ عبد العزيز الشريف، ووعد المسؤول الفرنسي بتقديم مطالبهم إلى حكومته. ولكن الظروف بقيت مضطربة بالمنطقة عموما.

ج - تجدّد الاضطرابات:

استمرت حالة الاضطراب والتذمر ضد السياسة الاستعمارية، ونتج عن ذلك قيام الجماهير بأعمال تخريبية، وهجومات بالحجارة والعصي على سيارات الكولون، كما تمّ تخريب الأعمدة الهاتفية، ووجدت المنطقة نفسها معزولة في الفترة ما بين 13-18 أفريل 1938، ويومئذ صمّم الشيخ عبد العزيز على تنظيم مظاهرة أضخم، فبدأ يتنقل يوم 17 أفريل 1938 بين قرى سوف، يجمع الناس ويحفّزهم للمشاركة في الثورة

الشعبية التي حدّد لها يوم 18 أفريل 1938، حينئذ سارعت السلطات الفرنسية وأنهت نشاط العلماء وضربت تلك التحركات بقوة، [1] وقامت بما يلي:

- اعتقال الشيخ عبد العزيز الشريف، وأتباعه من علماء ومريدين، وبعض أعيان سوف، وسجنهم، ونفي البعض منهم، وإجبارهم على أعمال السخرة.

- ترويع السكان وجعلهم يعيشون حالة من الفزع والخوف، وقد عبّر عنها الشيخ بن باديس بقوله: << فأوشك أهله ونساؤه (أي الوادي) وأطفاله وبيوته ونخيله أن تنسفهم قنابل الأرض أو تمحقهم صواعق السماء، فذهلت المراضع، ووضعت نحو الثلاثين امرأة حملها... >>

- فرض الحصار على سوف لمدة ثلاثة أسابيع، لم يحرك فيها أحد ساكنا. [2]

4- دفاع الشيخ عبد الحميد بن باديس عن سجناء انتفاضة سوف بقسنطينة:

اعتقلت السلطات الفرنسية زعيم الانتفاضة الشيخ عبد العزيز الشريف وأعوانه من العلماء والأعيان، وخصوصا الشيخ علي بن سعد، والشيخ عبد القادر الياجوري، والسيد عبد الكامل النجعي، وأودعتهم سجن الكدية بقسنطينة. والجدير بالذكر أن جمعية العلماء لم تكن موافقة على سلوك علماء سوف، بينما كان الاستعمار يتحين الفرص لإنهاء عمل الجمعية، وتضييق الخناق عليها، وقد قدّم لها الشيخ عبد العزيز المبرر القوي، لأن طبيعته كانت ثورية متعجلة وقد وصفه الشيخ محمد خير الدين بقوله: <<... وكان عصبي المزاج، حاد الطبع، ينفعل ويندفع بسرعة في تدهور وطيش أحيانا، فأثار تصرفه غضب الحاكم الفرنسي في هذه الناحية، حيث قاد ما يشبه المظاهرة أمام دار الحاكم، وتطاول على الحاكم فألقى القبض عليه>>. [3]

---

[1] - أنظر: عمار هلال، المرجع السابق، ص 282-284. إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص ص 177-178.

[2] - أنظر: عبد الحميد بن باديس،"حول كارثة سوف الأليمة – ثم سكوت"، **البصائر**، العدد121، يوم 8 جويلية 1938.

[3] - أنظر: مذكرات خير الدين، ج1، ص 281.

ولكن الجمعية وقفت مدافعة عن سجنائها، وتولّى الدفاع عبر البصائر الشيخ عبد الحميد بن باديس، فكتب عدة مقالات منها مقالا في جريدة البصائر عدد 13ماي 1938، بعنوان " ماذا في الجنوب؟ أنديجينا جديدة بعد مائة سنة وثمان سنوات»، ومقال آخر 6ماي 1938. بعنوان « ماذا في سوف؟ بعد الاعتقال الضغط والاضطهاد ».

ورغم ذلك بقي الشيخ عبد العزيز ورفاقه في سجن الكدية بدون محاكمة، وتكفلت جمعية العلماء بالدفاع عنهم مستعينة بالمحامين ورجال القانون من جهة، مع اثارة قضيتهم إعلاميا عبر جريدة البصائر، بقلم الشيخ عبد الحميد بن باديس، وقد برّر جهدهم في جريدة البصائر 7أكتوبر 1938، بقوله عن هؤلاء الشيوخ داخل سجن الكدية هم: «...ضحية عقيدتهم الإسلامية وقيامهم بواجبهم الديني نحو إخوانهم المسلمين أهل ديار سوف ».[1]

واستمر الشيخ ابن باديس يكتب عن إخوانه العلماء في العدد 178، 11أوت 1939، بعنوان « حول مساجين العلماء »، وطرح السؤال التالي: « هل في سجن الكدية ما يذكرنا بالباستيل؟ »، وفيه تذكير لفرنسا التي تعتبر نفسها أم الحرية وترفع شعارات العدالة والمساواة، وهي التي حطّمت سجن باستيل، فكيف بها تسجن العلماء.

وما قاله الشيخ عبد الحميد بن باديس مدافعا عنهم: « لم يثر هؤلاء العلماء ضد السلطة، ولا تدخلوا في أوضاعها الإدارية، ولا أسسوا لتقويمها منظمات سياسية، وإنما قاموا بواجبهم الديني في بلادهم سوف وقراها، ينشرون الاسلام ولغة الاسلام، وينهضون بإخوانهم في دائرة دينهم، وكان أهل تلك البلاد أرقّ أفئدة، وأصفى عقولا، وأمتن دينا، وأسرع إجابة للحق والخير، فانثالوا عليهم يجيبون داعي الله، ويقبلون على تعلّم الدين ولغة الدين، هذا ما كان والله ".

---

[1] - إبراهيم مياسي، المرجع السابق، ص 180.

وطالبهم الشيخ بمحاكمة الشيوخ محاكمة عادلة بقوله: « إننا لا نطلب العفو والافراج عنهم، وإنما نطلب تقديمهم للمحاكمة، ونشر قضيتهم أمام العدالة والرأي العام، وإننا على ثقة من براءة أصحابنا، وعلى ثقة من فضيحة هذه المعاملات الاستثنائية التي لا يرتضيها الحق - ولا تقتضيها – خصوصا في هذه الأوقات مصلحة. وإذا كان من تقديم إخواننا للمحاكمة رفع ما للظلم عنا، فإن فيه محوا ما لكلفة شوهت وجه عيد الحرية. فإلى المحاكمة إن كنتم تريدون نصرة العدل وجمال الحرية. ».[1]

ولكن الإدارة الاستعمارية استمرت في تضييقها ومكث الشيوخ خمسة أشهر، ولم يطلق سراحهم إلاّ في 16جانفي 1940(26). [2] ووضعوا تحت الإقامة الجبرية، ونُفي الشيخ عبد العزيز الشريف إلى مدينة سكيكدة وشرشال وازفون بالقبائل، وإلى العاصمة، وفي كل بلدة منها يقوم ببناء مسجد أو مدرسة، وبقي مصدر قلق لفرنسا، فرأت أن أسلم حل هو نفيه إلى تونس، سنة 1953،[3] باعتباره تونسيا – في اعتقادها- ولكنها نسيت أصوله الجزائرية من «الأبوازيد»[4] الذين هاجروا إلى تونس، لأنهم يعتبرونها من أرض الإسلام. وجده الأكبر أحمد الشريف كان من الموالين للأمير عبد القادر، في جهاده. [5]

---

[1] - أنظر: **جريدة البصائر**، العدد 178، 11 أوت 1939.

[2] - أنظر: عبد القادر الياجوري، بطاقة تعريفية كتبها للمهرجان الثقافي لمدينة قمار 1985. لدي نسخة منها.

[3] - أنظر: عمار هلال، المرجع السابق، ص 286.

[4] - **الابوازيد:** أو لبازيد، عائلة جزائرية كانت قاطنة في المنطقة ما بين فغالة وبسكرة، وقد هاجر جده إبراهيم إلى نفطة بتونس، وأسس زاويته القادرية، والتي امتد نفوذها من نفطة إلى مناطق في ليبيا، والجنوب الجزائري، ومنها منطقة وادي سوف. أنظر: عمار هلال، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1930-1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 320.

[5] - أنظر: عبد الباقي مفتاح، **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته**، دار الهدي، عين مليلة -الجزائر، 2008، ص 305.

الخاتمة:

استطاع الاستعمار أن يجهض العمل الإصلاحي ويخمد أنفاس العلماء بمنطقة سوف، ويشلّ النشاط الفكري السياسي في المهد، لكن الشعب في وادي سوف بقي يغلي كالمرجل في داخله، ويتحيّن الفرص لرد الجبروت الاستعماري، فتهيأت الفرصة في إطار الحركة الوطنية، بداية من المنظمة الخاصة، وجسّد النشاط مرة أخرى في ثورة التحرير 1954، فكان تلاميذ المدرسة الإصلاحية في مقدمة المجاهدين الذين هرّبوا السلاح نحو الأوراس الأشم، وساهموا في تفجير ثورة التحرير الكبرى.

المنظمة الخاصة بوادي سوف والاستعداد للكفاح المسلح[1]

المقدمة:

كانت وادي سوف - ومنذ استقرار الإدارة الفرنسية 1882 - شاهدة على النشاط العلمي الذي جسده العلماء في المساجد والمدارس والزوايا، والكتاتيب القرآنية التي قاومت توجهات السياسة الاستعمارية التي استهدفت هوية الأمة ومقوماتها الحضارية. وسارعت العائلات إلى إرسال الأبناء إلى جامع الزيتونة العريق، وتكوَّن خلال العقود الثلاثة من القرن العشرين، جيل من الشباب المثقف، وأهل العلم الأجلاء، الذين شرعوا في بث الوعي، وتعليم الناس أحكام الدين، وهيأ في المستقبل مناخا صالحا للحركة الوطنية في جانبها الصوفي في بادئ الأمر، وفي ناحيتها الإصلاحية في الثلاثينيات، وصار أكثر نضجا وعمقا في نطاق الاتجاه الاستقلالي - في أواسط الحرب العلمية الثانية - واستمر بعدها في رحاب المنظمة السرية التي امتد نشاطها واختلط بالثورة التحريرية في إطار الإستراتيجية الوطنية.

1) ظهور العمل السياسي بوادي سوف:

كانت وادي سوف - وحتى فترة العشرينيات - تعيش حالة من الركود والجمود السياسي، لأن فرنسا حولت مناطق الجنوب قاطبة إلى منطقة عسكرية مغلقة، بعيدة عن كل نشاط سياسي، وكل من تسول له نفسه بالتحرك يتعرض لأقسى أنواع العقوبة، ويصير مجرما لدى السلطات الاستعمارية.

ولكن فرنسا تفاجأت بانطلاق مظاهرة شعبية عفوية، اكتشفت أن محركها الأساسي هو الشيخ الهاشمي الشريف الذي ظل مواليا لفرنسا، وخادما لمصالحها منذ قدومه من نفطة في أواخر القرن التاسع عشر، ورغم وجود المبررات المنطقية

[1] - نشر مقالا في **مجلة القباب**، الصادرة عن، دار الثقافة بالوادي، العدد 8، ديسمبر 2014.

لهذا التحول في نهاية الحرب العالمية الأولى، إلا أن فرنسا اعتبرته معارضا لسياستها [1] ومتمردا معلنا عداوته ضدها[2]. وكان السبب وراء تنظيمها، إقدام فرنسا على تجنيد عدد من الشباب من وادي سوف بالقوة، للعمل في المصانع الفرنسية التي احتاجت إلى اليد العاملة، فلما بدأ القياد في عملية التجنيد، ضج سكان المنطقة، واعتبروه تجنيدا إجباريا لأبنائهم لجبهات القتال،[3] وقد أصدرت فرنسا القانون الاستثنائي للتجنيد الإجباري في جويلية 1917، وبموجبه فرضت التجنيد الإجباري على الأهالي الجزائريين، [4] وكان قانون التجنيد لا يشمل سكان المناطق العسكرية في الجنوب.

بدأت الانتفاضة بزحف جموع الجماهير المسلحة بآلات العمل، والعصي، والبنادق،[5] بعد حلول الظلام وأداء صلاة المغرب، [6] ليلة 15 نوفمبر، 1918 [7] من بلدة عميش، وهم يرددون الشعارات الاحتجاجية « **لا نموت لفرنسا نموت هنا** » والنداءات الغاضبة « **الجهاد في سبيل الله** »، وتزامن معها إطلاق البارود الذي ألقى الرعب والفزع في صفوف أعوان الاستعمار، الذين هرعوا إلى إخبار السلطات لتدارك الأمر قبل استفحاله. [8]

---

1 - A. N. T. S:D. C: 178. D:5/15,Rapport de Directeur des Services des Sécurité à M. Le Secrétaire Général de Gouvernement Tunisienne à Tunis, le18juillet 1941.

2 - André voisin: **le Souf Monographie**, El oued: El walid, 2004, p 77.

3 - أنظر: حمزة بوكوشة، "**الشيخ الهاشمي الشريف وانتفاضة وادي سوف سنة 1918** " محاضرة مكتوبة على الستانسيل، ألقيت بثانوية علي ملاح بورقلة بمناسبة الموسم الثقافي أفريل 1987، ص 02.

4 - أنظر: عمار هلال، "الشيخ عبد العزيز بن محمد الهاشمي"، **مجلة الثقافة**، الجزائر، العدد 95، 1986، ص 275.

5 - لقاء مع أحمد خراز ببيته بمدينة الوادي، يوم 09/14/ 1997.

6 - لقاء بالوادي يوم 03/03/ 1995، مع شاهد عيان هو السيد محمد باي الذي المولود سنة 1902، وكان وقتها شابا يبلغ سن السادسة عشر.

7 - A.O.M.10 H89, Cap.Robert Thiriet: **les populations musulmanes du Souf et leur evolution politique.** 1938, p22.

8 - أنظر: حمزة بوكوشة، المرجع السابق، ص 03.

واستعان الحاكم العسكري بالوادي بالشيخ الهاشمي، فهدئت الجماهير وقدمت مطالبها وحينئذ أمر حاكم الملحقة بإطلاق سراح المساجين (الشباب المجند) فورا، حتى يضمن تهدئة الغاضبين، ثم شرعت السلطات في معالجة الحادثة باعتقال الشيخ الهاشمي، وتحويله إلى سجن الكدية بقسنطينة، وأصدرت عليه محكمتها العسكرية، أمرا بالنفي لمدة سنة،[1] ومنعته من دخول التراب العسكري في الجنوب، لأنه فتح باب التمرد. وقامت باعتقالات واسعة في صفوف أتباعه من إخوان القادرية ومن شاركهم، وسلط عليهم التعذيب والأعمال الشاقة لعدة شهور، [2] وهكذا انتهت الحرب العالمية الأولى[3] على وقع أول معارضة علنية للاستعمار الفرنسي في منطقة التراب العسكري بالجنوب.

كما عرفت فترة العشرينيات من القرن الماضي حركة علمية في حواضر سوف الأساسية (الوادي- قمار- الزقم) بعد عودة طلبة العلم من جامع الزيتونة، وهي عناصر متشبعة بالفكر الإصلاحي، والروح العلمية، فظهر بمدينة الوادي الشيخ العوامر، والعبيدي، وفي الزقم معمري عبد الرحمن، ومحمد الساسي معامير، وفي قمار الشيخ اللقاني والأزعر، وضمت حلقاتهم طلبة العلم من مختلف الفئات المستقلة أو المنتمية للطرق الصوفية، واستمر ذلك إلى سنة 1931، عندما عزم علماء القطر تأسيس جمعية العلماء، فقاموا بمراسلة علماء الجزائر على الإطلاق، وحينئذ وجهت الدعوة إلى بعض علماء وادي سوف، فلم يحضر إلا الشيخ عمار بن الأزعر، وحضر في نفس المؤتمر بعض أبناء سوف المقيمين خارجها، وهم محمد الأمين العمودي الذي كان أول أمين عام للجمعية ما بين 1931 - 1936، والشيخ حمزة بوكوشة. وانتشرت دعوة الجمعية في كامل القرى، وكانت في بادئ الأمر تسيرها شعبة برئاسة الشيخ عمار بن الأزعر.

---

1 - حمزة بوكوشة، ص 04. عمار هلال، المرجع السابق، ص ص275-276. Robert Thiriet , Op- Cit, p22

2 - حمزة بوكوشة، المرجع السابق، ص ص 5-6. André voisin , Op- Cit, pp 77-78.

3 - أعلن عن انتهاء الحرب رسميا بعد توقيع الاستسلام من طرف ألمانيا يوم 11 نوفمبر 1918. أنظر: عمر الديراوي: **الحرب العالمية الأولى**، دار العلم للملايين، ط6، بيروت، 1979، ص 580.

[1] وبدأ نشاط الجمعية يظهر بارزا بعد عودة بعض الطلاب من جامع الزيتونة منذ، 1934 ولكن ظل نشاطها يتطور ببطء، ويتغلغل في أوساط السكان بتؤدة وحذر، إلى أن اعتنق الشيخ عبد العزيز الشريف أفكارها، حينئذ اتسع نطاقها وكثر عدد أتباعها، وشهدت نشاطا مكثفا لمدة عام تقريبا.

إن الحدث الجديد في تاريخ الحركة الوطنية بوادي سوف، هو رجوع الشيخ عبد العزيز الشريف من رحلة الحج، بروح إصلاحية، دفعته إلى الانضواء تحت لواء جمعية العلماء، في شهر أكتوبر 1937 وصار عضوا مكلفا بمناطق الجنوب، فمكن العلماء من الدخول إلى سوف في ديسمبر1937. [2] بتنظيم زيارة لرئيس الجمعية، بمعية وفد هام[3]، تجول في معظم قرى الإقليم، وكانت الزيارة تستهدف بث الوعي الوطني في المجتمع، وكسر حاجز الخوف المضروب على سوف بسبب الحكم العسكري، وربط العلماء بالجماهير، وتمكينهم من تصحيح المفاهيم، ولمّ شمل أبناء الجهة، وتعليمهم نبذ الخلاف عمليا، ومواجهة سياسة «« فرّق تسد»» التي بذرها الاستعمار. وبرز ذلك جليا في الخطب التوجيهية لعلماء الوفد الزائر، والتي كانت تؤكد على التمسك بالعقيدة، وتدعو إلى الأخوة والوحدة. حتى أن الجاسوس الذي أرسله الحاكم العسكري لمتابعة تحركات الوفد، قال للحاكم العسكري عن ابن باديس: «**انه يقرأ القرآن، ولم أفهم ماذا يقول** »

---

[1] - ويساعده الشيخ حمزة بوكوشة، وعبد الكامل بن عبد الله النجعي، والهاشمي الدراجي. أنظر: موسى بن موسى: **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها 1900-1939**، رسالة ماجستير، تحت إشراف د/ أحمد صاري، جامعة قسنطينة، نوقشت في 15 فيفري 2006، ص 168.

[2] - A.O.M10H89,**Etude sur l'Activité des Oulamas dans les Territoires du Sud,** Fev 1938, p13.، إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999،، ص226.عمار هلال، المرجع السابق، ص 326.

[3] - وضم الوفد: الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ الفضيل الورتلاني، ومبارك الميلي، والشيخ محمد خير الدين والشيخ العربي التبسي، والشيخ حمزة بوكوشة، أنظر: محمد خير الدين: **مذكرات**، المؤسسة الوطنية للكتّاب، جزآن، الجزائر، ب ت ط، ج 2، ص 280. عمار هلال، المرجع السابق، ص 327.

وهي حكمة الشيخ الذي كان يستهدف بث الوعي في الشعب الجزائري ويهيئه لأمر جلل في المستقبل. [1]

وكان للزيارة أثرها الكبير، فشجعت العلماء على فتح المدارس في أنحاء المنطقة بمدينة الوادي، وقمار، والزقم، والرقيبة؛ وأعطت انطلاقة العمل في صفوف الجمعية، ومهّدت الطريق للعمل الحزبي مستقبلا؛ وشجّعت الشيخ عبد العزيز الشريف على تكثيف معارضته للاستعمار، وتحدّيه، اقتداء بوالده، فنظم انتفاضة شعبية، معتمدا المنهج الثوري في وقت مبكّر، مخالفا بذلك منهج جمعية العلماء، وخطها السياسي السلمي، رغم أن الشيخ ابن باديس حذره - عند مغادرته المنطقة - من التصادم مع الاستعمار وأعوانه المناوئين. [2]

واغتنم الشيخ عبد العزيز الشريف زيارة المدير العام للشؤون الأهلية ومناطق الجنوب الجزائري ميليوت "**Milliot**" الذي يرافقه نائب مدير مناطق الجنوب الكولونيل "**Belande**"، وقرر تنظيم مظاهرة احتجاجية، فحذره الحاكم العسكري شفويا وكتابيا، ولكنه أصر على ذلك، ونظم الاحتجاج أو الانتفاضة الشعبية، في شهر أفريل 1938، فتجمهر الآلاف أمام مقر الحاكم العسكري بالوادي واستقبلوا مدير الشؤون الأهلية بالغضب.[3] واعتبرت السلطات العسكرية تلك الحركة إعلانا للحرب المقدسة بالودي،[4] حينئذ وجدت المبرر، لإنهاء نشاط العلماء، فاعتقلت الشيخ عبد العزيز، وأتباعه من علماء ومريدين، وبعض أعيان سوف، وسجنتهم، وأودعت القادة

---

[1] - علي غنابزية، " جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف، نشاط فكري وسياسي وتجاوب واسع "، **جريدة الشعب**، الاثنين 27 جويلية 1998.

[2] - حوار مسجل في شريط سمعي مع الشيخ حمزة بوكوشة بمدينة الوادي من طرف علي عون موسى يوم 25 أوت 1984، وكان الشيخ حمزة بوكوشة شاهد عيان لذلك التحذير.

[3] - Robert Thiriet, Op- Cit, p 47-49.

[4] - A.O.M. 9H 23, Rapport sur l' arrestation de Si Abdelaziz ben El-hachemi, Chez de Zaouïa Khadirya d'El-oued, 21Avr 1938.

سجن الكدية بقسنطينة. وجعلت السكان يعيشون حالة من الفزع والخوف كما عبّر الشيخ ابن باديس في البصائر. [1] ويومئذ ساد ركود قاتل في وادي سوف، لم تكسره سوى ثلة من شباب الحركة الوطنية الذين تربوا في أحضان الوضع السابق، وأسسوا في سنة 1943 أول خلية سرية لحزب الشعب الجزائري. [2] بعد اتصالات مع أقرب نقطة بالمنطقة، وهي مدينة بسكرة، لأن علاقات الصداقة والقرابة التي ربطت الهاشمي ونيسي في الوادي، مع يوسف العمودي المناضل بالحزب في بسكرة، عجلت بفتح باب النضال السياسي لتأسيس النواة بمدينة الوادي.

وتم عقد أول اجتماع بمنزل ‹‹الهاشمي ونيسي›› بحي المصاعبة، وضم اللقاء الأول خمسة من الشباب كانوا أعمدة الحركة الوطنية الأوائل وهم: الهاشمي ونيسي، وأحمد ميلودي، وميهي محمد بلحاج، والشافعي قدادرة، وعبد القادر العمودي. وقد ساعدتهم ظروفهم الخاصة على سرعة الاتصال بالجماهير، وتحول محل الخياطة لصاحبه أحمد ميلودي في سوق مدينة الوادي - وبشكل تلقائي - إلى مقر الخلية الأولى، يقصده المناضلون من داخل المنطقة وخارجها، وكل من يريد اقتناء الصحف الجزائرية والتونسية مثل جريدتي النهضة والزهراء. [3] وبدأت الخلية في بث الوعي، وتنبيه السكان للحرية والاستقلال. واستمرت في عملها ما بين 1943-1945 ضمن صفوف حزب الشعب، بتأسيس الخلايا، وتكوين المناضلين سياسيا، وبعد أحداث 8 ماي

---

[1] - عبد الحميد بن باديس، "حول كارثة سوف الأليمة، ثم سكوت "، **البصائر**، العدد 121، يوم 8 جويلية 1938.

[2] - حوار مع عبد القادر العمودي احد المؤسسين في الوادي يوم 6 سبتمبر 1997.

[3] - محمد عباس، "من رواد الحركة الثورية بالوادي "، **الشروق اليومي**، الجزائر، العدد 671، 13/1/ 2003، ص 07.

1945 أصيب النشاط السياسي بشلل مؤقت، بعد سجن بعض الأفراد.[1] وفقد أحمد ميلودي محله التجاري، واضطر إلى اللجوء مؤقتا إلى تونس. [2]

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وإصدار قانون العفو العام في أفريل 1946، والإفراج عن الزعماء، وقد نص القانون الأساسي (20سبتمبر1947) عن إزالة الحكم العسكري بأراضي الجنوب، [3] وحينئذ عرفت وادي سوف نشاطا سياسيا تبلور في نشاط حزب الشعب، فأسس أحمد ميلودي فرعا لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية (M.T.L.D) في مقهى بوجمعة، [4] مكتب الحركة بالوادي، بمعية ميهي محمد بالحاج والبشير بن موسى، وعبد القادر العمودي، ونيسي المولدي، وعلي عيادي، وغندير البشير بن بدادي،[5] وحينئذ بعث نشاط الحزب في المنطقة. ورشح أحمد ميلودي في انتخابات أول مجلس جزائري في ربيع 1948،[6] ولكن السلطات الفرنسية كانت متخوفة من خطاب الحزب منذ 1947، ووصفته بالعنف ضد الفرنسيين؛[7] وتم تزوير الانتخابات، وكان مصير بعض المناضلين هو السجن الحتمي.[8] وانتهت الانتخابات

---

[1] - ومنهم ونيسي الهاشمي، محمد أميسة، بن بردي البشير، عبد القادر اطليبة، لخضر قدوري، وسجنوا في الزاوية الكحلة، ولم يفرج عنهم إلا بعد قرار العفو الشامل 1946. لقاء مع عبد القادر العمودي بدار الثقافة بالوادي يومي 6، 8 سبتمبر 1997.

[2] - محمد عباس، المرجع السابق، ص 07.

[3] - عبد الرحمن العقون، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر،** الجزائر:3 أجزاء، المؤسسة لوطنية للكتاب، 1986، ج3، ص ص 40-43.

[4] - **مقهى بوجمعة:** مقهى شعبية تقع في الشارع المقابل للمكتب العربيوصار يعرف بزقاق البيرو في سوق مدينة الوادي. وتدعى وكالة بوجمعة وكانت ملتقى للمناضلين، والنادي الذي يجمعهم في مختلف مراحل النضال السياسي.

[5] - سعد العمامرة، والجيلاني العوامر، **شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف،** مطبعة النخلة، بوزريعة-الجزائر، ب ت ط، ص 19.

[6] - محمد عباس، المرجع السابق، ص 07.

[7] - A.O.M. 16H 40. Rapport Annuel de l'Annexe d'El-oued à M. Le G. G.A,Année 1947.

[8] - **مذكرات أحفوظة داسي التاغزوتي،** شرح وتعليق، عمار عوادي، مخ، ص ص7-4، لدي نسخة من المذكرات.

بإقصاء حزب الشعب، والتضييق على زعيمه أحمد ميلودي، الذي اضطر إلى الخروج من المنطقة، وبقي عمل الحزب في إطار المنظمة السرية.

2)تأسيس نواة المنظمة (الخاصة)السرية بوادي سوف:

رغم تأسيس حزب الشعب لجناحه السياسي، ومشاركته في الانتخابات، إلا أن قناعة منضاليه في وسائل الكفاح تجسدت عند فئة الشباب، في الدعوة لتكوين جناح عسكري، وخوض المعركة الحقيقية، فشرع في تأسيس المنظمة العسكرية، وكلف عبد القادر العمودي برئاسة فرع المنظمة بوادي سوف، وعمل محليا على تكوين المناضل، ليكون قادرا على تسيير مجموعة عسكرية، وحينئذ قدمت للمناضلين دروسا ذات طابع أدبي، لتكوينهم معنويا، وحثهم على تحمل التضحيات، وكيفية التصرف لمواجهة أخطار العدو، والمحافظة على أسرار الحركة التي ينتمون إليها. كما تم تدريب المناضلين عمليا على استعمال السلاح الفردي والجماعي، وهذا تطلب من المنظمة توفير سلاح لكل مناضل، كما تدربوا على عملية صنع القنابل واستعمال المتفجرات. وجرت التدريبات على العمليات العسكرية والهجوم والتمركز وغيرها من مراحل المعركة، في الجهة الشرقية من مدينة الوادي(منطقة بوحميد) [1] لخلوها من السكان.

أما العمل على المستوى الوطني، فتمثل في جمع الأسلحة، وكلفت كل جهة بجمع الأسلحة من مدينتها، أو من المناطق الحدودية (ليبيا وتونس) وحدث تعاون بين منطقة وادي سوف، وبعض الوطنيين التونسيين، [2] واستمرت عملية الجمع إلى بداية الثورة.

ولكن الأزمة السياسية التي عصفت بالمنظمة السرية بعد حادثة تبسة سنة 1950، عرضت أعضاءها للمراقبة والاعتقال والتعذيب، في مختلف أنحاء القطر، وقد مس ذلك وادي سوف، كما عبر عنه أحمد ميلودي في رسالته التي بعثها إلى بعض

---

[1] - **بوحميد:** منطقة زراعية، شرق سيدي مستور بمدينة الوادي.

[2] - لقاء مع عبد القادر العمودي بدار الثقافة بالوادي يوم 07/09/1997.

إخوانه الذين يدرسون بالزيتونة بتونس، وتضمنت عبارات تنم عن الروح المعنوية العالية، في تلك الظروف الصعبة، فهو يصف العمل الوطني« **بالحركة القومية المقدسة**» والعمل السياسي «**بالكفاح الوطني الشريف**» والمناضلين «**بالمجاهدين**» ويثني خيرا على إخوانه لعنايتهم الفائقة بالمناضلين في سوف، وختمها بقوله: «**...فشكرا لكم على هذا الإخلاص النادر، وهنيئا لكم بما رزقتم به من أفكار سامية طاهرة، فنسأل الله أن يكثر من أمثالكم في صف المجاهدين ويمدكم بالإعانة حتى تحققوا للأمة آمالها في استرجاع مجدها...** ». [1]

ويومئذ اختفت بعض القيادات عن الأنظار، وخصوصا أحمد ميلودي، وعبد القادر العمودي، الذي بقي على اتصال بالجزائر وبسكرة، وعلى علاقة ضيقة مع محمد بوضياف والعربي بن مهيدي، وديدوش مراد، وبقي السعي كبيرا في تفقد المناضلين، ولما حان الموعد التاريخي لجماعة 22 بالعاصمة، كان عبد القادر العمودي أحد أعضائها ممثلا لمناطق الجنوب. [2]

3) استراتيجية المنظمة السرية في الإعداد للكفاح المسلح بوادي سوف:

ساهمت وادي سوف في وقت مبكر بتمويل المنظمة السرية لحزب الشعب بالأسلحة، من « **وادي سوف** » وعبر «**بسكرة** »إلى منطقة «**الأوراس**». وكانت عملية التجميع تحت رعاية محمد بلوزداد[3] منذ 1947، وتكليف رسمي من المنظمة وطنيا، وأحاطت بها الظروف العصيبة، ولكنها حققت أهدافها:

أ) الجانب التنظيمي لتجميع الأسلحة في وادي سوف:

كان محمد بلوزداد على علم مسبق بمراكز السلاح، حين توطدت علاقته قديما مع

---

[1] - رسالة التاجر المناضل أحمد ميلودي إلى بعض إخوانه بتاريخ 6 جوان 1950. لدي نسخة منها.

[2] - حوار في جريدة الشعب، مع عبد القادر العمودي، أجراه بوصبيع العايش علي، العدد09، 2 نوفمبر 1997.

[3] - أنظر: محمد حربي، **جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع**، تر: كميل قيصر داغر، دار الكلمة للنشر، ط1، بيروت، 1983، ص49. محمد الطيب العلوي، **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830- 1954**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص ص 233، 238.

السعيد إدريس التاجر بقسنطينة[1] الذي ساعده في ربط علاقة مع التاجر أحمد ميلودي بالوادي، وقد رعى تلك الصلات محمد عصامي ببسكرة، [2] وكان الواسطة في تسليم الأموال لمسئول التنظيم بوادي سوف، [3] وتطلبت الشؤون التنظيمية، قدوم مسئولي التنظيم في المنظمة إلى وادي سوف، ومنهم محمد العربي بن مهيدي، ومحمد بوضياف، ومصطفى بن بولعيد، من أجل تنظيم ورعاية شبكة جلب الأسلحة من الخارج. [4] وكانت التكاليف المالية لتلك العمليات تتسم بالضخامة، فالمبلغ الأول الذي تسلمه محمد عصامي سنة 1947 عن طريق أحمد محساس على دفعتين، [5] كان في حدود مليوني فرنك. [6] وتواصلت عملية الشراء بدفع حسين آيت أحمد في أواخر 1948، كل ميزانية المنظمة لسي العربي[7] في بسكرة، وبلغت نصف مليون فرنك.[8]

ب) الجانب التجميعي للسلاح في وادي سوف:

لما انتهت القضايا التنظيمية، شرع أفراد المنظمة بوادي سوف في الرحلات

---

[1] - **السعيد إدريس**:هو أخ الشهيد السعيد عبد الحي، واصله من وادي سوف وكان يملك محلا لبيع التبغ بشارع محمد العربي بن مهيدي بقسنطينة قديما شارع فرنسا.

[2] - **محمد عصامي:** عضو اللجنة المركزية لحزب الشعب، ويقطن بمدينة بسكرة، وعرف بنشاطه الثوري في محور الزاب والأوراس والصحراء ومنها وادي سوف التي زارها عدة مرات، في إطار تجميع السلاح.

[3] - Ben Khedda Benyoucef: **Les Origines du 1er Novembre 1954** , éditions Dahleb, Alger, 1989, pp 131-132. El-hachemi Trodi: **Larbi ben M'hidi L'homme des grands rendez-vous**- ed ENAC. Alger.1991. p86.

[4] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990، ج3، ص ص 106 – 107. علي عون موسى، المرجع السابق، ص26.

[5] - يذكر محمد عصامي في شهادته المدونة "أن أحمد محساس سلمه 300 ألف فرنك من طرف محمد بلوزداد". أنظر الشهادة ضمن مدونة،**مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية 1374 هـ ـ 1954م**، إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراس 1420 هـ /1999م، باتنة، مطبعة دار الهدى عين مليلة- الجزائر، ص 488.

[6] - Ben Khedda Benyoucef, Op- Cit, P 132.

[7] - **سي العربي:** هو الاسم الثوري لمسئول المنظمة السرية بوادي سوف في سنة 1948، وهو عبد القادر العمودي.

[8] - Hocine Ait Ahmed:**Mémoires d'un combattant, L'esprit d'indépendance, 1942-1952,** Alger: ed, Bouchene, 1990 ,pp164-165..

المتعددة للبلدان المجاورة لجلب السلاح، وكان العنصر المحوري هو ميهي محمد بلحاج، [1] ونظمت عدة رحلات نحو الأراضي الليبية والتونسية، ما بين 1948 ـ 1953. [2] وحسب شهادة محمد بوضياف، فإن الدفعة الأولى نقلت إلى الأوراس وتبلغ كميتها 300 قطعة سلاح، [3] وهي نصف الكمية التي جلبت إلى الأوراس في تلك الفترة والتي بلغت 600 قطعة حربية، لأن منطقة الأوراس تلقت الأسلحة من تونس عبر صحراء النمامشة.[4] ولكن الباحث يعجز عن تحديد كل الأسلحة التي جمعت في تلك الفترة بسبب الظروف الأمنية من جهة، والفترات المتتالية التي جمعت فيها، فضلا عن الظروف الصعبة التي مرت بها المنظمة الخاصة بعد 1950، ومع ذلك استمر تدفق الأسلحة من وادي سوف نحو الشمال بحذر كبير. كما جمعت كميات أخرى في عام 1947، وحول بعضها إلى الجنوب الغربي[5] في منطقة جبال غرداية ومتليلي، وبقي جزء آخر لدى مناضلي المنطقة، مخزونا، وتتمثل تلك المعدات الحربية - من مخلفات الحرب العالمية الثانية - في البنادق والرشاشات، والمسدسات والذخيرة

---

[1] - **ميهي محمد بلحاج:** ولد بالوادي سنة 1919، وتشبع بالروح الثورية التي كان يمتاز بها شيخ الزاوية عبد العزيز الشريف، وهو أحد مؤسسي الخلية الأولى لحزب الشعب بوادي سوف، وحضر مؤتمر بلكور في فبراير 1947. أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص106. علي بوصبيع، " محمد بلحاج الرجل الذي مكن ثورة التحرير من أول دفعة سلاح "، **جريدة الشعب**، العدد 13919، 23مارس 2006، ص 10.

[2] - علي عون موسى، المرجع السابق، ص 29. وثيقة " شهادة" قدمت للمسمى غندير البشير من إدارة المصالح السجنية بتونس بتاريخ 20 أوت1979. لدي نسخة منها. شهادة شفوية مسجلة، أدلى بها المجاهد وادة علي بن الضيف للأستاذ بوراس طليبة مدير متحف المجاهد بالوادي. وتوجد مسجلة بمتحف المجاهد بالوادي.

[3] - أنظر: تصريح محمد بوضياف، عند محمد حربي، المرجع السابق، ص 49. شهادة محمد عصامي، المرجع السابق، ص 489. لقاء مع عبد القادر العمودي بدار الثقافة بالوادي يوم 7/ 9/ 1997.

[4] - عمار قليل: **ملحمة الجزائر الجديدة،** دار البعث، ط1، 3 أجزاء، قسنطينة، 1991، ج1، ص 198. محمد الطاهر عزوي، "**الإعداد السياسي والعسكري للثورة في الأوراس أول نوفمبر 1954م – 1374هـ** "، ضمن مدونة مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص 626-627.

[5] - C L.Bataillon: **le souf étude de géographie humaine,** Diplôme d'études Supérieures de Université d'Alger. Institut de Recherches Sahariennes. Géographie, 1953.M2.p99.

الحربية، والنظارات الكاشفة، والمتفجرات، وتم تخزينها لمدة تتراوح ما بين 04 إلى 05 أشهر، ثم قاموا بترحيلها نحو بلاد الزاب، التي تعتبر المعبر الرئيسي للأسلحة المرحَّلَة من وادي سوف إلى المدن الجزائرية.

ج) عمليات نقل السلاح خارج وادي سوف:

تعتبر عملية نقل الأسلحة إلى الداخل من المجازفات التي تحيط بها الأخطار، بسبب تعدد مراكز المراقبة، وبث السلطات الفرنسية عيونها في منطقة الجنوب الصحراوي، التي تخضع للحكم العسكري المتشدد، ومع ذلك تم ترحيل السلاح في تلك الظروف الصعبة، باستعمال عدة وسائل للنقل بواسطة قوافل الإبل، التي تقدم إلى وادي سوف محملة بالشعير من منطقة الزرايب بالزيبان،[1] وبعد بيعه في سوق الوادي، تشحن بالأسلحة والذخيرة بمساعدة أبناء وادي سوف ومنهم ميهي محمد بلحاج، وعبد القادر العمودي، وبشير بن موسى، وحينما تصل إلى زريبة حامد، توضع في مطامير الشعير، فيهال عليها التراب، ريثما يقبل إلى المنطقة مصطفى بن بولعيد ليحولها بالبغال إلى الأوراس.[2]

- **نقل السلاح على متن الحافلات والشاحنات:** وعندما كثفت السلطات الفرنسية رقابتها على القوافل، غيرت طريقة التحويل من وادي سوف إلى بسكرة بعد 1950، باستغلال الشاحنات[3] والحافلات، وخصوصا الأسلحة صغيرة الحجم كالمسدسات والذخيرة والمتفجرات، فكانت توضع في صناديق التمر والشاي وأكياس تمر«دقلة بيضاء» بينما تلف البنادق في ملاحف (أغطية)، وتغلف بحصائر العمال من المسافرين، وبعد أخذ تذكرة السفر من المدعو النوبلي العروسي الذي كان يعمل بشركة

---

[1] - وهي زريبة الوادي، وزريبة حامد وخاصة هذه الأخيرة التي كانت المركز الإستراتيجي للسلاح يومئذ. أنظر: العقيد الحاج لخضر، **قبسات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها**، كتابة الطاهر حليس، دار الشهاب، باتنة ب ت ص 48.

[2] - لقاء مع عبد القادر العمودي بدار الثقافة بالوادي يومي8، 1997/9/9. أنظر: مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية، المرجع السابق، ص ص 489-490.

[3] - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج3، المرجع السابق، ص107.

المسافرين والذي سهل العملية. وتستقبل الأسلحة في بسكرة في الغابة أو في محطة المسافرين، [1]وشركة النقل تدعى دقليون. [2]

وبعد تخزينه في <<**بسكرة** يحول إلى قسنطينة على متن شاحنة عبد الحفيظ بلبكري للنقل العمومي تحت رعاية عمار بوجريدة، قائد ولاية قسنطينة، وهذا يستقبلها من طرف عبد الرحمان قراس، ومحمد مشاطي، وعبد السلام حباشي، والثلاثة من المنظمة الخاصة، ثم توزع من طرف قائد قسنطينة ما بين عنابة، وسكيكدة، والسمندو، وسطيف، وقسنطينة، ويستعمل في تدريب أعضاء المنظمة الخاصة أولا، ولاحقا استغل في تفجير الثورة.. >>. [3]

والجدير بالذكر هو خضوع عملية تجميع السلاح وترحيله لمخطط وإستراتيجية مرسومة بدقة من قادة المنظمة الخاصة، الذين أحاطوا تلك العمليات بالسرية التامة، والإسراع في مواجهة مختلف الأخطار، ولاسيما بعد حادث تبسة 1950، عندما ألقي القبض على أحد المحولين للسلاح إلى وادي سوف في الأراضي التونسية سنة 1951، وأدخل إلى السجن بسبب تلك العملية.

الخاتمة:

كانت منطقة وادي سوف الصحراوية، رائدة في الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي في مناطق الجنوب العسكرية، حين بادرت في نهاية الحرب العالمية الاولى، وكسرت طوق الجمود والخوف، وفتحت باب العمل السياسي على مصراعيه. وتتابعت الأعمال الفكرية والسياسية التي مهدت للنشاط خلال العشرينيات، وتوج ذلك بدخول جمعية

---

[1] - علي عون موسى، المرجع السابق، ص 29.

[2] - **شركة دقليون Doglione**: يذكر عبد القادر العمودي في الحوار السابق أن الشركة " صاحبها إيطالي، في الوقت الذي كنا نتجنب شركة إحلاسه للنقل لأن صاحبها جزائري وتكون مراقبة أكثر من طرف السلطات، كما أرسلنا بعض السلاح في شاحنات تابعة لشركة دقليون. والذين يستقبلون الأسلحة في بسكرة هما أحمد الزقوني الذي يملك مخازن هناك، ومحمد عصامي، وعندما تتجمع كمية معتبرة من السلاح ينقل إلى أصحابه في الشمال...".

[3] - Ben Khedda Benyoucef ,Op-Cci, P 133.

العلماء إلى التراب العسكري عن طريق وادي سوف، وبجهود العلامة عمار بن الأزعر، وتجسد في سنتي 1937-1938 بجهود العلماء وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز الشريف، الذي حوله إلى نشاط راديكالي واجه السلطة الفرنسية بشكل علني، أدى إلى إجهاض العمل السياسي في حينه، وبقي را كدا ينتظر فرصة استعادته. وتمت من الجيل الذي شهد تلك الأحداث، وبادر بتكوين خلية حزب الشعب التي أسست نواة العمل السياسي الفعال الذي تجسد في تأسيس فرع المنظمة السرية بوادي سوف منذ 1947.

ولعبت وادي سوف في اطار المنظمة دورها الاستراتيجي، وصارت عمقا للتحضير والإعداد للكفاح المسلح، الذي رسم خطه التكتيكي ضمن الإستراتيجية الآنية والمستقبلية، وتبلور ذلك في تجميع السلاح من آفاق الدول المجاورة في تونس وليبيا، فجمع عدد معتبر من سلاح مخلفات الحرب العالمية، وتم ترحيل تلك الكميات إلى مناطق الشمال والجنوب. واستغلت يوم الفاتح من نوفمبر في تفجير الثورة التحريرية، وهذا سجل منطقة وادي سوف في قمة الإعداد للثورة ووقودها الرئيسي، بالإمداد اللوجستيكي، ويبقى هذا التاريخ بوثائقه شاهدا على دورها الاستراتيجي الفعال، عبر الأيام والأزمان.

القسم الثاني

الثورة التحريرية ونشاطاتها بوادي سوف

منذ فجر التاريخ، ذاق الانسان طعم الحرية، وعاش نشوتها القصيرة، والسبب هو ظهور الجشع والحسد وحب الذات، والرغبة في التحكم في الرقاب، والتسلط الذي ملأ قلوب فئة من البشر، فاستعبدت القريب والبعيد، وسلبت الحرية وكبلت النفوس بقيود العبودية.

وانتشر المكر، وعم الفساد، وكثرت المظالم، وساد البغي والطغيان، والذي تألمت له النفوس البائسة، التي ولد لديها صد العدوان، والخروج من محنتها بشتى الطرق والأساليب، وأهمها الثورة على الظلم وأزلامه. وهكذا انتشرت الثورات في شتى بقاع المعمورة، ومنها بلادنا الجزائر، منذ التاريخ القديم، ومنها:

-الثورة ضد الاحتلال، واستعمل فيها السلاح، وكان سيد الموقف، وهي الثورات التي فجرها البربر الامازيغ في وجه الاحتلال الروماني والوندالي والبيزنطي.

-الثورة ضد السلطان الشرعي الجائر، وشهدتها العصور الوسطى في ظل الحكم الإسلامي، والدول والإمارات التي حكمت بلاد المغرب الأوسط، والتي واجه حكامها ثورات أطاحت بعروش الولاة، ولقي الثائرون تأييدا من مركز الخلافة في دمشق أو بغداد، حفاظا على الانتماء للدولة، ومحافظة على استقرار الولاية الافريقية.

-أما الثورة الباطلة – في المفهوم السياسي العام – فهي كل ثورة قامت ضد النظام الشرعي، واستغلت المجتمع، واسقطت الحكم، وتولت مقاليد الحكم بالقوة، ولكنها لم تحقق ما يصبو إليه الشعب، بل استمر الفساد والظلم والاستبداد، وبقيت الحال تراوح مكانها بدون تغيير نحو الأفضل.

تلك هي أشكال الثورة، بأسمائها المتعددة، ومظاهرها المختلفة، ضمن عائلة واحدة، فعرفت بالانتفاضة، والمقاومة، والاحتجاجات، والحراك، وهي تتفاوت في قوتها وتأثيراتها. والثورات هي التي غيرت مجرى التاريخ في الميدان، مثل الثورة الفرنسية

1789، التي أطاحت بالنظام الملكي، وفتحت بابا للنظام الجمهوري. والثورة الروسية عام 1917، التي قوضت أركان النظام الاقطاعي، وفسحت المجال للنظام الاشتراكي الشيوعي. والثورة الامريكية 1783، التي قامت ضد الوطن الأم، وحققت الاستقلال والانفصال عن بريطانيا، وكونت مجتمعا جديدا في القارة الامريكية.

ولكن الثورة الحقيقية، هي الجهاد في سبيل الله، وهي التي غيرت مجرى التاريخ، وحطمت عروش الطغيان، وعبدت الناس إلى مولاهم الكريم، وبقيت الروح النابضة لكل ثورة في بلاد المسلمين، حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وثورتنا التحريرية الجزائرية تستمد روحها وعنفوانها من هذا الجهاد الذي رفع رايته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه الكرام، وعلى خطاهم رسم المجاهدون في وادي سوف طريقهم، كما قال أستاذي المجاهد علي عون موسى - رحمه الله - ذات يوم:(لو لم يقولوا لنا في أول نوفمبر الجهاد في سبيل الله لما خضنا الثورة).

-مفهوم الثورة التحريرية:

الثورة هي الفعل الصامد والمؤثر في تغيير الواقع السيئ نحو الأفضل من الأحوال، والتصدي للظلم والطغيان، وتقويض أركان الباطل ورده على أعقابه خاسرا ذليلا. وتتعدى الثورة المجال السياسي، إلى خوض غمار الاقتصاد، وإحداث تغييرات في مجالاته المختلفة، وتبرز الثورة الزراعية أو الإصلاح الزراعي، والمتمثل في محاربة الأساليب والسلوكيات التي تستعبد البشر، وتستغل ثرواتهم، وتسرف في استنزاف خيراتهم، وتحويلهم إلى مجتمع البؤساء، الذين يعانون الفاقة ويرسفون في اغلال الفقر والحاجة، التي أوصلهم إليها كبار الاقطاعيين. ويظهر الخلاص في الثورة التي تغير المفاهيم، وتسدد الخطى، وتستثمر في النافع من الثروة والمال.

وتنحو الثورة سبيلا آخر، عندما تشمل المجالات الثقافية، فتكون عاملا للمقاومة في المجتمع، وتواجه الخلل الذي يمس الروح والقيم المقدسة، والتي تتولاها النفوس الأصيلة، التي تصون الهوية، وتحافظ على الشخصية الوطنية من الذوبان في الأجنبي

الدخيل. كما تسلم من كيد المستعمر البغيض، الذي يبذل جهدا كبيرا، وهدفه البعيد، هو مسخ الانسان، حتى يركن للذل والاستعباد والخنوع. لأن القلب انتهى به الحال إلى الاستسلام، فيحدث التراخي، وتحل الاستكانة مكان الرفض والتحدي.

والثورة لها أهدافها في التحرير ومحو أشكال الاستبداد، ومحاربة مخلفات الاستعمار، والمساهمة في بناء الانسان، حتى يكون متحلياً بالقيم الثورية الصادقة الأصيلة. وحينها تكون الثورة عموما، التغيير نحو الأفضل في الأمم والمجتمعات، ولا تنتهي أبدا ما دام في الأرض انحراف عن جادة الصواب.

-الثورة التحريرية ومواجهة الاستعمار الفرنسي:

لقد ران على أرض الجزائر وشعبها الاستعمار الفرنسي، والذي دام قرنا وربعا، استحل المحارم، واستغل الثروات، واستبد بالسكان واستعبدهم، وامتص دماءهم، دون مراعاة ذمتهم، بل خان العهود والمواثيق التي عقدها وتعهد بشرفه للحفاظ عليها.

وأمام ذلك الوضع الفظيع، واجه الجزائريون الأبطال، كل الأساليب، بما توفر لهم من قوة وسلاح، بالاحتجاجات تارة، وبالمقاومة الشعبية المسلحة تارة أخرى، وبالنضال السياسي الناضج، والحركة الإصلاحية المستمرة، والدعوة الإسلامية المباركة في المساجد والزوايا والمؤسسات التعليمية، وغيرها من أشكال المواجهة في نطاق رد الفعل الوطني، الرافض دوما للوجود الاستعماري. وإن أسمى مراتب المواجهة، هي المواجهة التي توجت بإعلان الثورة العارمة الشاملة، هي الثورة الجزائرية التي أضحت مدرسة للتحدي والبطولة. الثورة التي دامت سبع سنوات من القتال والنزال الذي تحقق من خلاله التحرر والاستقلال.

ولا يمكن للثورة أن تكلل جهودها بالنجاح والنصر، الا بقوة تسندها وتحميها، وتضحية تقدمها على مذابح الحرية، وفي معارك الشرف، وهذا الذي رافق الثورة في سنواتها السبع، ومع رجالها الذين كانوا وقود المعركة المقدسة. فكيف واجهت الثورة فرنسا؟

- كانت إمكانيات المستعمر، وآلياته الحربية، ومعداته العسكرية، رهيبة ومتطورة، ولكن واجهتها بنادق الصيد والخناجر والسيوف، وصدور المجاهدين العارية. أولئك الأبطال الذين تطوعوا ورموا بأنفسهم في أتون المعارك، تحركهم العقيدة، وتصبوا نفوسهم للحرية أو الاستشهاد، وبكل إخلاص نالوا مبتغاهم عند الله وعند الشعب الجزائري الأبي.

-استعملت فرنسا في مواجهة الثورة كل الأساليب الردعية والقمعية، من تعذيب وترهيب، ونفي وتشريد، وممارسات وحشية، وإبادة جماعية. وكلها أججت الأحقاد، ودفعت الجزائريين إلى الاستماتة والإصرار، وشجعتهم على رد الكيد والانتقام من عدوهم الغادر.

- كان المستعمر يراوغ ويباغت، ويسعى بأساليبه السياسية، ومشاريعه الإغرائية إلى توجيه الثورة خارج أهدافها، ومحاولة إيجاد فئة تقود الانحراف، وتلتف على قضية الشعب الجزائري، وتقوده إلى حالة جديدة من الخنوع والاستكانة والتسليم. ولكن الثورة حافظت على نفسها، وسجلت أهدافها ومقوماتها، وحددت قيمها ضمن مواثيقها، بداية من بيان أول نوفمبر التاريخي، الذي كان واضحا وصريحا، وتلاه مؤتمر الصومام - بعد سنتين من الكفاح المتواصل - وصار محطة للتأمل والتقييم والمراجعة، وكانت قراراته صارمة في مواصلة الجهاد إلى آخر قطرة من دماء الأحرار الأبرار.

- كانت فرنسا تريد تحجيم الثورة، وإظهارها للرأي العام الجزائري والدولي؛ أنها أفعال محدودة قام بها قطاع الطرق، وفئة من المشاغبين المأجورين من جهات أجنبية. ونسيت فرنسا أنها احتلت الجزائر، واستعبدت شعبها، الذي ثار عليها وعلى ظلمها واعتدائها. ثار عليها الشعب برمته شيبا وشبابا، رجالا ونساء، وعجزة وأطفالا، وحتى الأحمرة والبغال كان لها نصيبها في المعركة، حينما حملت المجاهدين وأمتعتهم ووثائقهم. فاحتضن الشعب ثورته بدون هوادة، وهذا الذي تنبأ به الشهيد محمد العربي بن مهيدي

عندما صاح: (القوا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب). وكان ذلك هو سر نجاحها، ووصولها إلى أهدافها السامية.

-واجه الفرنسيون ثورتنا في أكبر ميدان، وبأساليب عديدة، وكان رد الثورة في المكان والزمان، وبنفس الأسلوب، أو أكثر تأثيرا، وأشد حدة من أساليبهم. ولكنه استغل أعوانه من الخونة في تتبع المجاهدين وعائلاتهم، ونكل بهمن وزج بأكثرهم في السجون والمعتقلات، وجمعهم في المحتشدات والمناطق المحرمة. وكان رد الفعل قويا، باغتيال الخونة، وقادة الاحتلال في القرى والمدن، وتنظيم هجومات مرتبة أحسن ترتيب، على مراكز العدو العسكرية، وخوض معارك طاحنة. كما استغل المستعمر وسائل الإعلام لتشويه الثورة، وإبراز الجانب العنيف فيها، وتصويرها في وجهها الهمجي – على حد قوله – وأنها مخالفة للمعاملات الإنسانية. فردت الثورة بإذاعة الجزائر، وانطلق صوتها المدوي في الإذاعات العربية والصديقة. وكانت مجلة المجاهد الناطق الرسمي باسم الثورة، ونشرت أخبار وبطولات جيش التحير، وانتصارات المجاهدين، وردت على الاطروحات الفرنسية، وتصدت للحرب النفسية والدعاية المغرضة، بكل وضوح وقوة في الطرح والاقناع.

-لقد عرف الشعب أن الثورة نابعة من صميم عقيدته الإسلامية، وهي جهاد في سبيل الله، ثابت في القرآن الكريم، وسنة المصطفى الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم. قال سبحانه وتعالى وقوله الحق: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين). [1]

-مميزات الثورة التحريرية بوادي سوف:

لم يتأخر أهل وادي سوف في خوض الجهاد، والإقبال على الكفاح المسلح، في الأيام الأولى للثورة، رغم كل التحديات التي كانت تصدهم عن المضي قدما نحو النضال، وتقديم صور جليلة لجهاد الأبطال:

---

[1] - البقرة، الآية 190.

-نظرا للقيمة الاستراتيجية التي انفردت بها منطقة وادي سوف، بوجودها في الزاوية الجنوبية الشرقية للجزائر، عبر حدود مترامية الأطراف مع الجارتين تونس شرقا، وغدامس الليبية جنوبا. واستغلت مجاورتها لتلك البلدان الشقيقة في جلب السلاح قبيل اندلاع الثورة بسنوات، ذلك السلاح الذي رحل للشمال وساهم في تفجير الثورة في أول نوفمبر في الأوراس بالخصوص. وذلك جعل قادة الثورة يؤكدون على بقاء وادي سوف كمنطقة عبور فقط، بعيدة عن الأنظار، تواصل الدعم، وتوفر السلاح، ولا تشارك في المعارك العسكرية. ولكن ذلك الهدف سرعان ما تبخر، ولم يصبر أبناء وادي سوف، ففجروا لهيب الثورة من قريب، بل كان جمع السلاح أحد الأسباب التي عجلت بالفعل الثوري، وأقحمتهم في أول معركة بحاسي خليفة في 17 نوفمبر 1954.

-عرفت وادي سوف بصعوبة أراضيها الرملية، التي تغوص بها الأقدام، وتتعثر حركة السير السريع للجنود المشاة، وذلك يعرقل عمليات الانسحاب عند مداهمة العدو للفرق الثورية التي تجد الملجأ في الجبال الشمالية. كما أن أثر الأقدام على الرمال يسهل كشف هوية المجاهدين، لأن الخبراء العارفين «بالجرة» سرعان ما يبلغوا عن أسمائهم وأوصافهم، ويتعرضوا للملاحقة، وتتربص بهم الدوائر الفرنسية كل تربص.

-تعرف منطقة وادي سوف بالعراء الواسع، وخلوها من الأماكن التي توفر الحماية من الرياح العاتية التي تشل حركة السير، وتحجب الرؤية، وتصيب حبات الرمال أعين المجاهدين. فضلا عن الشمس المحرقة التي تجعل الرمال نارا تلظى، ولا يمكن الاختباء، مع فقدان الماء، وتباعد الآبار، ووجود خطر تسميمها من قبل العدو الماكر.

-إن وجود الغيطان إلى جانب المنازل والقرى والمدن، جعل الثوار يفضلون الاختباء فيها، ويبتعدون عن المنازل حتى لا تكون مصيدة سهلة لهم. وهذا الذي جعل الغيطان أو غابات النخيل، مواطن المعارك التي اندلعت مبكرا، وحملت أسماء تلك الغيطان (معركة هود كريم - معركة غوط شيكة – معركة هود سلطان).

-إن التحام السكان وتداخل مصالحهم، ومعرفة أحوال بعضهم، ودقتهم في التمييز بين القبائل والعروش، وتقارب المساكن؛ جعل الزائر للمنطقة، والوافد الجديد، يعرف بسرعة متناهية، ويكشف أمره للخاص والعام. كما أن الخونة وأعوان الاستعمار، كلهم عيون ساهرة، يتربصون بكل مشتبه به، ويسارعون في نقل الأخبار في التو والحين. ويؤثر ذلك سلبا على المجاهدين.

كل التحديات السابقة الذكر، جعلت مهمة المجاهدين صعبة للغاية، ولكنها في المقابل لم تثنهم عن عزمهم، فاقتحموا الصعاب، وتجولوا بحرية في فضاء الصحراء بحثا للثورة عما يسندها من مال وسلاح ومتاع، ولكن في أغلب الأحيان يحدث الاشتباك المفروض، والذي يتحول إلى معركة حامية الوطيس.

كما أن السلطات الفرنسية، تترقب حركات الثوار، وتنتظر تجمعهم في شمال وادي سوف في مناطق حاسي خليفة، وبلدة الجديدة، والمقرن، حيث تسكن العناصر المكونة للدوريات العسكرية ولاسيما القائد حمة لخضر. ويتركونهم يتجمعون حتى تضربهم ضربة موجعة، وهذا هو سر وقوع المعارك الثلاث الكبرى في تلك القرى المتقاربة (معركة حاسي خليفة، وصحن الرتم، وغوط شيكة). وهو نفس المحور الشمالي لوادي سوف، والذي ساعدهم على الانسحاب نحو أوراس النمامشة.

لقد مرت الثورة بوادي سوف بمراحل، فرضها الأمر الواقع على المجاهدين. وتمثلت في المرحلة الأولى وهي انطلاق القتال وتفجر الثورة يوم 17 نوفمبر 1954، وتلتها معركة صحن الرتم في مارس 1955، ولم تكتمل مدة خمسة أشهر حتى قامت معركة غوط شيكة العظمى، وهي أم المعارك، والتي كانت خسائرها فادحة. وكذلك الشأن في معركة ادبيديبي، ومعركة هود سلطان في جانفي 1956، وكلها تحت رعاية القيادة التابعة للأوراس.

أما المرحلة الثانية، التي عرفتها القيادة السياسة، وقادها السعيد عبد الحي، وبموازاتها تواجد الجيش، الذي قاده بن عمر الجيلاني، والطالب العربي قمودي الذي

خاض المعارك، وأزعج السلطات الفرنسية في تونس والجزائر، ووقع خلاف على القيادة مع رفقاء السلاح، وآل الأمر في النهاية إلى إعدام القادة وإنهاء العمل الثوري في تونس عام 1957.

أما المرحلة الثالثة ما بين 1957-1958، فهي مرحلة المعاناة، والتي الحقت بالنكبة السابقة، عندما أثخنت فرنسا في القوة المدنية، وقامت بمذبحة فضيعة في شهر أفريل 1957، أصابت بها العمل الثوري في مقتل، وكانت الضريبة كبيرة، مست فئة معتبرة من السكان. ولم يستعد العمل الثوري عافيته إلا في أواخر سنة 1958، عندما قامت مجموعات من المجاهدين بتبني الكفاح، ومواصلة الطريق على درب القيادة السابقة التي قادها الطالب العربي. وامتدت ساحة نشاطاتهم من نقرين وتبسة شرقا إلى غاية قارة الهامل جنوبا محاذاة للحدود الليبية، وتواصلت الدوريات والمعارك مع القوات الفرنسية المحمولة على المهاري والجمال، وعاشت فرنسا في رعب استمر إلى يوم إعلان وقف القتال. واحتفلت تلك المجموعات في عين المكان، معبرة عن صمودها واستماتتها إلى آخر لحظة، وهي مواقف جليلة للبطولة والفداء.

وتبقى منطقة وادي سوف رائدة في نشاطها الثوري، متميزة بعطاء مجاهديها، ولكن تاريخها ما يزال غائبا في الكتابات التاريخية الرسمية، وضمن المناهج التربوية، رغم أنها عصب الثورة ولاسيما في جمع السلاح والذي رافق الثورة في مختلف مراحلها، وكان الفضل عظيما، والجهد كبيرا، والله المستعان وهو المجازي على ذلك والقادر عليه.

احتضان وادي سوف للثورة وتأطيرها[1]

ـ المقدمة:

عرفت الجزائر نشاطا باهرا، وعملا سياسيا متميزا في إطار الحركة الوطنية، ووصل الكفاح السياسي إلى درجة من النضج والتطور ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية، حينما أقدمت السلطات العسكرية الفرنسية، بالفتك الإجرامي الفظيع بالشعب الجزائري، وتفننت في المجازر الرهيبة التي شهدتها البلاد، وكان جزاء الجزائريين عكس اعتقادهم في الديمقراطية الفرنسية، التي عاملتهم بالكيد والمكر، فكان حالهم كما قال العرب:(**جزاء سنمار**). وذلك وَلَّد روح الانتقام لدى الجزائريين، وعرفوا أن الكفاح وصل إلى ذروته، لأن الحركة الوطنية استنفدت ما لديها، ولم يبق إلا لغة السلاح الكفيلة بتحقيق الأهداف المرجوة في التحرر والانعتاق.

وكان لزاما أن يتأكد الثوار من وجود دعم لحركتهم الثورية، وظل التساؤل قويا في مدى وقوف الشعب إلى جانبهم، ودعمهم، لأن النجاح يتوقف عليهم بنسبة كبيرة. ولكن التردد زال وانتهى، لأن اليقين لدى القادة بلغ شأوا عظيما، من خلال معايشة الشعب ومطالبته بالإقدام نحو الكفاح المسلح، ويومها قال المناضل محمد العربي بن مهيدي: (**ارموا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب**). وفعلا تم هذا يوم أول نوفمبر في مختلف أنحاء الوطن، وكانت وادي سوف حاضرة بعملها الثوري الفعال الذي كان مواصلة لعمليات جمع السلاح والتحضير للثورة في الشمال قبل الجنوب.

1 ــــ احتضان وادي سوف للثورة التحريرية:

كانت وادي سوف ضمن التراب العسكري الفرنسي الذي عامل مناطق الجنوب

---

[1] - محاضرة قدمت في الندوة الوطنية السنوية حول" رعيل الحركة الوطنية الأول في سوف ودورها الرائد في اندلاع ثورة التحرير 1954"، والمنظم من قبل الجمعية الوطنية الثقافية محمد الأمين العمودي وبالتعاون مع قسم العلوم الإنسانية، بجامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي يوم 30 نوفمبر 2015.

بسياسة عسكرية شديدة الوطأة، فضيق الحريات، ومنع العمل السياسي والثقافي والفكري، وراقب السكان في الصغيرة والكبيرة، ورغم ذلك عجز عن منع الكفاح والتضحية، فجازف الرجال منذ 1947، وبتكليف من المنظمة الخاصة (O S) وشرعوا في السفر نحو الجارتين تونس وليبيا، متخذين التجارة غطاء،[1] والتهريب مسلكا،[2] وجمعوا كميات معتبرة من السلاح، فكانت تلك البداية في احتضان الثورة. وحينئذ أثبتت وادي سوف استعدادها قبل غيرها، وهذا جعل منظري الثورة يستبعدونها من العمليات العسكرية في أول نوفمبر[3]، لتبقى خزانا يضخ السلاح للأوراس الأشم، والجنوب القريب، والحدود الشرقية مع تونس، ولم يكن الالتزام بهذا إلا اضطرارا من الثوار، بسبب سجن قائدهم «**حمه لخضر**» في أيام نوفمبر الأولى. وفور خروجه، نظم كتائبه، ولملم شمله، وخاض أول معركة في تاريخ الثورة التحريرية بوادي سوف والجزائر، وقعت بحاسي خليفة يوم 17 نوفمبر 1954.[4]

1 - تأطير وادي سوف للثورة التحريرية:

لقد صاحب الاحتضان الثوري، عمل آخر يؤازره، ويشده ويقويه، انفردت به وادي سوف، التي تتشابه - في جزء منه - مع بقية أنحاء الجزائر، بل كان الجنود من

---

1 - BEN KHEDDA Ben Youcef – **LES ORIGNES DU 1er NOVEMBRE 1954** – éditions DAHLEB, Alger, 1989, pp 131-132.

EL-HACHEMI TRODI – **Larbi ben M'HIDI L'homme des grands rendez-vous**- ed ENAC. Alger.1991. p86.

2 - يحي بوعزيز، " **تهريب الأسلحة عبر الحدود للمقاومة الجزائرية لمحاربة جيش الاحتلال**"، محاضرة مخطوطة. قدمت في الملتقى الوطني الأول حول قوافل التسليح لثورة أول نوفمبر. 1954 بالوادي من 19 – 20 مارس 1999. ص02.

3 - **علي عون، "مساهمة وادي سوف في تفجير ثورة التحرير بالسلاح والعتاد"**، محاضرة قدمت بدار الثقافة بالوادي 1992/5/1، توجد ضمن مدونة محاضرات الندوة الفكرية الخامسة محمد الأمين العمودي، ماي 1992، ص26.

4 - علي غنابزية، **الكفاح السياسي والعسكري للثورة التحريرية بالصحراء الجزائرية 1954ـ1962**، أوت 1994، مخ.
علي غنابزية، "الدور الاستراتيجي لوادي سوف في تجميع السلاح للثورة التحريرية" ـ في ـ **مجلة البحوث والدراسات**، المركز الجامعي بالوادي، العدد التاسع، يناير2010.

منطقة وادي سوف أبرز الفاعلين الحقيقيين في أول نوفمبر في بسكرة وخنشلة وسطيف، والعاصمة وغيرها، وسقط بعضهم شهداء. وقد تجلى التأطير في المجالات التالية:

أ - **التأطير الإداري:** كانت نواة إدارة جبهة التحرير في تونس، تحت إشراف ثلة من الجزائريين أغلبهم من وادي سوف، وأبرزهم في القيادة «السعيد عبد الحي»[1] الذي نسبت له الإدارة، وعرفت أدبيات الثورة في تلك الفترة قبل 1957، باسم «إدارة عبد الحي» [2] وكان مساعده وسنده الأيمن عبد الكريم هالي، وعلي شكيري، وغيرهم. واستمروا في العطاء إلى أن وقعت أحداث وخلافات عجلت برحيلهم، واستلم الإدارة قادة لجنة التنسيق والتنفيذ بعد مؤتمر الصومام. [3]

ب - **التأطير العسكري:** كان العمل العسكري الذي شهدته المنطقة موزعا إلى عدة جبهات، داخل المنطقة وخارجها:

- **جبهة الأوراس:** كانت الثورة بوادي سوف تابعة تنظيميا لقيادة الأوراس، ودأبت القيادة على إرسال دوريات استطلاعية، ومجموعات عسكرية، كلفت بجمع السلاح وترحليه للجبال، ولكن الظروف كانت تفرض عليهم الدخول في حرب عصابات، بين المساكن تارة، وداخل غيطان النخيل في أكثر الأحيان. [4]

- **جبهة وادي سوف:** وهي جبهة عرفت العديد من المعارك والاشتباكات، والتي لقنت المستعمر دروسا في التضحية والإباء، وأظهرت شجاعة نادرة، وبطولة متميزة، أجبرت العدو على اتخاذ إجراءات، تمثلت في تكثيف المراقبة، والاستنجاد بقوات مؤازرة من المراكز العسكرية الفرنسية القريبة والبعيدة، مدعمة بقوات اللفيف

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، الجيلاني العوامر، **شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف**، مطبعة النخلة، بوزريعة.

[2] - أنظر: أحمد توفيق المدني،**حياة كفاح**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ج3، ص 238.

[3] - أنظر: **مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج**، دار الأمة، ط1، الجزائر، مارس 2000، ص 49. **مذكرات المجاهد بودوح السبتي 1955-1962**، مطبعة عمار قرفي باتنة ــ الجزائر، 2002، ص 30. محمد عباس،" مع الطاهر بن عائشة. شاهد.. على نكبة السوافة "، **جريدة الشروق** العربي، العدد 665، الجزائر، الاثنين 6 جانفي 2003، ص 7.

[4] - أنظر: مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، المصدر السابق.

الأجنبي، والطائرات، وسلاح المدفعية. ورغم ذلك أبت وادي سوف إلا أن تسجل عدة معارك أهمها معركة صحن الرتم 15 مارس 1955، وغوط شيكة 8-10أوت 1955، معركة ادبيديبي15 جانفي 1956، [1] وأخري على الحدود التونسية الليبية المحاذية لوادي سوف، ومنها: معركة العلنداية، والخصايمية، وبير رومان، وصحن الوصيف.[2]واستمرت المعارك بشكل متتابع[3] إلى حصول البلاد على الاستقلال، وكان الجيش بقيادة الحبيب الجراية. [4]

- **الجبهة الخارجية:** وهي جبهة التأم فيها شمل الجزائريين في الحدود الجزائرية التونسية، واقتضت الظروف أن يتبوأ قيادة تلك المجموعات، من قبل المجاهدين من وادي سوف وعلى رأسهم الجيلاني بن عمر، والذي استطاع تكوين جيش قاده في نهاية المطاف الطالب العربي قمودي، وخاض معارك في الحدود ولاسيما في الجنوب التونسي، وبلغت معاركه نحو 47 معركة.

ويتكون الجيش من الجزائريين، ولكن أغلب جنوده من وادي سوف، وكون نواته الأولى المجاهد بن عمر الجيلاني الذي انضم إلى الأوراس، فاختاره شيحاني البشير في فيفري 1955 قائدا على الأفواج في الحدود الجزائرية التونسية، وكانت مهمة الجيش

---

[1] - عوادي عبد القادر، **معارك الثورة التحريرية بمنطقة وادي سوف من العمل السياسي إلى الكفاح المسلح 1948-1962**، لقاءات موثقة مع المجاهدين، مخطوط، يوجد لدى صاحبه بتاغزوت، ص ص 62-63.

[2] - **أنظر:** مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، مسيرة شاهد على الكفاح والثورة، **تح علي غنابزية، مخ.**

[3] - العمامرة سعد، عون علي، **معارك وحوادث حرب التحرير بمنطقة وادي سوف**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص ص 15-16.

[4] - أنظر: الحبيب جراية، نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، محاضرة مخطوطة، قدمت بندوة مشتركة بين الجمعية الوطنية الثقافية محمد الأمين العمودي، والمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء بالوادي، حول تاريخ الثورة بالمنطقة في شهر نوفمبر 1994، ص 12.

الجديد هي مراقبة وتأمين خط عبور السلاح الآتي من المشرق(300 مجاهد). وآخر معركة خاضها القائد الجيلاني هي معركة النقب 11 أكتور 1955، وفيها استشهد وبقي فراغ في القيادة، كلف الشيخ صالح رشاشي، عثمان سعدي، علي درغال التونسي.

واستمر تأسيس الجيش في الفترة ما بين (نوفمبر 1954-فيفري 1956). وأهم مراحله المتأخرة، عندما عين لقيادته الجديدة في 25 فيفري 1956، الطالب العربي قمودي، وساعده وجود إدارة السعيد عبد الحي، وعبد الكريم هالي في تونس.

وصل عدد الجنود يومئذ 900 مجاهد، وخاض نحو 47 معركة وحادثة، وشكل خطرا على الاستعمار، وأحس بالدعم المادي من البلد الأصلي (وادي سوف) التي تزود الجيش بالمال والرجال عن طريق المناضلين المهيكلين في نظامهم الخاص.

ج - **التأطير المدني:** عرفت المنطقة التنظيم السري المدني منذ 1955، وازداد نشاطه في عهد الطلب العربي، وكان يمد الثورة بما تحتاجه من رجال ومال وسلاح، وكان يتكون من خلايا سرية، ويقود النظام الإمام الشيخ البشير غربي.

ولكن التنظيم تم اكتشافه، فشرعت فرنسا في معاقبة رجال النظام المدني، وبدأت في عمليات الاعتقال والتعذيب والإعدام منذ 04 أفريل 1957، وتحولت إلى مذبحة في شهر رمضان طالت أكثر من مائة شهيد، وفي نفس الوقت تم تصفية قيادة عبد الحي في تونس في سنة 1957، وحوصر جيش وادي سوف، وقضي عليه وحل نهائيا، وأعدم قائده الطالب العربي في جوان 1957، وسجن بقية الجنود، وحقق أصحاب المصالح مآربهم.

- **الخاتمة:**

إن الثورة التحريرية الجزائرية، مفعمة بالقيم والمبادئ، ومن خلال أحداثها ومعاركها، يستلهم الدارس عدة نتائج قيمة:

- كان الشعب الجزائري وفيا للثورة، فبمجرد انطلاقها، وجدت الحضن الدافئ عنده، وبقي في رعايتها، وتقديم مختلف التضحيات بالمال والنفس.

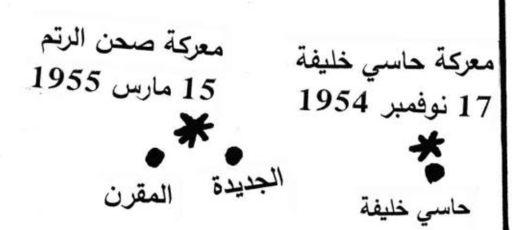
- كانت منطقة وادي سوف، سباقة في العمل الوطني، وكان لها دورها الاستراتيجي في التحضير للثورة، وترحيل السلاح للشمال، والذي استفاد منه المجاهدون في تفجير الثورة.

- تمكن السكان في وادي سوف من احتضان الثورة وتزويدها بالمال والرجال، وخاضوا معارك عديدة داخل النسيج العمراني، وفي الأطراف الخارجية، والمناطق الحدودية ضمن جيش وادي سوف.

- تعرضت المنطقة إلى مجازر رهيبة في أفريل 1957، عندما اكتشف النظام المدني للثورة، وهو يؤكد على الدور الفعال الذي لعبته، وخلدت به مآثر تتناقلها الأجيال على مر الأزمان.

المعارك الكبرى بوادي سوف

1954-1956



الجديدة

معركة غوط شيكة

8-9-10 أوت 1955

قمار

تغزوت

معركة هود سلطان

16 جانفي 1956

تكسبت

حادثة منزل بن بردي

19 جانفي 1956

الـوادي

الرباح

معركة الدبيديبي

15 جانفي 1956

مخطط مواقع المعارك الكبرى بوادي سوف 1954 - 1956

معركة حاسي خليفة 17 نوفمبر 1954 بوادي سوف
أول معارك الثورة التحريرية [1]

المقدمة:

انطلقت الثورة التحريرية ليلة أول نوفمبر وفي ساعة الصفر، بتنفيذ أعمال ثورية متنوعة، باغتت العدو الفرنسي، الذي لم يتوقع تلك الأعمال والتي انتشرت في خمس مناطق عبر الوطن، وشملت عدة مدن وقرى وبوادي، واستهدفت مواقع الجيش الفرنسي ومزارع المعمرين، وتركت أثرا في نفوسهم، وكانت بداية للفعل الثوري الذي تطور في المستقبل إلى معارك طاحنة، وملاحم ثورية يتحدث عنها التاريخ، وتمثل أسمى معاني المجد في تاريخ الكفاح الوطني.

وإذا كانت منطقة وادي سوف لم تنخرط في تلك العمليات، ولم ينفذ مناضلوها أي عملية في ليلة أول نوفمبر- بتوصية من القيادة - لكونها منطقة إستراتيجية لجلب الأسلحة، فأرادوها أن تبقى هادئة؛ ولكنها أبت أن تتأخر عن الركب، ونفذ مجاهدوها أول معارك ثورة التحرير بعد مضي سبعة عشر يوما من انطلاق الثورة، وشارك فيها 13 مجاهدا، كبدوا العدو خسائر تمثلت في عدد من القتلى، وجرح أحد المجاهدين وألقي القبض عليه، بينما انسحب بقية المجاهدين تحت جنح الظلام إلى معاقل الثورة في الشمال.

وإشكالية هذا الموضوع، عدم وجود المادة الكافية في المدونات والوثائق، ويتطلب معالجة الوقائع من خلال الروايات الشفوية، والكتابات المحلية، التي تحتاج إلى تمحيص الأخبار، مع تحليل بعض الأحداث وربطها بالعمل الثوري الوطني، كما أن الضرورة تقتضي التطرق لبدء المعارك الفاصلة في تاريخ الثورة، وهل سجلت معارك أخرى في

---

[1] - مقال نشر في **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية**، بجامعة الوادي، العدد 02، أوت 2015، الصفحات 11-29.

مستوى التراب الوطني، وما هو الفرق بين العمليات العسكرية والمعارك الثورية، والتي تعتبر معركة حاسي خليفة فاتحة خير للثورة الجزائرية في هذا المضمار.

1) العمليات العسكرية للثورة التحريرية في شهر نوفمبر 1954:

اندلعت الثورة يوم الفاتح نوفمبر 1954 في الليلة الصفر، عندما اختفى المجاهدون في جنح الظلام، بمباغتة العدو النائم، ومن أجل حماية أنفسهم وتأمين انسحابهم، والضرب في عمق العدو بسرعة خاطفة، وتكبيده خسائر في الأرواح والممتلكات. وتم تنفيذ ثلاثين عملية عسكرية في أرجاء الوطن، وتركز معظمها في العمليات التخريبية، أو ما عبر عليه بعمليات«اضرب واهرب»، المتمثلة في مناوشة العدو وإزعاجه. (1)

وانحصرت العمليات الأولى التي نفذت في المناطق الخمس - التي بدأت بها الثورة - في الهجومات المجملة التالية:

- هجومات على الثكنات العسكرية، وقوات الدرك الفرنسي، وقوات حراس الغابات، ومقرات الحاكم العام في المدينة، ومقرات القياد من أعوان الاستعمار.

- هجومات على المنشآت والمرافق الاستعمارية المدنية، مثل السكك الحديدية، وحافلات النقل، ومزارع المعمرين، والمناجم، والمصانع والورشات، وعلى مجمعات توزيع الكهرباء، وأعمدة الهاتف وغيرها. (2)

وتعتبر المنطقة الأولى «الأوراس» بقيادة مصطفى بن بولعيد - والتي تنتمي إليها وادي سوف - من أهم المناطق التي نجحت في تنفيذ ما خططت له القيادة في الفاتح من نوفمبر 1954، وأهم العمليات التي كللت بالنجاح والتأثير:

---

[1] - أحسن بومالي، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954 -1956، **منشورات المتحف الوطني للمجاهد**، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، د ت، ص ص 97 ـ 99.

[2] - محمد العيد مطمر، **فاتحة النار: العقيد مصطفى بن بولعيد**، دار الهدى، عين مليلة ـ الجزائر، 1990، ص 26.

اكتساح ثكنتين عسكريتين بمدينة باتنة، وقتل القائد العسكري الفرنسي بخنشلة، وعزل مدينة "آريس" من طرف المجاهدين عن بقية الوطن، وكذلك قرية "تكوت" بالقرب من آريس وتم محاصرة قوات الدرك بها. [1] وامتدت خلالها العمليات إلى بوابة الصحراء، مدينة ‹‹**بسكرة** ›› التي شهدت ست هجومات خاطفة على المواقع التالية:

استهدف الهجوم المحوري‹‹ ثكنة سان جرمان›› التي كان يعسكر بها لواء رماة السنغال، وهجوم مباغت على الحرس المتنقل، وعلى محطة القطار، ومركز الشرطة، ومحطة توليد الكهرباء، وتم إلقاء قنبلة حارقة على محل النجارة فاشتعلت به النيران، واستمر إطلاق النار ما يقرب من عشرين دقيقة. وبعد انسحاب المجاهدين، رد العدو بطلقات طائشة بائسة، وقد خلف الثوار في صفوفه الهلع والفزع. [2]

أما المناطق الأخرى ولاسيما‹‹الثالثة والرابعة›› فإنها أشعلت الفتيلة ليعلم المستعمر أن الثورة معممة في أنحاء البلاد، ثم اهتمت بتنظيم شؤونها، ونشر الوعي في المناضلين لمواجهة مخططات المستعمر الذي استهدفهم بشدة. [3] ولكن المنطقة الخامسة بوهران وضواحيها، كانت عملياتها في ليلة الفاتح من نوفمبر أقل نجاحا، واستهدفت مطار طفراوي بوهران لإضرام النار فيه، ولكن العملية لم تنفذ. كما استهدفت الاستيلاء على الأسلحة من الثكنة 66 للمدفعية بحي الكمين بوهران. [4]

ويومئذ تمكنت فرنسا من إلحاق خسائر بالمجموعات التي قادها محمد العربي بن مهيدي، بل استشهد - في اليوم الرابع - نائبه رمضان بن عبد المالك. وترك ذلك أثرا

---

[1] - محمد لحسن ازغيدي، **مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956 ـ 1962**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 69.

[2] - محمد العيد مطمر، **حامي الصحراء، احمد بن عبد الرزاق حمودة " العقيد سي الحواس**، دار الهدى، عين مليلة ـ الجزائر، د ت، ص 37.

[3] - محمد العربي الزبيري: **الثورة الجزائرية في عامها الأول**، دار البعث، ط1، قسنطينة ـ الجزائر، 1984، ص ص 131 - 132.

[4] - محمد لحسن ازغيدي، المرجع السابق، ص 70.

في نفس القائد الذي اتصل بالعاصمة تارة، وبالمغرب الأقصى تارة أخرى بحثا عن الأسلحة والوسائل التي تمكنه من تجاوز محنته، [1] وتجذير الثورة في منطقته الإستراتيجية.

والجدير بالذكر، ورغم التفاوت في حجم العمليات العسكرية وتأثيرها، فإن العدو اعترف بها، ولكنه حاول التقليل من الخسائر التي تكبدها. وقد صرح بذلك الحاكم العام للجزائر روجي ليونار، وما ورد في تصريحه: «حدث أثناء الليل بمناطق مختلفة من الأرض الجزائرية، وعلى الأخص في شرق قسنطينة بمنطقة الأوراس، عدة عمليات حربية مختلفة بلغ عددها الثلاثين عملية، قامت بها فرق صغيرة من الإرهابيين أسفرت عن مقتل ضابط وجنديين من حراس الليل بمنطقة القبائل، وكذلك أطلق الرصاص على مناطق الجندرمة، وألقيت بعض القنابل الحارقة، المصنوعة محليا، ولكنها لم تسبب أضرارا سوى في مخازن شركة الحبوب بالبليدة وبوفاريك وشركة سليتاف للحديد والفلين بمنطقة القبائل... ». [2]

ولكن الثورة اتخذت اختيارا مناسبا، لمواطن القتال المستقبلية، التي حصرت في الأدغال والغابات والجبال التي تصلح لحرب العصابات، وركزت على نصب الكمائن التي لا تتطلب إلا عددا محدودا من المجاهدين، ومدة الاشتباك تكون قصيرة، حتى تكسب الوقت في الانسحاب من الميدان بأمان، وحتى تفوت الفرصة على العدو، فلا يتمكن من الاستنجاد بقوات الدعم والإسناد. [3] وربما يتحول الاشتباك إلى معركة حقيقية، لأن الغرض الأساسي من تلك العمليات، يكمن في بث الرعب في صفوف العدو، والحصول على السلاح، وهذا لم يبق هدفا في بقية الشهور من عام 1954.

---

[1] - محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 136.

[2] - عمار قليل: **ملحمة الجزائر الجديدة**، دار البعث، ط1، قسنطينة ـ الجزائر، 1991، ج1، ص 216.

[3] - أحسن بومالي، المرجع السابق، ص 99.

والمعارك التي وقعت في تلك المرحلة، لم يخطط لها أصحابها، بل فرضتها الظروف، أثناء سعي المجاهدين لجمع السلاح، وهذا الذي حدث بوادي سوف، عندما خاضت دورية المجاهدين معركة حقيقية يوم 17 نوفمبر 1954 بحاسي خليفة، وتميزت عن العمليات العسكرية المباغتة التي سبق ذكرها.

والجدير بالتنويه أن منطقة الأوراس شهدت في تلك الآونة اشتباكات عديدة مع العدو، ما بين 5 إلى 13 نوفمبر في معارك ايشمول، وفم الطوب وغيرها، ولكن اشتباك 18 نوفمبر كان الأكثر فاعلية، [1] كما أن المعركة التي وقعت بالقرب من ثنية الرصاص بوادي عبدي يوم 29 نوفمبر، أعتبرت منعطفا حاسما في العمليات الحربية في الأوراس، إذ جعلتها فرنسا نصرا كبيرا لأنها قتلت القائد بلقاسم قرين ومن معه من المجاهدين، [2] إثر الهجوم الذي شنته فرق المضلين المدعمة بالطائرات على تلك المجموعة التي قادها الشهيد في جبال شلية. وهي تدخل ضمن العمليات العسكرية للجيش الفرنسي من 17 إلى 30 نوفمبر 1954، وشارك فيها أكثر من 5000 عسكري فرنسي. وتزامنت بدايتها مع معركة حاسي خليفة بوادي سوف.

2) الأهمية الإستراتيجية لمنطقة وادي سوف في الثورة التحريرية:

تعتبر منطقة وادي سوف من المناطق الموغلة في الصحراء، المفتوحة الأطراف - الجنوبية الشرقية - على دولتي تونس وليبيا، وقد شهدتا معارك أثناء الحرب العالمية الثانية، وخلفت العدد الكبير من الأسلحة، والتي امتلكها البدو وغيرهم من السكان، وصارت من البضائع التجارية الرائجة في تلك الأوساط.

ولما احتاجت المنظمة الخاصة على المستوى الوطني إلى السلاح، لتدريب المناضلين في صفوف حزب الشعب الجزائري عام 1947، بحثت عن المنطقة المهيأة لجلب

---

[1] - Mohamed Larbi Madaci: **Les Tamiseurs de Sable Aures – Nemamcha 1954 -1959** , ANEP ,Alger ,2008, p 35.

[2] - محمد العيد مطمر، فاتحة النار، ص29.

السلاح من الجارتين، فكانت منطقة وادي سوف الرائدة للقيام بهذا العمل الشاق،[1] وقد سبق لمناضليها أن أسسوا أول خلية للحزب سنة 1943، فكانت جهودهم تلبية لأوامر قيادتهم، واستطاعوا القيام بالمهمة على أكمل وجه، وزودوا المنظمة بشحنات كبيرة من الأسلحة المتنوعة، والتي نقلت تباعا إلى الزاب، ومنطقة الزرايب، ومنها إلى الأوراس، بواسطة شتى الوسائل من قوافل الجمال، والشاحنات والحافلات.

ولما تم الاتفاق على تفجير الثورة، وحددت المواقع المستهدفة بالعمليات العسكرية، استثنيت منطقة وادي سوف لعدة اعتبارات:

أولا: لأنها منطقة مكشوفة، لا تتوفر على أدغال أو جبال تحمي المجاهدين، وتستطيع السلطات العسكرية أن تكشف حركاتهم من خلال آثارهم فوق الرمال، فالتكتيك الحربي والحنكة السياسية تقتضي إبقاء هذا الإقليم رصيداً للثورة. [2]

ثانيا: مراعاة البعد الاستراتيجي لوادي سوف، ليواصل نشاطه الثوري في تزويد المجاهدين بالأسلحة، وهذا الدور - أي التزويد بالسلاح - لا يقل أهمية عن تنظيم العمليات، أو تفجير الحرب وخوض المعارك التاريخية، والتي لا يكون لها النجاح إلا بتوفر الأسلحة والذخائر، لأنها العنصر الرئيسي في المعركة مع العدو المدجج بأحدث ما وصلت إليه الصناعات الحربية في الغرب « فرنسا وأمريكا» وغيرها من دول الحلف الأطلسي. وقد أكد المجاهد محمد العربي مداسي، كيف استثنيت المنطقة من طرف قيادة الأوراس: « قرر بن بولعيد وقيادة الأوراس ترك أربع مناطق خارج الثورة،

---

[1] - **علي غنابزية،** "الدور الاستراتيجي لوادي سوف في تجميع السلاح للثورة التحريرية" ـ في ـ **مجلة البحوث والدراسات** ـ المركز الجامعي بالوادي، العدد التاسع، يناير2010.

[2] - صرح بذلك المجاهد البشير بوغزالة يوم 27 أفريل 1995 في الذكرى 38 **لشهداء مجازر رمضان 1957 بالوادي،** والتي نظمت من طرف الجمعية الوطنية الثقافية محمد الأمين العمودي، والأمانة الولائية للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء بالوادي، بدار الثقافة بالوادي.

[1] من أجل التموين بالمواد والأسلحة والأغذية، ولاسيما منطقة الجنوب مع مدينة وادي سوف لأنها تضمن عبور أسلحة ليبيا».[2]

ورغم كل التوصيات فان المجاهدين كانوا يسعون من أجل تفجير الثورة - مثل باقي أرجاء الوطن - إلا أن ظروف اعتقال القيادات حالت دون ذلك، وساد الهدوء - في النصف الأول من شهر نوفمبر 1954 - في وادي سوف قاطبة التي كانت تضم العشرات من المناضلين الذين تشوقوا لخوض المعركة التي جمعوا لها السلاح، وكانوا ينتظرون يوم تفجير الثورة بشغف ولهفة، إلا أن الظروف السابقة كبحت جماحهم، وأثنتهم عن عزمهم، فالتزموا الصبر بكل رباطة جأش، ونفذوا الأوامر بروح أخلاقية عالية، ولكن الصبر نفد، والظروف تبدلت، والهدوء تحول إلى هدير قوي، اندلعت فيه معركة «حاسي خليفة» التي هزت أركان العدو وأقضت مضاجعه، وتصدى بكل قوة لأبطالها الذين ظهروا فجأة، وضربوا في عمق العدو، وفلوا في عضده، ووصلت أخبارها إلى قادة الثورة، التي أحدثت عندهم المفاجأة، وكان أحمد بن بله في ليبيا، ولما تناهى إلى مسامعه خبر المعركة قال: «الله أكبر- وضرب كفيه - ثم قال: أردناها جسراً للتمويل بالسلاح والقوافل، فأصبحت منطقة معارك وسيعمل العدو على تكثيف المعارك بها».[3]

3) معركة حاسي خليفة أول معارك الثورة التحريرية:

كانت المعركة في شهر نوفمبر 1954، هامة ومحورية، ومعلما ساطعا في جبين الثورة التحريرية في كامل الوطن:

---

[1] - المناطق الأربع هي وادي سوف للتموين بالأسلحة، والمنطقة المتكونة من تامزة وقايس لتزويد الثوار بالأغذية، وكذلك شمرة وخنشلة لنفس الأسباب.

[2] - Mohamed Larbi Madaci , Op-Cit, p 20.

[3] - المجاهد علي عون موسي، **مساهمة وادي سوف في تفجير ثورة التحرير بالسلاح والعتاد والرجال**، محاضرة قدمت بدار الثقافة بالوادي يوم 1992/5/1. توجد ضمن **مدونة محاضرات الندوة الفكرية الخامسة محمد الأمين العمودي**، ماي 1992.

أ) الظروف العامة قبل اندلاع المعركة:

أولا: كان التحضير للثورة المرتقبة على أشده في مختلف أنحاء الجزائر، وتم التدريب على السلاح وفنون القتال في الغيطان، وبين الكثبان الرملية في ربوع وادي سوف، خلال الشهور السابقة لموعد الثورة، وكان المجاهد القائد حمة لخضر أعمارة متحفزا ومتشوقا للمعركة، ولكن أعوان الاستعمار وعيونه، أخبروا عن تحركاته، والبسوه تهمة ممارسة السياسة، والمتاجرة بالأسلحة، فالقي عليه القبض، وسجن بالوادي في أواخر شهر أكتوبر 1954، وهذا فوت الفرصة على المنطقة، ومر أول نوفمبر بهدوء.

ثانيا: ظلت المجموعة التابعة لقيادة حمه لخضر تتدرب على السلاح في الأماكن الخالية، في شبه معسكر لإتقان الرماية، وتهيئة ما لديهم من قطع السلاح المتواضعة، ومن جانب آخر، كانوا على اتصال بقائدهم في السجن؛ يزودونه بآخر الأخبار عن الثورة وأحوال البلاد، وتشاوروا معه في الدفاع عنه لدى السلطات، وإقناعهم أن ما حدث له مجرد مشاكل عائلية، وخلافات فردية مع بعض الناس، وقد أثمر هذا السعي، نَخَفُف عنه السجن، [1] الذي دام عشرة أيام فقط، وأفرج عنه يوم 6 نوفمبر 1954. [2]

ثالثا: شرع حمه لخضر في جمع أفراده، واتصل بالمناضلين في قرى سوف، بالرباح بأقصى جنوب المنطقة، والأخرى الشمالية - القريبة من مسكنه - بقرى الجديدة والمقرن وحاسي خليفة، لتشكيل قوة كبرى يمكنها ضرب العدو، والمسارعة قبل فوات الأوان، حتى تلتحق وادي سوف بالثورة، وتنفذ ما أمكن من عمليات عسكرية، [3]

---

[1] - عوادي عبد القادر: **معارك الثورة التحريرية بمنطقة وادي سوف من العمل السياسي إلى الكفاح المسلح 1948-1962**، لقاءات موثقة مع المجاهدين، مخطوط، يوجد لدى صاحبه بتاغزوت، ص ص 62-63

[2] - لما أصر حمه لخضر على تفجير الثورة في حينها مثل بقية المدن الجزائرية، وخالف القيادة، فتصورها، هي التي دبرت له القضية، وأدخل السجن في 26 أكتوبر 1954. أنظر: محمد لحسن زغيدي، **شخصيات نموذجية**، منشورات الحبر، ط1، الجزائر، 2009، ص 130.

[3] - عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 64.

وقد سبق له التخطيط مع مجموعته، بالهجوم على ثكنة الوادي، أو مقر الحاكم العسكري،[1] وبقيت تلك الفكرة مسيطرة عليه إلى يوم استشهاده. [2]

رابعا: الشروع في تنظيم دوريات متعددة، توزعت في بعض جهات المنطقة، منذ منتصف شهر نوفمبر، لبث الوعي الثوري في أوساط المناضلين، وجمع الأسلحة، لأن المعركة تحتاج إلى السلاح الوفير، والذي يمتلكه بعض السكان ولاسيما أعوان الاستعمار وخدامه، وأهم الدوريات قبل يوم من المعركة:

ـ دورية نحو المقرن: واتصل أفرادها بالمدعو أحمد ينبوعي لأخذ قطعة سلاح «بندقية» يمتلكها، فوعدهم بتسليمها لهم، وكان هذا في منتصف الشهر، وضرب لهم موعداً للتسليم، ولكنه في اليوم الموالي أخبر السلطات التي وضعت خطة لمتابعتهم.

وتكونت الدورية من المجاهدين: شعباني بلقاسم، عبد الباري عمار، بشير العايب، صوادقية صالح، بلالة بشير، ريغي عبد الرزاق، فاتجهوا يوم 16 نوفمبر، لتسلم القطعة، وعند اقترابهم من منزل ينبوعي لاحظوا مراقبة مشددة من الجنود، وخرج صاحب البيت، وتنكر لوعده، فتقدم منه صوادقية صالح، وسلمه إنذارا مكتوبا ومختوما بالحبر الأحمر، أن يسلم القطعة في ظرف ثلاثة أيام، وبعدها انصرفت المجموعة نحو قرية سيدي عون المجاورة، وفي الطريق مرض المجاهد عبد الباري عمار، فتخلف معه مجاهدان، وواصلت البقية طريقها نحو الهدف.

ـ دورية نحو سيدي عون: وتكونت من ثلاثة مجاهدين فقط، صوادقية صالح، والعائب بشير، وريغي عبد الرزاق، وعند وصولهم للقرية، التقوا بالمناضلين، وقدموا لهم توجيهات تخص الثورة، وضرورة مساعدتها والالتفاف حولها، ثم غادروها إلى قرية السويهلة المجاورة. [3]

---

[1] - علي عون موسي، المصدر السابق.

[2] - محمد لحسن زغيدي، شخصيات نموذجية، ص ص 131-132.

[3] - العمامرة سعد، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير بمنطقة وادي سوف، ص ص 15-16.

ـ دورية نحو السويهلة: وكانت بقيادة حمة لخضر، وصوادقية صالح، والعائب بشير، وشعباني بلقاسم، [1] وقصدوا منزل أحد أعوان الاستعمار، المدعو ولد الواعر أحمد، الذي يملك سلاحا من نوع « ماط» و300 رصاصة، وبمجرد طرق الباب، خرج لهم، وبيده مصباح، فكشف حالهم للعدو الذي كان يتربص بهم في جنح الظلام، وحينئذ حدث اشتباك بإطلاق النار من الطرفين، والذي أسفر عن اغتنام أربع بنادق من العدو، وانسحبوا إثر ذلك إلى المكان المتفق عليه من كل الدوريات، وهو صحن الرتم الذي يبعد عن السويهلة بنحو 15 كيلومترا. بهود النخيل الذي تمركز به المجاهدون بقيادة المجاهد لمقدم مبروك، واشتغل أفراد مجموعته في تنظيف حوالي 800 رصاصة، والتي تم جلبها من زاوية الشيخ الهاشمي، والتي سبق جمعها من طرف ميهي محمد بالحاج.

ولكن القائد حمة لخضر، وبالتشاور مع أفراده، غير من خطته، لعلمه أن قوات العدو سوف تلاحقهم، وهو مصر على ملاقاتهم، لأن إمكانية الانسحاب في الليل تمكنهم من ذلك، فاختار الاتجاه نحو الصحن القبلاوي بحاسي خليفة، وسلكوا عدة طرق لتعمية أنظار العدو، وطلبوا من المجاهد دردوري خزاني توجيه الدورية[2] وقضوا الليل كله في الاستعداد للمعركة، وكلهم حذر من مباغتة العدو.

ب) اندلاع المعركة (17 نوفمبر 1954):

لقد أيقن العدو من خلال تحركات الدوريات من المقرن إلى السويهلة، والتوقف بحاسي خليفة، أن الثورة انطلقت بالمنطقة، فسارعت القوات العسكرية بعملية تمشيط ومتابعة، للمجاهدين الذين تحصنوا في الهود، وكانوا يملكون من السلاح تسع

---

[1] - عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 64.

[2] - العمامرة سعد، عون علي، المرجع السابق، ص ص 16-17.

بنادق فقط، وعدهم 13 مجاهداً. [1] فانتظروا للرد على العدو، في معركة فرضت عليهم، والتي قادها حمة لخضر، فقام بتوزيع أفراده بشكل هلالي فوق الكثبان الرملية في جهة الشرق، وفي أعلى قمة هود اكريم في الشمال، وكلف المجاهد خزاني دردوري - الذي يعرف المنطقة جيدا - بمراقبة المداخل، ولما رأى تدفق القوات الفرنسية نحوهم، سارع إلى إبلاغ قائده في الميدان، وكان وصول القوات الفرنسية في حدود الساعة العاشرة صباحا، فبادرهم المجاهدون بوابل من الرصاص، أربكهم، ورفع من معنويات المجاهدين الذين تدربوا جيدا على القتال في الرمال الصحراوية، وتأقلموا مع مناخها.

أما العدو فقد جند عدداً كبيراً من جنوده، فكانت الشاحنات تنقل الجنود بشكل مستمر إلى غاية المساء، فشاركت قوات المشاة المدعمة بسلاح المدفعية، ويتراوح عددها ما بين(350-300) جندي، وتواصل القتال من حدود الساعة الحادية عشرة كأكثر تقدير وحتى حلول الظلام، [2] الذي توقف عنده القتال. وأثناء ذلك لم تستطع قوات العدو التقدم رغم ما تملكه من عتاد ورجال، [3] وهي أول معركة تخوضها في الصحراء، وفرق بين الأجنبي الذي يقاتل ظلما وعدوانا، وأعوانه من القومية الذين يخشون الموت، وبين المجاهدين في سبيل الله الذين يحملون أرواحهم فوق أيديهم، ويرجون النصر أو الاستشهاد.

---

[1] - أسماء المجاهدين المشاركين في المعركة هم: 1 - أعمارة محمد الأخضرحمة لخضر قائد المعركة، 2 ـ لمقدم مبروك، نائبه، 3 - صوادقية صالح، 4 ـ شعباني بلقاسم، 5 - عبد الباري عمار، 6 - دردوري خزاني، 7 - العايب بشير، 8 بلالة البشير، 9 - شراحي مصباح، 10- داسي العربي، 11 - فرجاني العربي، 12- ريغي عبد الرزاق، 13 - عبد القادر الوصيف. أنظر: العمامرة سعد، عون علي، المرجع السابق، ص ص 13-14.

[2] - عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 67-68.

[3] - العمامرة سعد، عون علي، ص 17.

ج) النتائج الأولية للمعركة: انتهت المعركة بالنصر، وأسفرت عن بعض النتائج الأولية، منها:

- لم يخسر المجاهدون أي فرد من مجموعتهم، ما عدا المجاهد شعباني بلقاسم الذي أصيب بجروح بليغة، وأسر من طرف العدو، ونكل به وعذب، وأودع السجن. [1]

- أما خسائر العدو فكانت عددا معتبرا من الجرحى، نحو 75 قتيلا، وهذا ما سمعه جريح المعركة « شعباني بلقاسم» من أفواه جنود العدو وأعوانه، [2] بينما قدرهم نائب قائد المعركة لمقدم مبروك بنحو 62 قتيلا. [3]

3) انعكاسات معركة حاسي خليفة على الحياة الثورية بالمنطقة:

اقتضت المعركة، السرعة الفائقة في الحركة، واتخاذ القرار من الطرفين، وتجلت انعكاساتها فيما يلي:

أ - انسحاب المجاهدين خلال الليل نحو الشمال، ويذكر لمقدم مبروك أن طائرة استكشافية كانت تطاردهم وتقتفي آثارهم، ولكنهم تموهوا، وواصلوا طريقهم إلى العريش، ثم بئر زحيف الذي يبعد عن حاسي خليفة ب 70 كلم، [4] ومنها إلى منطقة الشط، وتوقفوا بمكان يدعى الزرق، وتناولوا التمر والماء، ولاحقتهم قوات العدو على متن مهاري مخزن الوادي، وتم تبادل إطلاق النار من فرقة القومية، ولكن المجاهدين انسحبوا بسلام، حين التجئوا - في تلك الأرض المكشوفة - إلى مكان يدعى الغدائر، به الحشائش والأشجار، [5] ومنها تابعوا السير إلى معاقل الثورة بجبل زريف في منطقة النمامشة بضواحي تبسة، واختلطوا بإخوانهم المجاهدين، برعاية قائدهم حمة

---

[1] - بقي في السجن مدة أربع سنوات، ولما أطلق سراحه، عاد إلى جيش التحرير. أنظر: عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 68.

[2] - أنظر: العمامرة سعد، عون علي، ص 17.

[3] - عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 68.

[4] - نفسه، ص 68.

[5] - العمامرة سعد، عون علي، ص ص 17-18.

لخضر.[1]

ب ـ كثف العدو عمليات المراقبة، ومتابعة أخبار المجاهدين، وتتبع آثارهم، ولاسيما في الآبار المحيطة بالمنطقة،[2] بواسطة قوات مخزن الوادي، التي تمسح المنطقة الممتدة في الحدود الجزائرية التونسية، والتي تصل إلى غدامس وغات الليبيتين، والمتاخمة لوادي سوف في الناحية الجنوبية الشرقية. [3]

ج) القيام بحملة اعتقالات واسعة، مست عائلات المجاهدين، وباقي السكان المشتبه فيهم، وسلط عليهم التعذيب، والعقوبات بالسجن، ما بين 3 إلى 5 أشهر، وخاصة منهم خمسة عشر مواطنا هم: السيد لخضر قابوسة، لمقدم علي، داسي محمد، شعباني خليفة، محمد لخضر المدعو«أعمارة العيد »، بلالة على، بلالة العربي، شعباني خليفة « والد أسير المعركة شعباني بلقاسم »، عمارة علي، عمارة محمود، عمارة أحمد، خديجة«زوجة حمة لخضر قائد المعركة » المولدي بريك، دردوري معمر، إبراهيم لعبيد. [4]

د) اصطدم حمة لخضر ومن معه في منطقة تبسة وما جاورها من جبال، بالخلافات الحادة بين مجموعات المجاهدين، وتعدد القيادات، [5] وحينما كان مصطفى بن بولعيد في طريقه نحو ليبيا لجلب السلاح، مر بتلك الجبال واطلع على الوضع السيئ والخلافات الحادة بين المجاهدين، فبعث برسالة إلى خليفته على قيادة الأوراس، بشير شيحاني «... يطلعه فيها على شقاق كان بين "لزهر شريط " و" محمد لخضر السوفي"، وعبد المالك. وبلقاسم بوقرة، وهم كانوا ضباطا في جيش التحرير التونسي، وقد رجعوا إلى

---

[1] - محمد لحسن زغيدي، شخصيات نموذجية، ص 134.

[2] - أنظر مذكرات المجاهد إبراهيم معتوقي، مخطوط.

[3] - علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882-1954**، رسالة دكتوراه، قدمت بجامعة الجزائر، 2009، غير منشورة، ص 128.

[4] - عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 69.

[5] - أنظر مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2000، ص ص 14-47.

الجزائر، فالتقى بهم ابن بولعيد في طريقه إلى المشرق بتبسة حيث أدرك بأن لا بد من جمع شملهم لتقوية صفوف الثورة››.[1]

وقد استعجله أن يتنقل لعين المكان لاتخاذ القرار الصائب، وتم فعلا اجتماع في أوائل 1955 بوادي مطره بالجبل الأبيض حضره كل من شيحاني بشير، عباس لغرور، والبشير ورتان ‹‹سيدي حني››، وعاجل عجول، والأزهر شريط، حمة لخضر، والجيلاني بن عمر، ووزعت المهام كما يلي:

- أحمد بن عبد الرزاق حمودة "سي الحواس" يتولى قيادة المنطقة الثالثة.
- عباس لغرور والحسين برحايل يتوليان قيادة ناحية خنشلة.
- محمد مسعود بلقاسمي مسئولا على ناحية مشونش.
- عمار بلعقون وأحمد نواورة يتوليان ناحية آريس.
- محمد لخضر عمارة ‹‹حمة لخضر›› ومبروك مقدم يتوليان قيادة منطقة وادي سوف.
- الجيلاني بن عمر مسئولا عن مناطق الحدود الليبية التونسية.
- لزهر شريط يتولى مسؤولية منطقة "أم الكماكم".[2]

وقد مكن - هذا التكليف - حمة لخضر من كسب الشرعية الثورية، في التحرك بالمنطقة، وقيادة المجاهدين في الدوريات العسكرية، ومواصلة جمع الأسلحة.

ه) صار حمة لخضر يتلقى الأوامر من القيادة، بالتوجه إلى وادي سوف لجمع الأسلحة، وقد كلفه قائد الأوراس شيحاني بشير، رفقة سبعة من المجاهدين، الذين توجهوا إلى وادي سوف، واضطرتهم الظروف إلى خوض معركة صحن الرتم يوم 15

---

[1] - محمد الطاهر عزوي، شهرة معارك الجرف في السنة الثانية للثورة الجزائرية، محاضرة قدمت في الملتقى الوطني الأول باتنة سنة 1989، **مدونة بعنوان " معالم بارزة في ثورة نوفمبر 1954"**، إنتاج جمعية أول نوفمبر لتخليد وحماية مآثر الثورة في الأوراسباتنة، مطبعة قرفي، باتنة ـ الجزائر، 1992، ص 114.

[2] - محمد العيد مطمر، **العقيد محمد شعباني وجوانب من الثورة التحريرية الكبرى**، دار الهدى، ط1، عين مليلة ـ الجزائر، 1999، ص ص 54-55.

مارس 1955، وقد وصل عدد الجنود بعد التجنيد في الميدان إلى 22 مجاهدا، استشهد منهم ثمانية في المعركة. [1]

ـــ الخاتمة:

تعتبر الحركة الوطنية الجزائرية مدرسة كبرى في النضال من أجل التحرير والسعدي الدؤوب للحصول على الاستقلال. ولقد أدرك المناضلون هذا البعد، فقاموا بالعمل، وكانوا على أهبة الاستعداد، حين دقت ساعة الثورة المسلحة التي فجرت في حينها في معظم أنحاء الوطن. وكانت وادي سوف في موعد مع التاريخ، ولكنه تأخر لعدة أسباب موضوعية، وتوج بعمل جبار جسدته أول معركة في سجل الثورة الجزائرية.

- لقد كانت العمليات العسكرية في فاتح نوفمبر، عمليات على شكل هجوم مباغت، واشتباك قصير، وانسحاب، بعد تحقيق الهدف، وهو إثبات الوجود، وإشعار المستعمر بانطلاق الثورة، عن طريق تخريب المنشآت، والانتقام من أعوان الاستعمار وقادتهم.

- كان حمة لخضر أعمارة يخطط للقيام بأعمال ثورية، رغم توصية القيادة، بترك المنطقة رصيدا استراتيجيا لجمع السلاح، وجلبه من الخارج، وتزويد المناطق بالسلاح الذي يمثل عصب الثورة وعمودها الفقري، لكن إصراره، اعتراه التأخر، لأنه وقع في قبضة المستعمر، وتعرض للسجن، ولم يخرج منه إلا في الأسبوع الأول من نوفمبر، وحينها لم ينتظر، وسارع ينظم دورياته، ولم شمل المناضلين، وجمع السلاح، إلا أن تحركاته كُشفت من طرف العدو، والذي تصدى له بقوة، وتحول ذلك إلى معركة حامية الوطيس.

- رغم أن معركة حاسي خليفة، كانت في النصف الثاني من شهر نوفمبر، ولم يُعد لها الإعداد الكافي - بل اضطرتهم الظروف إلى خوضها بشجاعة وإقدام - إلا أنها كانت أول معركة دامت يوما كاملا في صحراء مكشوفة، أثبت فيها المجاهدون مقدرتهم

---

[1] - العمامرة سعد، عون علي، المرجع السابق، ص ص 19-25.

العالية في الحرب، وإدارة المعركة بنجاح، وتحقيق النصر المطلوب، والانسحاب بأمان، ولم يخسروا أفرادهم، ولقنوا المستعمر درسا عمليا في الجهاد، وأعلنوا عن التحاق وادي سوف رسميا بركب الثورة التحريرية، لتتآزر مع باقي المدن الجزائرية، ويلتقي الجميع في الجبال على قدم المساواة في الجهاد والوطنية والأنفة.

- كانت انعكاسات المعركة مكلفة للسكان الذين وقعوا في حصار، ومتابعة، وتعرضت عائلات المجاهدين للتضييق والتعذيب والسجن، وتعدى ذلك إلى مراقبة الآبار على امتداد الصحراء المتاخمة لوادي سوف، ولكن المجاهدين كسبوا شرعية عسكرية، وتم تكليف قائد المعركة بالنشاط في كامل ربوع وادي سوف، وهذا شجعه على العودة بعد أربعة شهور، ليخوض معركة أخرى، ويكبد العدو خسائر، ويحقق الانتصار الثاني، ويبعث في المنطقة روحا ثورية، وجذوة تتقد حيوية ونشاطا في الكفاح المسلح.

وعموما فإن معركة حاسي خليفة، توجت سجل الكفاح في تاريخ الثورة التحريرية، وكانت أول معركة حاسمة، في الوقت الذي عجزت فيه بعض المناطق من تنفيذ العمليات المبرمجة في أول نوفمبر، وظلت مدة أطول وهي تحاول إثبات وجودها الثوري في تاريخ الكفاح الوطني.

معركة صحن الرتم15 مارس 1955
وانتصار الحرية

المقدمة:

خاضت منطقة وادي سوف أول معاركها في الأسبوع الثالث من شهر نوفمبر 1954، في حاسي خليفة، عندما كان الثوار في شوق ولهفة للالتحاق بركب الثورة وجحافلها، وتسطير جهادهم في سجل الخلود، وكانت معركة متميزة، كبدوا فيها العدو خسائر معتبرة، وتشجع المجاهدون على مواصلة الكفاح، والمضي قدما في الطريق السوي، مع قوافل الأبطال في مختلف أنحاء الوطن المفدى. وكانت المعركة الثانية، والتجربة الموالية، في صحن الرتم، فما هي حقيقتها؟

1-الظروف العامة قبل اندلاع المعركة:

أ-الظروف العامة في وادي سوف وموقف السلطات الفرنسية: تفاجأت السلطات العسكرية الفرنسية في مدينة الوادي بمعركة حاسي خليفة، وسارعت إلى دفع أفرادها، لمتابعة دوريات المجاهدين أينما حلوا، وكانت الدوريات بقيادة حمة لخضر اعمارة، وحدث الاشتباك في هود كريم بحاسي خليفة، وانتهى بهزيمة المستعمر، وانسحاب المجاهدين بسلام.

ومنذ ذلك التاريخ كثفت وسائل المراقبة، وأوعزت إلى أعوانها في مختلف قرى وادي سوف، بالاجتهاد في تتبع حركة كل من يلفت الانتباه، أو يكون موضع الاشتباه، ويتم فورا، جمع كل المعلومات وتبليغها إلى مركز القيادة بالوادي. كما قاموا بتتبع مجاهدي المعركة الذين أفلتوا بأعجوبة، واستوعبتهم جبال الثورة وقلاعها في منطقة الأوراس. ولم تسلم العائلات التي لها ارتباط بالمجاهدين، من السجن والتعذيب، وخصوصا عائلة حمة لخضر، الذي تم جمعهم في محتشدات، حتى تظهر فرنسا قوتها، وتشعر السكان بأنها ممسكة بزمام الأمور.

وحتى تعاقب منطقة حاسي خليفة، نظمت احتفالا ضخما بعد شهر فقط من المعركة، يوم 16 ديسمبر 1954، حضره الحاكم العام للجزائر روجي ليونارد، والضباط، وأكره السكان على المشاركة في الاحتفال، حتى يسوقوا لمشهد الاستعراض، وإبراز الجبروت والتسلط. وتم تسليم راية الكتيبة الصحراوية إلى كتيبة المهاريست (C.M.E.D) في ذلك الجمع الاحتفالي. [1]

ب-الظروف العامة للقيادة في منطقة الأوراس: كانت قيادة العمل الثوري بوادي سوف متواجدة في منطقة الأوراس، وهي جزء من قيادة المنطقة الأولى. وتم عقد اجتماعات تنظيمية، وزعت فيها المهام، وحددت ميادين النشاط العسكري. واعطيت المهمة الكبرى لمنطقة وادي سوف لجمع المال والسلاح والذخيرة، وتموين الجيش بالطعام واللباس وغيره من الحاجيات الضرورية. وكلف المجاهد الشهم حمة لخضر بالقيادة، والإشراف على الأعمال الثورية بوادي سوف، ولاسيما بعد نجاح العمل البطولي، والبلاء الحسن الذي اشتهر به في معركة حاسي خليفة.

كانت الثورة في أمس الحاجة إلى ذلك النشاط، لأنها في معاقلها بالشمال تفتقد إلى أدنى الإمكانيات المادية وخصوصا الأسلحة والذخيرة، وليس من السهل التحرك إلا من خلال المناطق التي يمتلك سكانها البنادق، وكانت وادي سوف المرشح الأول للقيام بها العمل بعفوية وإتقان. لقربها من الأوراس، ووجود عمل سابق، وتجربة من المناضلين قبل انطلاق الثورة، ومخازن للسلاح عند بعض المجاهدين في البيوت والغيطان.

وبناء على ذلك، وفي اجتماع عقد في مكان يدعى«القلعة»، [2] في حدود 05

---

[1] - راجع: التقرير السنوي لعام 1954، الصادر من السلطات الفرنسية بتاريخ 10 فيفري 1955، نقلا عن عبد الحميد بسر، **الشهيد القائد الطالب العربي قمودي**، مطبعة مزوار، ط1، الوادي – الجزائر، 2014، ص ص 99-98.

[2] - **مركز القلعة:** شرق الاوراس وجنوب خنشلة، وهو قريب من تبسة.

مارس 1955، [1] كلف قائد الاوراس بشير شيحاني، حمة لخضر ومعه ستة من المجاهدين،[2] بالانطلاق نحو وادي سوف، وجمع الأسلحة والذخائر لدعم الثورة. [3]

2-دوريات المجاهدين قبيل المعركة في قرى وادي سوف:

وصل المجاهدون إلى وادي سوف، وكانت أهدافهم واضحة، فشرعوا بتوزيع الأفراد على شكل دوريات، تتنقل بين القرى، وتتصل بمن تتوسم فيهم المروءة والإباء، والاستعداد لتقديم ما عندهم من سلاح، وما تجود به أنفسهم من مال. ويسعون إلى تجنيد المواطنين للثورة، أو خدمتها في محيطهم الاجتماعي، وتصفية الحساب مع الخونة والجواسيس.

ويمكن الوقوف على تلك النشاطات، بتحديد المواقع التي زاروها، واغلبها في منطقة عميش (الرباح والبياضة) وفي الجنوب الشرقي (الطريفاوي والزقم)، وشمالا (المقرن والجديدة) ودامت في حدود يومين، وكانت أغلب تنقلاتهم ليلا:

أ-الدورية الأولى: وقادها حمة لخضر بنفسه، ووصلت إلى قرية الطريفاوي، وتوقفت في (هود خليل عبد الله)، وبعد جمع المعلومات والأخبار واصلت سيرها إلى القرى التالية:

-قرية الحبة: ونعني بها خبة النخلة، وعقد الاجتماع في منزل الريغي عبد الرزاق، وتم فيه التخطيط، وتحديد مسار التحرك، والتوصية بالحذر وأخذ الحيطة. [4] وكان الوقت منتصف النهار، ورغم التخفي والحذر، وصلت سيارة جيب (Jeep)، تقتفي

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، **معارك وحوادث حرب التحرير بمنطقة وادي سوف**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص 21.

[2] - عين مبروك لمقدم نائبا لحمة لخضر.

[3] - أنظر: رشيد قسيبة، **القائد حمه لخضر ودوره في الثورة التحريرية**، مطبعة الرمال، الوادي – الجزائر، 2019، ص 100.

[4] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 22-21.

أثر المجاهدين المتنكرين، وتوقفت عند بيت بشير لاغا القريب جدا من منزل الريغي عبد الرزاق، وكان لاغا مكلفا بإطعام المجاهدين وتحضير ما يحتاجون من غذاء. وحتى يذهب الشكوك من ساحته، استضاف أصحاب السيارة من القومية لتناول الغداء عنده، وهكذا - في نفس الوقت - وفي منزلين متقاربين، تناول المجاهدون والقومية نفس الطعام، وكفى الله المؤمنين شر الاستعمار. [1]

-**قرية النخلة:** وبعد الغداء واصلت الدورية مسيرها نحو بلدة النخلة الغربية، واختفى أفرادها في اللباس العسكري الفرنسي، وقصدوا بيت أحد القومية ويدعى امعمر، وأوهموه أنهم أرسلوا من حاكم الوادي لمتابعة أخبار المجاهدين الذين تسللوا للجهة، واستدعوا في نفس الوقت أحد أعوان الاستعمار، ويدعى العيد بن لارة، ووجهوا له اللوم لكونه غافلا عن معرفة أوضاع المجاهدين، وأشعروه عن طريق قصة مفتعلة، أن القومية قتلوا أحد المجاهدين، فانقموا منهم، وقتلوا ضابطا فرنسيا، وانسحبوا سالمين إلى مراكز الثورة. والهدف من هذه المقابلات، حتى يبعثوا الرعب في نفوس القومية وأعوان فرنسا.

-**قرية الرباح**: تركت الدورية الخبة وراءها، واتجهت رأسا نحو الرباح المحاذية لها، واتصلوا في بادئ الأمر بالسيد عبد القادر كشحة الذي سلم لهم ثلاث بنادق، الأولى طليان عيار7/5، والثانية 86عيار 9، والثالثة من نوع خماسي7/5. كما اتصلوا بالمجاهد الإمام الشريف بالزاوية القادرية، واتفقوا معه على تقديم المساعدات من الزاوية، ومواصلة العمل الثوري.[2] وتمكن المجاهدون من تجنيد خمسة عشر مواطنا من مختلف

---

[1] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، **الثورة التحريرية المباركة، إرادة الرجال وصبر الجمال في معارك الصحراء**، دار سامي للطباعة والنشر، الوادي - الجزائر، 2020، ص 71.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 22.

الأعمار، كانوا على أتم الاستعداد للجهاد والبذل.[1] رغم افتقارهم للخبرة القتالية. وبعد إنهاء مهمتها عادت الدورية إلى الخبنة.

ب-**الدورية الثانية:** وتوجهت إلى البياضة، وكانت تحت إشراف مبروك لمقدم، وكان مقصدها الزاوية التجانية، وعند الوصول، لم يتمكنوا من الإلتقاء بشيخها محمد العيد الذي كان غائبا، فقابلهم ابنه أحمد التجاني، وطلبوا منه المساعدة، فقدم لهم ثمن بندقية. [2] كما اتصلوا بالسيد شوشان سلطاني، المسؤول المدني المكلف بالتموين، فسلمهم كمية من اللباس الذي تم إعداده خصيصا لهم، وكمية من الذخيرة من مختلف الأنواع والاحجام. وبعد إنهاء الدورية عملها اتجهت نحو مكان التجمع مع الدورية الأولى في بلدة الخبنة.

ج-**الدورية الثالثة:** وضمت المجموعة بأكملها، والتي انطلقت في طريق العودة، ومرت بالقرى التالية:

-**قرية الطريفاوي**: تحركت الدورية نحوها في الصباح، وقصدت (هود لعويني) شرق القرية، للإحتماء به عن أعين الناس، وفي الوقت نفسه، عرجت دورية صغيرة نحو مدينة الوادي غربا، متكونة من المجاهدين: وخليفة واده، والعربي فرجاني، وعمار بن عبد الباري، واتصلوا بالمجاهد ميهي محمد بلحاج الذي سلمهم كمية من اللباس، وعدد معتبر من الرصاص، ثم رجعوا نحو دوريتهم الأصلية بالطريفاوي. وحينها وصلتهم أخبار أكيدة بأنهم أكتشف أمرهم من أعوان الاستعمار وعليهم المغادرة.[3]

-**قرية الزقم**: اتجهت الدورية إلى بلدة الزقم القريبة، والتقوا في طريقهم بأحد السكان، وطلبوا منه تحضير الطعام، ولكنه لم يكن أمينا، وعزم على إخبار العدو

---

[1] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 68.

[2] - بقي أحمد التجاني على عهده إلى ان أستشهد في مجازر رمضان 1957.

[3] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 23. عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص71- 72.

وافشاء سرهم، ولكن والدته العجوز كانت أكثر منه وطنية، فحذرتهم، لأنها لا تثق في ابنها الذي لا يتورع عن التبليغ عنهم، فتركوا المكان نحو الشمال في محطتهم الأخيرة.[1]

د-**الدورية الرابعة:** واصلت الدورية حركتها نحو الشمال، وفي نواحي المقرن وزعت نشاطاتها كما يلي:

-**قرية المقرن**: اتجه حمة لخضر ومعه مبروك لمقدم إلى منزل الشيخ الطاهر، وأخذوا بندقية حارسه بالقوة، وشدوا عليه الوثاق، وتركوه مكتوف الأيدي أمام المنزل.

-**قرية الجديدة:** وهي موطن حمة لخضر، وأعرف الناس بأحوالها، وفيها بيته وزوجته. وكان هدفه البحث عن الخائن المدعو العيد اشتيوي، فلم يجدوه في منزله، وكان غائبا عن الهود الذي يملكه، فتوجهوا مساء بعد صلاة العصر إلى سوق الجديدة، فوجدوه يلعب الخربقة،[2] فرماه حمة لخضر بالرصاص فأرداه قتيلا، فانفض الناس من السوق هاربين، وتركوا كل شيء على حاله. وعند حلول الظلام، تسلل المجاهدون من المقرن إلى الجديدة، وتناولوا العشاء عند أحد المواطنين، واستراحوا قليلا، لأنهم خافوا من مداهمة المستعمر المفاجأة. وحينها خرجوا للتخفي في غوط بعيد عن الجديدة، [3] وهم لا يدرون أنها ليلة المعركة المنتظرة؟

3-اندلاع معركة صحن الرتم:

كان ميدان المعركة «**صحن الرتم**»[4]، وهو موقع في أرض جرداء قرب بلدة

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 24.

[2] - **الخربقة:** لعبة شعبية، تلعب في الرمال، بواسطة حجارة، وتتطلب الفطانة.

[3] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 24. عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 72.

[4] - **صحن الرتم:** لفظة مركبة من كلمتين: **الصحن:** وهو الأرض المستوية. ويطلق على الساحة وفي سط المنزل، كما يطلق على الفضاء الأرضي في وسط الصحراء، وجمعه صحون. أنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج7، 292. **الرتم:** نبات يوجد في مناطق العرق والأراضي المنبسطة ولاسيما في شمال وادي سوف، ويعتبر مصدرا هاما للحطب، ولما كان هذا الرتم

« الجديدة»، في نواحي المقرن، اختاره المجاهدون للتخفي ليلا، وهم لا يدرون أنهم اختاروا مكان المعركة المفروضة عليهم، لأن القوات الفرنسية اغتنمت جنح الظلام، وتسللت قواتهم من جنود وضباط وقومية إلى الصحن، واختاروا مكانا استراتيجيا، إعتمادا على خبرتهم وتدريباتهم، وانتظروا طلوع النهار من يوم الثلاثاء 15 مارس 1955.

تفطن المجاهدون للأمر، فكان المكان مطوقا، والغوط محاصرا، واكتشفهم الحارس المداوم عبد الرزاق بالريغي، عندما شاهد سبع سيارات تحمل الجنود. وحينها وجد القائد حمة لخضر نفسه في وضعية القتال الاضطراري، ومعركة مفروضة بدون اختيار أو مراوغة، وعدد أفراده قليلا، لا يتجاوز 22 مجاهدا، منهم 15 فردا جندوا حديثا، ولا يعرفون فنون القتال، وليس لهم من السلاح سوى 12 بندقية وكمية محدودة من الذخيرة، والخلاصة أن المعركة غير متكافئة، وهي نوع من الانتحار في ميزان المنطق.

اشتعلت شرارة المعركة عندما أطلق الحارس عبد الرزاق بالريغي وابلاً من الرصاص وهو يؤذن للصلاة، فكان الرد عليه قويا، فاستشهد في مكانه في حدود الساعة الرابعة والربع صباحا. وحينئذ وزع القائد حمة لخضر جنوده إلى مجموعتين:

-المجموعة الأولى: التي تملك السلاح، أعطيت إشارة مهاجمة العدو، فاشتد القتال في حدود الساعة الخامسة والنصف، واستمر الكر والفر إلى وقت غروب الشمس، وحلول الظلام الدامس الذي كان ستارا للمجاهدين، اعتصموا به، وانسحبوا من أرض المعركة واتجهوا صوب الشمال.

-المجموعة الثانية: وهم العزل من السلاح، أمرهم حمة لخضر بالاختفاء بين النخيل، وكلف ستة منهم بالتوجه نحو الشمال، والاعتناء بنقل اللباس والذخيرة التي جمعتها

منتشرا في هذا الموضع عرف باسم صحن الرتم. أنظر: يوسف حليس، **الموسوعة النباتية لمنطقة سوف**، مطبعة الواليد، الوادي – الجزائر، 2007، ص 134.

الدوريات – السابقة الذكر - من قرى وادي سوف. ولكن المستعمر لاحقهم بطائرة حربية، رمتهم بقذيفة، فاستشهدوا جميعا في الغوط المجاور.[1]

4-نتائج المعركة:

انتهت معركة صحن الرتم بانتصار الحرية، فرغم الخسائر التي تكبدها المجاهدون، تمكنوا من مواجهة العدو، وخرج القائد حمة لخضر من أرض المعركة سالما، ومعه 14 مجاهداً، اتصلوا بقيادتهم لمواصلة القتال على درب الجهاد، ولا شك أن خسائر المعركة مست الطرفين، وهي كما يلي:

أ-خسائر المجاهدين:

-استشهاد ثمانية من المجاهدين الشباب، منهم ستة كانوا بدون سلاح.

-أصيب عدد من المجاهدين بجروح، ومنهم القائد حمة لخضر الذي جرح في رجله، والمجاهد بشير بلاله الذي أصيب في يده.

-خلفت المعركة عددا من الأسرى، أهمهم نائب القائد مبروك لمقدم الذي عانى من جروح خطيرة، وكذلك عبد الكامل بوغزالة. [2]

ب-خسائر الفرنسيين:

سقط عدد معتبر من القتلى، حدده المجاهدون ما بين 80-110 قتيل، وما تبعه من جرحى ومصابين.[3] ونظرا لغياب الوثائق، فإن المعلومات مصدرها واحد، هو المجاهدون الذي اعتصروا الذاكرة بعد عقدين من الزمان، وحددوا بالتقريب كل تفاصيل المعركة ونتائجها والتي تحتاج إلى مصادر دقيقة، حتى يزول اللبس، ويأمن التاريخ من كل شك أو ارتياب.

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 25. عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 73-74.

[2] - نفس المراجع السابقة.

[3] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 76.

5-انعكاسات ونتائج المعركة على وادي سوف:

مما لا شك فيه أن المعارك في تاريخ ثورة التحرير، مهما كانت نتائجها الإيجابية أو حصيلتها السلبية، تعتبر عند الشعب الجزائري، وفي تقدير الثورة انتصارا، لأنها واجهت الظلم الاستعماري، وشفت صدور المؤمنين، ورفعت معنوياتهم، وشجعتهم على المزيد من بذل الجهد، والاستمرار في الكفاح، والعطاء والتضحية، وهذا الذي عاشه المجتمع عموما.

إن طبيعة الانسان، ترجو السلامة دوما، وترغب في حفظ الأرواح والممتلكات، وفي المقابل تحزن النفوس التي تصاب بفقد الأحبة والأقارب، وهذا ما حدث للعائلات التي قدمت شهداء، عاشوا الحزن، ولكنه ممزوج بالاعتزاز والفخر بمقام الشهادة الذي شرف العائلة، ونال رضوان الله الذي اختارهم إلى جواره، كما قال سبحانه: «ويتخذ منهم شهداء».[1]

أما الطرف الفرنسي، فازداد حنقا على الثورة، وأخذ يراجع حساباته، ويجدد مخططاته، بتشديد المراقبة، والتضييق على السكان، واحكام حالة الطوارئ، وتكثيف الدوريات العسكرية. ورفع راية الانتقام من السكان، ومست عائلات المجاهدين بالدرجة الأولى، فقد مستهم الضراء، وذاقوا ألوان التعذيب الجهنمي، وزج ببعضهم في السجن، وتعرضوا للنفي والتشريد، بل أقيمت لهم محتشدات بالحدود الشرقية بنواحي البرمة، فيما عرف بمحتشد «ميه ربح». [2]

ولكن الثورة ازدادت اندفاعا وحيوية، وتضاعف عدد المجاهدين، ولم تثنهم الإجراءات الفرنسية عن مواصلة الكفاح، ولم تنجح سياسة الترهيب، وبعد برهة من استرجاع أنفاسهم، وشفاء جروحهم، عاد حمة لخضر إلى المنطقة ليخوض أكبر معركة في تاريخها الخالد.

---

[1] - سورة آل عمران، الآية 140.

[2] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 76.

معركة غوط شيكة أيام 8-9-10 أوت 1955
المعركة الكبرى ومدرسة التضحيات

المقدمة:

تعددت المعارك بوادي سوف، في سنة 1954، وبداية 1955، ولكن معركة «غوط شيكة» في أوت 1955، تميزت عنها كثيرا من خلال عنفوانها، وتحديها للاستعمار، وصمود أبطالها، والذين طوعوا الزمن ومددوا في عمر الجهاد، وصنعوا المعجزات، وحققوا الآمال في أنفسهم، وفسحوا الأمل لغيرهم. لقد تصدوا للعدو بصدورهم العارية، ثلاثة أيام متتالية، وسطروا في سجل المجد أن للحرية ثمن لا يقدر بالمال والمتاع، بل يقاس بالقيم والمبادئ، وقمتها التضحية بالنفس لأن الجود بالنفس غاية الجود.

لقد وقف المستعمر مشدوها حائرا أمام بطولات المجاهدين الضعفاء إلا من الايمان الذي ثبتهم إلى آخر رمق في حياتهم، التي صاروا بها شهداء، وهم أحياء عند الله، لا يمسهم نصب ولا ذلة، بل يرزقون بكرة وأصيلا في جنات عرضها السماوات والأرض، وفيها يتنعمون.

1-أحوال وظروف الثورة قبل المعركة:

إن الاطلاع على ظروف الميدان، والأطراف المشاركة في المعركة، في فترة تفصل بين معركتي صحن الرتم وغوط شيكة، كانت فترة خمسة أشهر، متوالية، وزاخرة بالأحداث والنشاطات، ولها تأثير على قيام المعركة ونتائجها:

أ-الظروف العامة بوادي سوف:

عاشت المنطقة بعد معركتي حاسي خليفة (نوفمبر 1954) وصحن الرتم (مارس 1955) في حالة من الحصار والاستنفار العسكري، والاحتياط الأمني، الذي قام برصد كل حركة للمواطنين. وازدادت عمليات المراقبة في الطرق وبين المدن والقرى،

وشدد الخناق على المسافرين، ووسائل النقل الخاصة والعمومية، فلا يمكن التنقل إلا برخصة المرور، وبطاقة السفر، المؤشرة من السلطات الإدارية، وموافقة مبنية على التحريات الأمنية.

لقد خلفت أحداث المعارك السابقة في نفوس السلطات الفرنسية، حالة من الخوف والتوجس، لأن تغلغل المجاهدين في المجتمع، لا يعرف مصدرة ولا أوان ظهوره، ولا المنفذ الذي يسلكونه، وخصوصا أن التقارير والأخبار الاستخباراتية تؤكد على اشتعال المعارك في منطقة تبسة ونقرين، والأوراس بصفة عامة وكلها متاخمة لوادي سوف وفي خطها المناسب وطرقها المعتادة نحو الشمال. كما تتواجد بتلك المناطق، العناصر الثورية المكلفة بالعمل والنشاط في وادي سوف، وسبق لهم تفجير المعارك الأولى، وأبلوا فيها البلاء الحسن، ومازالوا على العهد والتصميم، ومواصلة جهادهم بعزم ودون هوادة.

أما في الأوساط الشعبية، فقد تعرف المجتمع على الثورة عن قرب، وشاهد التضحيات الجسام، واستبشر بسقوط الشهداء في ساحات المعارك، الأمر الذي شجع المترددين، فنشطوا في جمع السلاح والمال، وتبرعوا ببنادقهم. وقرر بعضهم الانضمام للثورة في أول فرصة تتاح، كلما وجد سبيلا ميسرا للسفر والالتحاق بالجبال.

ب-الظروف العامة بمنطقة تبسة:

كانت منطقة تبسة مركزا لقيادة ثورية، تشترك مع غيرها من المناطق في الزاوية الشرقية من الأوراس، وكلف بإدارتها المجاهد لزهر شريط.[1] وإثر رجوع حمة الأخضر إلى منطقة نشاطه في نواحي تبسة - بعد معركة صحن الرتم - اشتد الخلاف بين المجاهدين وبين القائد لزهر شريط. وعندما كان مصطفى بن بولعيد في طريقه إلى تونس، التقى بحمة لخضر في تبسة وعرف الخلاف عن كثب، فبعث رسالة إلى خليفته

[1] - رشيد قسيبة، المرجع السابق، ص 100.

على المنطقة، بشير شيحاني، وطلب منه تسوية الخلاف، ولم شمل القيادات لتقوية صفوف الثورة. [1]

وتنفيذا لأمر القيادة، عقد بشير شيحاني اجتماعا للقيادات في أفريل 1955 بناحية تبسة، حضره فرحي ساعي، لزهر شريط، الجيلاني بن عمر، حمة لخضر، عبد المالك قريد، وجدي مقداد. انتهى اللقاء بتوزيع المهام على الحاضرين، وحينها كلف حمة لخضر بالإشراف على العمل الثوري العسكري كملحق لقطاع الجبل الأبيض لتنشيط الثورة في وادي سوف. [2] وخلال الفترة ما بين أفريل وجويلية 1955، شارك حمة لخضر في معارك عديدة أهمها:

-معركة شمال خنقة سيدي ناجي، يوم 15 أفريل 1955، [3] وشارك في نصب كمين مع 28 مجاهدا، وكبدوا العدو خسائر فادحة، وقتل المقدم الفرنسي (ميكال)، ومعه عدد من ضباط الصف وسبعين من الجنود. [4]

-معركة تفاستور بششار، [5] يوم 27 جويلية 1955، وهي كمين نصبه عباس لغرور، وتمكنوا من الاستيلاء على قافلة عسكرية فرنسية، ولكن القوات الفرنسية حولتها إلى معركة، ونتج عنها حرق الآليات وتصفية الأسرى. [6]

---

[1] - محمد الطاهر عزوي، ‹‹**شهرة معارك الجرف في السنة الثانية للثورة الجزائرية**››، في مدونة بعنوان معالم بارزة في ثورة أول نوفمبر 1951م في الملتقى الأول بباتنة 1989، **منشورات جمعية أول نوفمبر لتخليد مآثر الثورة في الاوراسباتنة**، مطبعة عمار قرفي، باتنة-الجزائر، 1992، ص 101.

[2] - رشيد قسيبة، المرجع السابق، ص 100.

[3] - **خنقة سيدي ناجي**: بلدة تقع في أقصى شرق منطقة بسكرة، وهي المنطقة التي عمل بها حمة لخضر في شبابه راعيا للغنم. أنظر: سعد العمامرة، الجيلاني العوامر، **شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف**، ص 32-33.

[4] - رشيد قسيبة، المرجع السابق، ص ص 104-103.

[5] - **ششار**: بلدة تقع في الجنوب الشرقي لمدينة خنشلة، وتبتعد عنها حوالي 50 كلم، وعلوها 1243م عن سطح البحر.

[6] - رشيد قسيبة، المرجع السابق، ص ص 110-109.

-معركة أم الكماكم[1] في يوم الجمعة 29 جويلية 1955، ووافق يوم عيد الأضحى المبارك يوم 10 ذي الحجة1374هـ، [2] وقادها شيحاني بشير. [3] وهكذا كان حمة لخضر قبل المعركة في نشاط دائب، وحركة متواصلة لا تعرف الراحة والسكون.

2-الدورية العسكرية المكلفة بالنشاط العسكري بوادي سوف(أوت1955):

كلفت القيادة في الأوراس، مجموعة من المجاهدين للقيام بنشاطات عسكرية، وتجمعت عوامل عديدة، ودوافع متراكمة، عجلت بخروج الدورية، وتوجهها نحو هدفها في وادي سوف.

أ- دوافع الدورية العسكرية:

-الرغبة في مواصلة عمليات جمع السلاح والمال، وتجنيد الشباب، وتموين الثورة بكل ما تحتاجه، لأن مصادر المجاهدين ضعيفة، ولا يوجد في الجبال شيء، بل هم في انتظار ما يصلهم من الشعب الجزائري. وكانت وادي سوف خزانا من السلاح، ومركزا يعتمد عليه في جمع المال من التجار والفلاحين، ولاسيما التمر والألبسة. وكانت الدوريات تقصدها باستمرار، منذ قيام الثورة، وسرعان ما تتحول إلى معركة حقيقية.

-التكليف الرسمي من قيادة الجيش في الاجتماع الذي تم في منطقة وادي هلال قرب موسى البهلول بجبل الجرف يوم 29 جويلية 1955، بإشراف بشير شيحاني، وعباس لغرور، والأزهر جدري، وكان موضوع الاجتماع، التخطيط والتحضير لعمليات عسكرية شاملة في وادي سوف وما حولها، وكان القرار ضرورة إرسال

---

[1] - **أم الكماكم:** جبل في بئر العاتر قرب سكياس والجبل الأبيض، في منطقة تبسة، كان معقلا للثورة، ويبعد عن بئر العاتر بحوالي 50كلم، ويبلغ علوه عن سطح البحر 939م. أنظر: إبراهيم مياسي، **المقاومة الشعبية الجزائرية**، دار مدني للنشر والطباعة، الجزائر، ب ت ط، ص 223.

[2] - عثمان سعدي، **مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج**، المصدر السابق، ص ص 43-42.

[3] - رشيد قسيبة، المرجع السابق، ص 107.

مجموعة من المتطوعين إلى وادي سوف لجمع الأسلحة والمال وتجنيد الشباب للثورة.[1]

-التخفيف من حدة الحصار العسكري الذي ضرب على وادي سوف، وحالة الطوارئ التي تضرر منها السكان. وكانت توصيات القيادة واضحة، وتؤكد على حماية أفرادها. وتتمثل نشاطاتهم في مهاجمة مراكز العدو بالأسلحة البيضاء، ولا يستعمل السلاح إلا عند الضرورة، حفاظا على الذخيرة، والتزام التخفي، ونصب الكمائن، والانسحاب الفوري بعد تنفيذ المهمة. [2]

كما يدخل عمل الدورية في فك الحصار على منطقة الأوراس التي تضررت كثيرا من الرقابة الفرنسية، منذ شهر ماي 1955، وذكر المجاهد لخضر بن طوبال الذي كان نائبا لزيغود يوسف في منطقة الشمال القسنطيني: « وفي ذلك الوقت كان راسلنا شيحاني بشير يستنجد ويقول: نحن في خطر، لازم الولايات يعملوا عمليات لفك الحصار علينا، حتى تتقسم القوات الفرنسية على كل المناطق».[3] وذهب أحمد خراز إلى تأكيد ارتباطها بهجومات الشمال القسنطيني التي وقعت يوم 20 أوت 1955، وهي توافق 1 محرم 1375هـ، وأنها برمجت في وقتها، ولكن المجاهدين اختلط عليهم التاريخ وكانوا يظنون أن المعركة تكون بعد عيد الإضحى، بعشرة أيام وهو يوم 20 ذي الحجة 1374هـ، وهو متزامن مع يوم 10 أوت 1955.[4]

ب- الإجراءات التنظيمية للدورية العسكرية:

عندما طلبت القيادة من المجاهدين أن يتطوعوا في الدورية العسكرية التي مقصدها منطقة وادي سوف، سارع المجاهدون إلى المشاركة، وتمت العملية برفع الأيدي، وكان اختيارهم طواعية وعن طيب خاطر. وقد لبى الأمر أربعا وثلاثين مجاهدا،

---

[1] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، « غوط شيكة بوادي سوف -أوت 1955»، ضمن كتابه **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990، ج3، ص 119.

[2] - رشيد قسيبة، المرجع السابق، ص 102.

[3] - أنظر: محمد لحسن أزغيدي، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956-1962، ص 91.

[4] - لقاء مع أحمد خراز ببيته بحي المصاعبة بالوادي في شهر جويلية 1995.

وكانوا تحت قيادة حمة لخضر اعمارة، لكونه المسؤول المباشر على العمل الثوري، والأكثر تأهيلا للقيام بالمهمة لتمتعه بالشجاعة والخبرة والتجربة التي اكتسبها في المعارك السابقة.

وتم توديع الدورية يوم 28 جويلية 1955، بعد أن سلم لكل منهم أربعون رصاصة، وكانت التوصية أن يغنم كل واحد أربعون سلاحا بعد قتل حامليهم، لأن الغرض الرئيسي للدورية هو جمع السلاح وتوفير الذخيرة. وسلاح الفرنسيين مصدر مقصود لتحقيق أهداف عديدة. ولكن الدورية - في طريقها إلى وادي سوف - قامت بأعمال وهجومات في جبل الجرف بواد بوهلال، وهجمت على ثكنة نقرين في يوم 4 أوت 1955، وواصلت طريقها، ولما وصلت وادي سوف، وبالتحديد إلى قرية الجديدة شرعوا في تنظيم أعمالهم، وتوزيع مهامهم. [1] ودام نشاط الدورية ثلاثة أيام متواصلة، تمكن الثوار من مباغتة العدو، واشتبكوا معه في معركة ضارية، أظهروا فيها معاني التضحية والفداء، والتحدي الصارخ، والتصميم على دحر العدو، وعدم الاستسلام إلى آخر قطرة من دمائهم.

3-اليوم الأول: الإثنين (8 أوت1955) الدوريات الاستطلاعية:

شكل المجاهدون أنفسهم في فصائل، عدد كل منها ما بين 10 إلى 11 مجاهدا، وتم توزيعهم إلى عدة جهات لجلب الأسلحة وجمعها ولو اقتضى ذلك استعمال القوة، وكان مقصدهم النقاط التالية: قمار، والوادي، والجديدة، والمقرن. وتمركزوا في هذا اليوم بغوط رحومة خليفة، وتناولوا البسر، وأرسلوا إبراهيم رحومة إلى مدينة قمار ليأتيهم بالمؤونة والكرطوش الذي كان مخبأً عند حمية، الذي اقترح عليهم الانتقال إلى غوط شيكة لأنه غوط محصن وواسع وأكثر ظلالا. وطرحت قضية الماء المالح في الغوط المقترح، وكان حلها سهلا بجلب الماء الحلو من الغوط القريب منه. [2]

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، معارك وحوادث حرب التحرير بمنطقة وادي سوف، ص ص 33-32.

[2] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، ص ص 121-120.

اتجهت دورية أخرى بقيادة قريد عبد المالك إلى الرقيبة، وحصلت على اثنتي عشرة بندقية، ونحو ألف رصاصة، ومبلغ من المال قدره 600 ألف فرنك قديم. وتعرفت عليهم امرأة في طريق رجوعهم، وأخبرتهم أن زوجها المتوفى، كان صيادا، وترك بندقية من الرباعي الفرنسي، و600 كرطوشة، خبأتها في قلة مبنية بالجبس، وسلمتها لهم، وسألتهم الدعاء لها ولزوجها بالأجر والثواب. ويومها تم تجنيد ثمانية مواطنين من بينهم خويمس مصباح الذي قص عليهم الحلم الذي رآه سنة 1945، «رأى نفسه قد دخل بستانا أخضرا ولم يخرج منه». ففسرت له الرؤيا المنامية، بالذهاب إلى الحج أو الاستشهاد في سبيل الله والدخول إلى الجنة. [1]

وتعددت الروايات حول موضوع اكتشافهم من السلطات الفرنسية وأعوانها، ليلة وصولهم إلى مشارف سوف، فقد وجدوا أربعة من رعاة الإبل الساهرين ليلا بوادي الجردانية،[2] فقادوهم إلى القائد حمة لخضر، وفي الطريق أفلت أحدهم من قبضتهم واتجه إلى القايد الحسين بالمقرن وأخبره بأمر المجاهدين. [3] كما وصل الخبر عن طريق أحد الرعاة الذي تعرف على الدورية، والتي اتجهت إلى مدينة قمار. وتعرض للضرب، ولكنه أفلت منهم وأخبر قايد قمار، الذي حمله رسالة إلى القائد العسكري بالوادي، حملها الراعي بنفسه ليكون أشد تأكيداً.[4] وحينئذ أيقن القائد حمة لخضر أن السلطات العسكرية تعلم خبر وصولهم، وهي على أهبة الاستعداد لمواجهتهم، ومداهمة موقع تمركزهم، وهذا يوم 8 أوت. ورغم أن المعركة المفروضة غير متوازنة، قرر حمة لخضر الصمود ورفع راية التحدي مهما كانت النتائج.

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 34.

[2] - **وادي الجردانية:** منطقة في وادي سوف الشمالية الموازية لجهة المقرن، وتبعد نحو 60 كلم عن المنطقة.

[3] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 33.

[4] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 124.

4-اليوم الثاني للمعركة: الثلاثاء(9 أوت1955) القتال الدامي:

قضى المجاهدون ليلتهم في (غوط خماد) وكانوا على أتم الاستعداد، متحفزين لكل مباغتة من العدو من كل الجهات، ودامت تلك اليقظة والحيطة حتى الصباح، حينما أشرق بضوئه ولاح، وكشف عن يوم الثلاثاء التاسع من شهر أوت، بجوه الساخن. وحينها لاحظ المجاهدون بآلة المنظار، تقدم السيارات العسكرية، تحمل الحاكم العسكري والضباط بمختلف الرتب العالية، والقياد وعدد من جنود «القومية»، ووقع تبادل النار بين الطرفين، وكان بمثابة اختبار الفرنسيين قوة المجاهدين، ومدى صلاحية أسلحتهم القديمة. واستطاع المجاهدون قتل عدد من الفرنسيين والقومية، وهرب الباقون، وغنموا عدداً من الأسلحة، وارتفعت معنوياتهم التي صحبتها زغاريد النساء.[1]

-واقعة الساباط:

وهي واقعة حقيقة، ذكرتها معظم المراجع، وأكدتها روايات المجاهدين. وحيثياتها، هي مشاهدة المجاهدين مرة أخرى بآلاتهم التي تقرب الصور، أن فصيلة من القومية يتراوح عددها ما بين 24 إلى 35 جندي، تقدموا نحو الصحن الواسع في طرف الغوط، واتجهوا نحو السباط.[2] حينها أخذ حمة لخضر قبعة(برنيطة) أحد القتلى من جند العدو، ولوح بها للقومية، فانطلت عليهم الحيلة، واعتقوا أنه أحد أفراد القوات الصديقة، فتقدموا أكثر في طمأنينة وأمان. ودخل بعضهم إلى الساباط ووضعوا أسلحتهم، واشتبك الآخرون مع المجاهدين الذين داهموهم بغتة، وأسقطوا عددا منهم قتلى، وحاصروهم، واقتحموا الساباط، وأفلت أحدهم فأمرهم حمة لخضر بتركه حتى يخبر العدو بفعلهم الناجح. أما البقية فرفعوا الراية البيضاء، واستسلموا صاغرين، فأخذ منهم أسلحتهم، وأمر بربط أيديهم، وتغطية أعينهم، ثم ذبحوا جميعا.

---

[1] - المرجع السابق، ص ص 129-127.

[2] - **السباط:** هو عبارة عن بناء له أقواس، يستعمل للراحة ويتم فيه النسيج لدى النساء، والنوم في القيلولة، وهو مفتوح للهواء، لتوفير نوع من البرودة في جو الصحراء الساخن.

وكانت المرأة حاضرة في القتال، في الصف الثاني للدعم والمساندة، وشاركت بالزغاريد، وساهمت بأعمال جليلة، فكانت تجلب لهم الماء العذب، والطعام، وتضمد الجرحى في الميدان، وتقدم الإسعافات الأولية، وترفع المعنويات بكل شجاعة وجرأة.[1]

وكانت نتائج هذه الواقعة في صفوف العدو، مقتل ضابط فرنسي، ونحو 23 من جنود القومية، وغنموا بنادقهم والتي تراوحت بين 25 إلى 30 بندقية، ومعها كمية من الذخيرة. أما في صفوف المجاهدين، جرح السيد علاوة من تبسة، وقيل استشهد في عين المكان. كما استشهد سي العلالي من قساس، وجرح المجاهد البشير بن خليفة، وبقي متأثرا بجراحه، واستشهد في اليوم الموالي في الصحراء.[2] وكان هذا نصراً جليلاً للمجاهدين بتوفير كمية هامة من السلاح، وسلامة أغلب أفرادهم، فارتفعت معنوياتهم، واستعدوا لمواصلة كفاحهم بكل قوة وشجاعة.

وقد استعد العدو، واغتنم اشتداد الحرارة في منتصف النهار، فبعث بكتائبه المتتالية، وكثف عمليات المراقبة عن طريق القومية والجواسيس، ولم يترك للمجاهدين وقتا لاسترجاع أنفاسهم، ولا تنظيم صفوفهم. بل وجدوا حالهم في وضعية سيئة دفعهم إلى مراجعة خطتهم، وبسرعة قام حمة لخضر بتقسيم جنوده على فرقتين:

فأرسل الجزء الأكبر من جنوده إلى غوط شيكة،[3] والبقية نحو الغوط المجاور

---

[1] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 133-129. سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 35.

[2] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 133.

[3] - **غوط شيكة:** هو مزرعة كبيرة للمعمر شيكة، أحد الاوربيين وهو أقرب إلى المالطيين، قدم إلى الجزائر سنة 1917، ضمن تشكيلة من عسكر السباييس برتبة قائد، وعين بعد الحرب العالمية الأولى مفتشا لزراعة الدخان في إدارة الفلاحة بوادي سوف، ثم انتقل إلى برج الدخان في قمار، واحتك بالفلاحين وربط معهم علاقات جيدة. ولما تقاعد من هذا العمل، عمل كاتبا عاما في شركة دقليون الإيطالية للنقل بالوادي. فاستغل حاجة فلاحي الدخان بقمار للقروض، فسهلها لهم إداريا، مقابل العمل في مزرعته الغوط المذكور في المعركة والذي شرع فيه بقرية الجديدة، والذي حمل اسمه. فعمل كل فلاح ثلاثة أيام بالمجان في رفع الرمال وغراسة النخيل وسقيها. وتم زراعة 200 نخلة، وهي ثروة =

له في الجهة الشمالية الغربية، حتى يشتت العدو ويشغله أكثر ولاسيما أنه استقدم جنود السينغاليين[1] وقوات المهاري[2] الصحراوية.

وهكذا فتحت أمام الثوار جبهتين في نفس الوقت، وكان قائد العمليات عند العدو، هو العقيد (باطيون). واستعمل الفرنسيون أسلحة متنوعة من البنادق والمدافع وسلاح الجو من المظليين، والطائرات التي تتوالى أرتالا اثنتين وبعدها اثنتين، فتقصف ثم تعود. واستمر الوضع على هذه الشاكلة إلى وقت حلول الظلام، وحينها ألقت الطائرات قنابل مسيلة للدموع حتى تجبر المجاهدين على مغادرة أماكنهم. وفعلا نقل المجاهدون سلاحهم إلى غوط شيكة، وتعاون المواطنون فوفروا لهم الماء الكافي. [3]

أما القسم المقاتل في الغوط المجاور، وعددهم نحو 15 مجاهدا، كانوا في مواجهة جنود السينغاليين والطائرات. وبقي المجاهد قريد عبد المالك وجماعته يحاربون العدو إلى الليل، وحققوا الانتصار، وكبدوه خسائر في الأرواح والعتاد، وأسقطوا له طائرتين، ولكنهم قدموا نحو إحدى عشر شهيدا. [4]

-نشاط المجاهدين أثناء الليل:

استغل المجاهدون جنح الظلام، فكان لهم متنفسا، فانسحبوا بسهولة من غوط شيكة إلى غوط خماد، الذي يوجد به متاعهم، فتناولوا عشاءهم، واستراحوا من

=كبرى قلما يمتلكها أغنى أغنياء الوادي. ولما بلغ من الكبر عتيا، بقي في وادي سوف إلى سنة 1952، وغادرها إلى فرنسا، بعد بيعه الغوط إلى السيد الطاهر مهري. ورغم أنه امتلك الغوط مبكرا، فالمعركة نسبت إلى شيكة الذي برز تاريخيا. أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، الثورة التحريرية المباركة، إرادة الرجال وصبر الجمال في معارك الصحراء، ص ص 81-80.

[1] - **السينغاليين:** هي قوات اللفيف الأجنبي، عملت في الجيش الفرنسي منذ القرن التاسع عشر، وشاركت في الحروب الفرنسية في الهند الصينية والجزائر وغيرها.

[2] - **قوات المهاري:** أو المهاريست، قوات صحراوية، وهي مخزن الوادي، تركب المهاري وهي الجمال، وأفرادها أغلبهم من المجندين من الجزائريين، ويدخلون في فئة القومية.

[3] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 136-134.

[4] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 138. سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 36.

تعبهم، ووضعوا خطتهم الجديدة، وتمثلت في أمرين هامين:

أولا: نقل الجرحى إلى الأوراس: وكان عدد الجرحى نحو 14 جريحا، حملوا فوق 16 جملا، يقودهم ثمانية من الرعاة من عرش الربايع،[1] الخبراء بالصحراء، وهم من المسبلين الذين اختارهم حمة لخضر لهذه المهمة الحذرة، وودعهم قائلا لهم: ‹‹سنلتقي بالأوراس أو بالجنة››. وفعلا أدركتهم الطائرات الفرنسية في منتصف اليوم الثالث بالطريق، وقصفتهم بوحشية فاستشهدوا في مكانهم، ونجا منهم واحد فقط يدعى ‹‹ عريف››. [2]

ثانيا: تمركز المجاهدين من جديد: كان عددهم 29 مجاهدا على أتم الاستعداد، انتقلوا بعد منتصف الليل إلى منطقة ‹‹ لضاية›› [3] التي تبعد عن غوط شيكة بحوالي 8 كلم، ومروا في طريقهم بمكان يدعى ‹‹قطاي›› فاستقبلهم شيخ كبير يدعى الحاج بوهنية، له منزل قرب الجامع، ولما عرف حقيقتهم أكرمهم بعشاء، وأباح لهم أخذ أي شيء يستحقونه. وبقوا عنده إلى وقت طلوع الفجر. وحينها توجه حمة لخضر إلى جامع لضاية، وجند منه ستة أشخاص، وجمع اشتراكات مالية من بقية المصلين، فارتفع عدد المجاهدين إلى 35 مجاهدا. تمركزوا في منطقة لضاية. [4]

5-اليوم الثالث للمعركة: الاربعاء(10 أوت1955) التضحية والاستشهاد:

نزل المجاهدون ضيوفا على سكان قرية لضاية عند نصر بن حمودة الذي قدم لهم التمر والطعام، والذي جمع من عدة أشخاص من السكان. ولما بدأ القتال، كان

---

[1] - **الربايع: إحدى القبائل الهامة في وادي سوف، وقدمت إليه في حدود عام 1750م، ولها نظام اجتماعي شديد التماسك والقوة، بفعل رابطة الدم.** أنظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة، دار هومة، ص 436.

[2] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص ص 98-97.

[3] - **لضاية:** قرية قرب الجديدة، وبها فضاء واسع يمتد على مسافة 7 كلم، وفيها مجموعة من الغيطان، عددها 60 غوطاً، شمالها غوط غزالة، وجنوبها غوط علي بن نصر، وكلها ساعدت المجاهدين على الاحتماء وسهلت لهم المناورة والاختباء. أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 98.

[4] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص ص 99-98.

المجاهدون في تعب شديد، وتأكد العدو من ذلك، ثم أدرك استهلاكهم الأخير للذخيرة، فوجه لهم أسرابا من الطائرات ترميهم بنيران السماء، وتلفح أقدامهم رمضاء الرمال. وتراوح عدد الطائرات ما بين 12 إلى 36 طائرة. واشتد القتال في منتصف النهار، حين رمت عليهم نحو 50 كلغ من القنابل، ولكنهم بقوا ثابتين، وفضلوا الاستشهاد والثبات على المبادئ. وعند ساعة الزوال قصفت الطائرات القائد حمة لخضر، فسالت دماءه من كل جسده.[1] وهو مرمي تحت حشانة،[2]وحينها شاهده زميله عبد المالك قريد وهو في الجهة المقابلة من الغوط، فاتجه إليه صحبة العربي بوغزالة، ولكن هذا الأخير استشهد قبل وصوله، بينما أدركه عبد المالك في رمقه الأخير، فطلب منه حمة لخضر قائلا: « أرجوك أن تقضي علي قبل أن يدركني العدو وأنا حي». ولكن عبد المالك لم تطاوعه نفسه على ذلك، بل تركه يتخبط في دمائه. ولما وصلت إليه القوات الفرنسية وجدوه قد فارق الحياة شهيداً معطراً. فكان مثل الأسد خافوا منه حيا وميتا، فشدوا وثاقه من اليدين والرجلين، نكاية به، وحتى يتشفوا بحاله أمام المواطنين بين أهله وذويه في سوق الجديدة بمسقط رأسه، ورموه هناك، فدفنه المواطنون. [3]

واستمر بقية المجاهدين في ثباتهم وصمودهم، ولا تسمع حينئذ إلا دوي الرصاص، وأزيز الطائرات، ومدافعها التي تملأ الآفاق. وانبعث من تلك الأصوات صوت ندي من إمام مسجد لضاية، والذي رفع الآذان، داعيا للجهاد من أعلى الصومعة، مناديا على السكان، ومرددا: « حي على الجهاد في سبيل الله يا أمة محمد». وبعد برهة سكت

---

[1] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 143-141.

[2] -**حشانة:** نخلة صغيرة، لا يمكنه الاحتماء بها، ولا توفر له الأمان.

[3] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 38.

كل شيء، وساد صمت في الغيطان، واستشهد كل المجاهدين في غوط غزالة وفي غوط علي بن نصر. [1]

أما الذين بقوا أحياء من المعركة، في ظروف مختلفة، هم:

- الهامل قواسمية (عبد الكامل)، الذي يعتقد أنه انسحب وغادر المعركة في بدايتها من اليوم الأول.

- محمد بن الساسي داسي (الشهيد الحي) الذي أثخن بالجراح، وحسبوه ميتا، فرفعه الجنود السينغاليون فوق شاحنة الموتى حتى يدفن مع القومية في المقابر الجماعية، ولكنه أسقط من الشاحنة، من قبل عجوز عابرة، وأسعف ونقل للمستشفى، وتلقى العلاج، وأودع السجن. [2]

-عبد المالك قريد (الجنة)، وهو الناجي الوحيد بعد انتهاء المعركة، والذي اختفى في غوط علي بن نصر، ولما حل الظلام خرج، حاملا سلاحه، وهي بندقية من نوع فرنسي 36، وقنبلتين، و27 رصاصة. [3] وهام في الصحراء حتى أدركه الرعاة في بئر مالح الدود، [4] فسقوه الماء وزودوه بالدقيق وزيت الزيتون وبعض النباتات الصحراوية مثل الترثوث. [5] وواصل طريقه نحو الشمال، يسري ليلا، ويكمن نهاراً، وهو يكثر من الصلاة والتشهد والدعاء، إلى أن وصل يوم 13 أوت إلى مواقع المجاهدين في أم الضلوع في نواحي وادي بني بربار، وهو مركز جنود عباس لغرور، ووصل إلى وادي غرغر يوم 17 اوت 1955، وهو مركز شيحاني بشير، فسأله عن أحوال رفاقه في

---

[1] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 143.

[2] - أطلق سراح المجاهد داسي محمد، فعاد إلى الثورة، وعاش حياة ثانية بعد الاستقلال، وعاش عمرا مديدا بلغ 92 سنة، وتوفي يوم 19 ماي 2016. أنظر: عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 101.

[3] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 38.

[4] - **مالح الدود:** موقع في شمال سوف بعيدا عن المقرن.

[5] - **الترثوث:** ويدعى الطرثوث وهو يشبه الذانون، وهو من النباتات الصحراوية، الذي يستهلكه البدو ويسدون به الجوع. ويستهلك نخضار، أو يخلط مع الدقيق ويصنع منه نوع من الكسكسي. أنظر: يوسف حليس، موسوعة النباتات الصحراوية لمنطقة سوف، ص 88.

وادي سوف. [1] فقال: « لقد ضربنا الاستعمار ضربا قاضيا ودخل كل المجاهدين إلى الجنة بأحذيتهم ». فقال له شيحاني بشير: « باسم الولاية الأولى، أعلن عن تسميتك منذ اليوم باسم الجنة». [2] وبقي مجاهدا في صفوف الثورة إلى أن نالت البلاد حريتها. [3]

وهكذا انتهت أكبر معركة في تاريخ وادي سوف، وكانت مثالا ساطعا للتضحية والشهامة والبطولة، التي خلدت كل شهدائها، الذي صاروا وقودا للثورة، ودافعا قويا للمزيد من البطولات في ساحة البذل والجهاد.

6-نتائج المعركة:

قلما يهتدي الباحث في تاريخ المعارك إلى النتائج الدقيقة والأرقام الحقيقية، وذلك راجع إلى تعدد الحوادث، وتنوع المواقع، وتباعد الأماكن التي تشهد القتال والنزال، وما يصحبها من عمليات الكر والفر. وهذا الذي عرفته معركة غوط شيكة التي حملت اسم هذا الغوط، والذي وقعت أغلب الأحداث خارجه وفي أطرافه، وفي غيطان أخرى متباعدة، ولكنه جعل المعلم البارز للمعركة. ويمكن استعراض أهم النتائج التي نقلتها المراجع من أفواه المجاهدين والمواطنين الذين عرفوا عن المعركة كثيرا من أحداثها:

أ-النتائج في صفوف المجاهدين:

كان عدد المجاهدين في المعركة – بداية من الدورية الأساسية القادمة من الأوراس- 34 مجاهدا، وتزايد أعدادها بالتحاق المتطوعين والمسبلين من السكان في الطريق، وخلال القتال، إضافة إلى رجال أفراد الامداد من الرجال والنساء، ووصل

---

[1] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 145.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 39.

[3] - بقي عبد المالك قريد على قيد الحياة وفي صحة حيدة، وعاش حياة ثانية إلى أن توفي عن عمر ناهز83 سنة، يوم الثلاثاء 27 سبتمبر 2011، وإلى الآن يعرف أهله وأبناؤه باسم أولا الجنة.

العدد إلى نحو 45 مجاهدا في الروايات المحلية، [1] وبلغ 50 مشاركا كما صرحت به الصحافة الفرنسية.[2] وتفاصيل النتائج:

-عدد الشهداء: وصل إلى حوالي 30 شهيدا حسب الرواية الفرنسية، [3] وهو نفس العدد تقريبا الذي أكدته المصادر المحلية المستخلصة من أفواه المجاهدين. [4]

-عدد الجرحى: لم نتمكن من تحديده، لكنه اختلط مع عدد الشهداء، لأن الجريح لا يلبث أن يفارق الحياة، فيحسب مرتين، واعتبرته جريدة لاديباش أربعة فقط، وهم الذين وقعوا في الأسر.[5] بينما يتراوح عددهم ما بين 11 إلى 14 جريحا استنادا إلى روايات المجاهدين، وأغلبهم الذين حملوا فوق الجمال، وأدركتهم طائرات العدو واستشهدوا في عين المكان ما بين « لمقيتله» و«بئر حمه بلحاج». إلا واحدا استطاع الإفلات منهم. [6]

- السلاح المحجوز: تمكن العدو من جمع كل قطع السلاح في أرض المعركة، والتي قدرتها مصادرهم بنحو أربعين قطعة من البنادق، [7] بما فيها ما تم استرجاعه من غنائم المجاهدين وهي أسلحة القومية بالخصوص.

[1] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص ص 29-28.

[2] - أنظر: جريدة لاديباش الصادرة بقسنطينة يوم الخميس 11 أوت 1955، نقلا عن أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 157.

[3] - أنظر: جريدة لاديباش الصادرة يوم الجمعة 12 أوت 1955، نقلا عن أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 158.

[4] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 30.

[5] - أنظر: جريدة لاديباش الصادرة يوم الجمعة 12 أوت 1955، نقلا عن أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 158.

[6] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 98.

[7] - أنظر: جريدة لاديباش الصادرة يوم الجمعة 12 أوت 1955، نقلا عن أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 158.

ب-النتائج في صفوف القوات الفرنسية:

يصعب تحديد القوات الفرنسية المقاتلة، أو التي شاركت من بعيد، وتولت التجسس أو أشرفت على التوجيهات القيادية. والقوات المقاتلة منهم قدمت لأرض الميدان أرتالاً متتابعة، وفي أوقات متباينة، ونجدات من جهات مختلفة، من ثكنات الوادي والدبيلة، ومن مطار الوادي من المظليين القادمين من بسكرة وورقلة، وقوات المهاري الصحراوية، والقومية، وقوات السينغاليين من اللفيف الأجنبي. ومع ذلك فالنتائج التقريبية كما يلي:

-عدد القتلى: حاولت المصادر الفرنسية المنشورة التقليل من عدد ضحايا الجيش الفرنسي، مراعاة لسمعتهم، وحتى تظهر أمام الرأي العام متقاربة مع خسائر المجاهدين، فذكرت لاديباش نحو 40 قتيلا. [1] بينما بالغ المجاهدون في عدد القتلى، والذي قدر ما بين 500-600 قتيل،[2] مظهرين بسالة المجاهدين، وقدراتهم القتالية. ويبقى الباحث متحفظا من الأرقام، مع غياب الوثائق الدقيقة، ولكن خسائر العدو أثرت على معنوياتهم كثيرا.

-الخسائر العسكرية: وتمثلت في اسقاط طائرتين، إحداهما أسقطها حمة لخضر، والثانية العربي بوغزالة. [3] ولم تذكرها المصادر الفرنسية بتاتا. بينما سكتت المصادر كلها عن السيارات والآليات العسكرية، والظاهر أنها بقيت سليمة.

7-انعكاسات المعركة ومآثرها:

كان لمعركة غوط شيكة انعكاسات وردود أفعال من طرفي الصراع، وخلفت مآثر جليلة تستحق التنويه والإشادة بأصحابها:

---

[1] - جريدة لاديباش الصادرة يوم الجمعة 12 أوت 1955، نقلا عن أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 159.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 36. عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 98.

[3] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 98.

أ- أثر وانعكاسات المعركة:

-أثر المعركة على الثورة: كان أبلغ الأثر هو الخسائر الكبيرة في الأرواح، فقد بلغ عدد الشهداء ثلاثون شهيدا من خيرة أبناء الجزائر، فهم من وادي سوف وغيرها، وكلهم أوسمة شرف، ووقود المعارك المتتابعة. وكانت الأهداف من إرسال الدورية، تجنيد الشباب، وجمع السلاح والمال، وتوفير المؤونة من طعام ولباس، وكل ذلك تبخر وذهب سدًى. والخسارة الكبرى كانت في استشهاد حمة لخضر، قائد المعركة وبطل وادي سوف، الرجل الشهم الذي حنكته تدابير الأيام، وكسب تجربة رائدة في معارك الصحراء، فكان استشهاده خسارة كبرى لا تعوض.

ولكن الانتصار الأكبر للثورة هو ثبات المجاهدين في الميدان، حين أثبتوا لعدوهم أنهم أصحاب قضية تحتاج البذل والفداء، وكذبوا ادعاءات العدو الذي أعتبرهم ثلة من « الفلاقة» وقطاع الطرق، فاكتشف أنه أمام أبطال شجعان أحتقر ضباطه عند مواجهتهم، فولوا مدبرين، وانتصر السلاح فقط، وتلك سنة الكون، لأن المعركة غير متكافئة. كما أن فكرة انتشار الثورة في المجتمع، وتفاعل أفراده معها في الميدان، مثَّل أكبر رصيد لها، وبقي الشعب حاضنا لها باستمرار. [1]

-أثر المعركة على المجتمع السوفي: ربطت الثورة المجتمع عموما بالنشاط الوطني، والجهاد العملي، والتفاعل المستمر مع المجاهدين، ببذل أغلي ما عند أفراد المجتمع من سلاح ومال ومؤونة، فضلا عن زهرة الشباب الذين سقط منهم الشهداء. لكن الوعي في المجتمع كان كبيرا ولاسيما مشاركة المرأة، والتي كشفت عن إمكانيات هامة، وساندت الثورة في ساحة الوغى، دون خوف، بل بشجاعة نادرة، وهي تتنقل بين المجاهدين، تعد لهم الطعام ولو في الساعات المتأخرة من الليل، وتزودهم بالماء الذي تجلبه لهم من آبار عذبة بعيدة، وضمدت جراحهم، ورفعت معنوياتهم بالزغاريد المتواصلة، فكانت مشاركتها سلاحا مؤثرا، دخل بقوة في نطاق الحرب النفسية

[1] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 146.

المواجهة للعدو. وأبت السيدة « مريم ارحومة»[1] إلا تسجيل اسمها في قائمة الشهداء. كما أن المرأة العجوز انقذت الشهيد الحي من سيارة الموتى، ولفتت النظر إليه، لما أسقطته من السيارة، وكانت سببا في بعث حياته من جديد.

كما أظهرت المعركة تلاحما شعبيا، وتعاونا صادقا مع المجاهدين، فاحتضنوهم في بيوتهم، ووفروا لهم الراحة، وقدموا لهم ما استطاعوا من مساعدات، ونقلوا لهم أخبار العدو، والأكثر من ذلك حاربوا في صفوفهم بدون خوف، وبعيدا عن الرهبة، بل تغمرهم الشجاعة والإقدام. [2]

-**أثر المعركة على الفرنسيين:** أدخلت المعركة الرعب في نفوس الفرنسيين قادة وجنودا، فخارت قواهم، واقضت مضاجعهم، وأربكت حركاتهم، وكسرت حدة الغطرسة الوهمية عند قادتهم، الذين صاروا يتوارون خلف آلياتهم مثل الفئران الفزعة. ولكنهم من الناحية المادية العسكرية، ربحوا جولة، تفوقوا بها على الثوار، وذلك راجع لسلاحهم المتطور، وطائراتهم المقنبلة، والتي قضت على كل المجاهدين، وأسرت الباقي منهم على قيد الحياة، واسترجعت أسلحتهم. ورغم ذلك خيم الحزن على أكثرهم، مما دفع الحاكم العام جاك سوستال[3] إلى المجيئ بنفسه، وذرف دموع الأسى على جنوده، حتى يخفف من ألمهم، فوقف أمام القيادات، ورفع معنوياتهم وشد من أزرهم.

ب-مآثر المعركة:

ارتبطت معركة غوط شيكة عضويا بعقيدة الشعب ودينه الذي تغلغل في روح السكان، وتفجر في مواقفهم الجليلة، وأعمالهم النبيلة، وأعاد ذكريات الصحابة والتابعين في نماذج من السلوك الواقعي، الذي صار محل فخر واعتزاز.

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 30.

[2] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 146.

[3] - **جاك سوستال 1912 - 1990 :** أكاديمي وسياسي فرنسي، من اليسار، تولى الحاكم العام للجزائر ما بين 1955 - 1956.

وكان المسجد منطلقا لتجنيد الشباب للمعركة، وبعد صلاة الفجر، ومن محراب الصلاة ساروا قدما إلى ميدان الجهاد. والإمام يشد أزر المجاهدين، وأهل الصلاح فتحوا لهم أبواب الخير، ومنحوهم خالص دعائهم. وكانت الصلاة هي المعلم المثبت لقلوبهم، حافظوا عليها في مراحل القتال، ودون خوف. وحكى عبد المالك قريد، وهو في حالة مطاردة من الطائرات الفرنسية، وتأثره بمصاعب الصحراء، لم يتخلف عن صلاته، وكان يكثر من التشهد والدعاء، ولم يؤخرها عن وقتها ولو كانت طهارته التيمم.

وخلال المعركة، كان استحضار المعاني الروحية، منارا للقلوب، إذا تأججت المشاعر، وقوت النفوس على الاحتمال، مثلما فعل إمام مسجد لضاية، وهو ينادي بأعلى صوته من فوق صومعته، كل السكان إلى تلبية داعي الجهاد، وكان النداء <<يا أمة محمد>> صلى الله عليه وسلم. مؤكدا هذا الانتماء الأصيل.

وقبيل استشهاد حمة لخضر، أدركه عبد المالك قريد، والذي رفع رأسه للسماء، فرأى طائراً أخضر اللون يطير نحو القبلة، فتفاءل بطلعته ووجهته، واستبشر بالنهاية السعيدة التي ينتظرها صاحبه، وقال لقائده الجريح، وهو في الرمق الأخير من حياة البطولة: <<أبشر نلت الجنة إن شاء الله>>.[1] وعلى نفس المنوال، تفاءل مصباح خميسات بالرؤية المنامية بدخوله إلى الجنان الخضراء، وتوجت فعلا بالشهادة في سبيل الله، وهي طريق الجنة. والتي صارت اسما ساطعا في حياة عبد المالك قريد، الذي اعتبر الشهداء كلهم دخلوا الجنة بصبابيطهم (أي أحذيتهم).

---

[1] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 143.

كما تجلت البطولة عند مربية الأيتام التي أخرجت ما كان مخفيا، وهي ذكرى عزيزة تربطها بزوجها، تلك البندقية وما صاحبها من ذخيرة، قدمتها بسعادة إلى المجاهدين، وسألتهم الدعاء لزوجها لعله ينال شرف المجاهدين. [1]

الخاتمة:

تمثل المعركة على الدوام، جولة ضمن الصراع، والذي جند فيه الفرنسيون أعدادا كبيرة من الضباط والجنود، والمعدات المتطورة، ترقبا لمعارك أخرى، أو دوريات مرتقبة، وعاشوا في رعب دائم، وسلطوا جام غضبهم على الشعب الأعزل، بالاستنطاق، والمتابعة والتغريم، والسجن والتعذيب.

أما المجاهدون، فلم تثنهم سياسة المستعمر عن هدفهم، ولم يرهبهم طغيانه وجبروته، بل زادتهم الأحداث الدامية تمسكا بقضيتهم، وتشبثا بمواقفهم، وتصميما على مواصلة الكفاح. بل انتظروا خمسة أشهر فقط، وأعادوا الكرة. وهكذا كانت المعارك السابقة واللاحقة، تتراوح المدة الفاصلة بينها، أربعة أشهر تزيد أو تنقص قليلا، ولكن لا تنقص منها الروح المعنوية العالية وجذوة الجهاد الساطعة، التي تطرق أبواب الحرية والاستقلال.

---

[1] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص ص 90-89.

معركة الدبيديبي بالرباح 15 جانفي 1956
أبطال التحدي

المقدمة:

إن نجاح الثورة وتقدم نشاطاتها، وذيوع صيتها داخل الوطن وخارجه، زاد من تعلق الشعب بها، وأزال حاجز الخوف من ساحتها، وبدد هاجس الخور، وبلغت فيها الشجاعة والإقدام مبلغا ساميا. وعندما مرت سنة كاملة من عمرها، وانتشرت أخبارها في كل القرى والمداشر، وسمع بها القاصي والداني، وتشرف بالانتساب إليها أفراد الشعب، كمسبلين، أو مساندين، أو مقاتلين. لم تقف القيود الاستعمارية في وجه المجاهدين، فتنقلوا داخل الوطن بحرية، وخاضوا معامع المعارك بشجاعة نادرة، أزعجت السلطات الفرنسية في كل الأنحاء.

وعرفت وادي سوف ما بين (نوفمبر 1954 - جانفي 1956) دوريات عسكرية عديدة، جمعت المال والسلاح، وجندت الشباب، وأقحمت المواطنين في العمل الثوري، وتحولت إلى معارك وصل عددها إلى خمس معارك كبرى، في ظرف زماني قصير، وهذا دليل قاطع على تجذر الثورة بوادي سوف، رغم كل التحديات التي حامت حولها. وكانت المعركة الرابعة في منطقة الدبيديبي، فما هو تاريخها؟

1-الظروف العامة قبل اندلاع المعركة:

سبقت المعركة أحداث وأحوال مست أطراف الصراع، وخصوصا السلطات الفرنسية والمجاهدين في معاقل الثورة، وأظهرت صلتهم الوطيدة بموطنهم في المنطقة، وعلاقتهم بالمجتمع وموقفه من العمل الثوري:

أ-الظروف العامة لدى السلطات الفرنسية:

بقيت السلطات الفرنسية في فزع من المجاهدين، وحيرة فيما يقع بغتة، ووقعت تحت تأثير الصدمة من جراء معركة غوط شيكة، والتي تعدى صداها منطقة وادي

سوف، وكسرت معنويات الجيش الفرنسي الذي أحس بالخذلان. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فدبت الهزيمة في صفوفهم، فسارعوا إلى اتخاذ الإجراءات الأمنية والترتيبات الحربية، فطوقوا المنطقة، وأحكموا حالة الحصار عليها، وحاولوا عزل وادي سوف عن محيطها الخارجي، وخصوصا في جهتها الشمالية، التي تمثل المنفذ الخطير الذي يربطها بالقيادة العليا في الأوراس. كل ذلك حتى تتجاوز السلطات خسائرها، وتظهر أمام الرأي العام المحلي بمظهر المنتصر، والمتحكم في جميع السكان.

وزيادة في الحيطة، أنجزت السلطات العسكرية، مجموعة من الثكنات، ومراكز لاصاص في عام 1955، أوكلت لها مهمة الإعتقال والتعذيب والإعدام الجماعي. ففي الجهة الشمالية مراكز المقرن، والدبيلة، وحاسي خليفة، وفي الناحية الغربية، قمار، والرقيبة، وفي الجنوب الرباح. [1]

ب-الظروف العامة على مستوى المجاهدين:

أدركت قيادة الثورة – مرة أخرى - أهمية وادي سوف، وتأثيرها في المعادلة القتالية واللوجيستية، ودورها المحوري في المعركة المصيرية، وضرورة تفعيل نشاطها الخامد الذي مسها فيه الضر، بعد الانتكاسة التي خلفتها معركة غوط شيكة. وسعت بالعمل على فك الحصار الاستعماري عليها، وإرسال الدوريات المتجددة، لأنها الروح التي تسري سريعة في هياكل المجتمع، الذي هو المحضن الآمن للثورة، ومصدر دعمها بالمال والرجال.

وبتوصية من القائد عباس لغرور، [2]عقد اجتماع لقيادة جيش التحرير في المنطقة السادسة بالولاية الأولى، في شهر ديسمبر 1955، في منطقة الخناق الأكحل، قرب

---

[1] - أنظر: بسر عبد الحميد، الشهيد القائد الطالب العربي قمودي، ص 172.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 45.

فركان[1]، وضم الاجتماع لزهر شريط، وسيدي حني، وعجول عجول، ومن وادي سوف، خليفة وادة، والعربي فرجاني، والبشير مزيان. تقرر في الاجتماع، إرسال فوج ثلاثي الأفراد، من أبناء سوف فقط، وهم خليفة وادة، والعربي فرجاني، والبشير مزيان، للقيام بجولة استطلاعية، تكشف الأوضاع، وتقوم بجمع المال والسلاح، وتجنيد ما استطاعت من الشباب.

ويومذاك بادر ذلك الفوج بالمسير، ووصل إلى مشارف وادي سوف بعد يومين، وفور دخولهم، تفرقوا كل واحد إلى قريته الأصلية، ليكون آمنا عند أهله وعشيرته، ويقوم بدوره بكل سهولة.[2]

ب-الظروف العامة في المجتمع السوفي:

أكد المواطنون على وقوفهم الثابت مع الثورة إلى أبعد الحدود، فلم تؤثر عليهم الإجراءات التعسفية، بل فتحوا صدورهم للثوار بكل كرامة، ووجدوا عندهم الترحيب، والايواء، والرعاية. والأكثر من ذلك، لم يتسرب للسلطات الفرنسية أي خبر، رغم مكوث المجاهدين مدة خمسة عشر يوما، قضوها في نشاط وحركة دائبة، كللت بالنجاح كما يلي:

أما المجاهد البشير مزيان، فاتجه صوب بلدة الضباية، بناحية الرقيبة، وهي بمثابة موقع لتخزين السلاح. واتجه المجاهدان خليفة وادة والعربي فرجاني إلى مدينة الوادي، ونزلا عند المناضل فرحات بوريقة، [3] وسلموه ما عندهم من مناشير ثورية، حتى

---

[1] - **فركان:** منطقة قرب نقرين، تابعة حاليا لولاية تبسة وتبعد عنها مسافة 170 كلم، وتتكون من تجمعين سكانيين من النمامشة، هما جارش ومديلة.

[2] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص ص 113-112.

[3] - ويعرف بمنزل بن بردي، بحي تكسبت، الذي سخره هذا المناضل لخدمة الثورة، واتخذه مركزا لاستراحة المجاهدين، وتبليغ المعلومات، وتوعية الجماهير. أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 171.

أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 45.

يبلغها للمجاهد ميهي بلحاج. كما قصدوا أماكن أخرى في نواحي بلدة النخلة. [1]

كما اتصلوا – بعد مدة – بأنفسهم، بالمجاهد ميهي بلحاج، فقدم لهم تقريرا شفويا مفصلا عن الحالة السياسية والأمنية، وسلمهم بعض البنادق والذخيرة.[2] وحينها حقق ذلك الفوج أهدافه المسطرة، وكانت حصيلة جهدهم هي:

- تمكنوا من تجنيد ستة(06 مواطنين) بأسلحتهم، ومأتي (200 مواطن) آخر هم على أتم الاستعداد للإلتحاق بالثورة في معاقلها.

- تم جمع مبلغ مهم من المال، قدر ب 600 ألف فرنك قديم، وهذا يدل على مدى سخاء السكان، وبذلهم أموالهم لدعم الثورة.

- الحصول على الأسلحة المتناثرة عند السكان، والتي توصلوا إلى مضانها، وكانت حصيلتها 12 بندقية، وكميات هامة من الذخيرة. [3]

ومن خلال هذا النشاط، تتبين حالة المجتمع، وتضامنه مع الثورة ورجالها. وذلك جعل عمل الفوج مكللا بالنجاح، وعادوا إلى مركزهم في منطقة الخناق الاكحل، وقدموا تقاريرهم حول نشاطهم، وأوضاع المنطقة، وكشفوا عن حصيلة ما جمعوه من مال وسلاح، وقدموا للقيادة الأفراد المجندين، حتى يتخرطوا في صفوف الثورة. وحينئذ تأكدت القيادة أن وادي سوف مازالت قادرة على استقبال العمل الثوري، وبدأ التخطيط لدورية عسكرية أخرى.

2-نشاطات الدورية العسكرية قبيل اندلاع المعركة:

تأكدت القيادة في الأوراس، بعد اطلاعها على التقارير، واستلامها السلاح والأموال، أن وادي سوف حاضن الثورة الدائم، ورجاله نجحوا في تكليفهم السابق.

---

[1] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص ص 114-113.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 45.

[3] - أنظر: **السجل الذهبي لشهداء الحرب التحريرية بولاية الوادي 1963-1954**، اعداد مديرية المجاهدين وذوي الحقوق بولاية الوادي، منشورات الجمعية التاريخية أول نوفمبر 1954 بولاية الوادي، مطبعة سامي، الوادي – الجزائر، 2021،، ص 50.

وحينئذ استقر الرأي على إرسالهم مرة أخرى، وعددهم كان ثلاثة مجاهدين، وجندوا ستة آخرين ومعهم أسلحتهم، وفتح باب التطوع لهذه الدورية، فلبى ذلك 26 مجاهدا من مختلف المناطق، فصار العدد 35 مجاهدا، تم توزيعهم على أربعة أفواج، عين على كل منها قائداً، وهم على الترتيب، الفوج الأول تحت قيادة بشير جاب الله، والثاني العيد بركة، والثالث العربي فرجاني، والرابع البشير مزيان.

انطلقت الدورية يوم 3 جانفي من مركز القيادة قاصدة وادي سوف، لتجنيد المواطنين، وتوعية المجتمع حتى يزداد دعما للثورة والتحاما بها. ولما وصلت الدورية إلى مكان يدعى بئر حمه حمد، [1]بنواحي الرقيبة، حطت رحالها، وعقدت اجتماعا سريعا، حددت فيه كيفية الدخول، ومجالات التحرك، لأن العدد يلفت الانتباه.

أشار المجاهد العيد بركة المعروف بالعيد باباي – على زملائه – أن يدخلوا أفواجا متفرقة، وتكون نقطة اللقاء الجماعي بمنطقة الدبيديبي قرب قرية الرباح، يوم 8 جانفي، لأنها منطقة معزولة، وبعيدة عن الأنظار، وبدأت تحركاتهم كما يلي:

- كلف المجاهد خليفة وادة ومعه الناقص عبد الرحمان،[2] بالسير رفقة مجموعة من المجاهدين إلى الرقيبة، وتمكن فيها من تجنيد عشرة جنود مسلحين، وحصل على خمسة من الجمال المحملة بالمؤونة، وأمرهم أن يلتحقوا ببقية الدورية الرابضة في بئر اللوس حتى يستفيدوا من المؤونة.

- اتجه المجاهد خليفة وادة إلى مدينة الوادي واتصل بالمجاهد المدني عمار بوريقة لمساعدته في جمع السلاح والمال واللباس، وتجنيد المتطوعين، على أن يلتحق بمنطقة الدبيديبي بعد ثلاثة أيام، ولكنه تأخر أكثر لأسباب عديدة. [3]

---

[1] - **بئر حمه حمد:** يقع شمال شرق الرقيبة على بعد 30 كلم.

[2] - أنظر: السجل الذهبي، طبعة 2021، ص 50.

[3] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص ص -120-119.

- أما بقية المجاهدين بقيادة العربي فرجاني، فاتجهوا مباشرة إلى الرباح، وسلكوا طريقهم نحو الجنوب الغربي، وعند وصولهم إلى بئر اللوس، وجدوا ورشة تابعة للسلطات الفرنسية، كانوا منشغلين بحفر بئر، فقتلوا المشرف على العمال ويدعى محمد ارحومة، وساقوا العمال العشرة معهم، وحينها اكتشفت السلطات العسكرية أمرهم، وبدأت في تقصي أخبارهم، ومتابعتهم.[1] ولاحقتهم بواسطة الطائرات الكاشفة والمقنبلة، وعددها ست(06) طائرات. وكان دخول المجاهدين إلى قرية ‹‹الكتف›› التي دخلوها عند الغروب، وواصلوا طريقهم نحو ‹‹ وادي العلندة›› ومنها إلى ‹‹اميه الكلبة››[2] التي صادروا فيها قطعة سلاح واحدة، وثمانون رصاصة، وسكينا، وجملا من أحد الخونة الذين يقتفون الآثار البشرية. ثم اتجه هذا الجيش الصغير نحو مكان التجمع بالدبيديبي.[3]

أما خليفة وادة وصاحبه عبد الرحمان الناقص، ومعهم 12 من الرجال الذين جندوهم من عميش والرباح، فقد وصلوا إلى المكان المحدد للقاء على الساعة الخامسة من صباح يوم 15 جانفي، ودخلوا منزل الطيب الشطي بالدبيديبي فوجدوا المجموعة كلها هناك تنتظر الأوامر، وتتحفز للعمل.[4]

3- اندلاع معركة الدبيديبي:

تقع منطقة الدبيديبي،[5]في الجنوب الغربي من الرباح، وهي مكان في عمق الصحراء الرملية، التي يصعب الوصول إليها إلا على ظهور الجمال، أو على الأرجل لمن كان من أهل الجهة. وتحيط بالمكان كثبان رملية عالية من كل الجهات، ويتوسطها

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 46.

[2] - **اميه الكلبة:** قرية تقع جنوب وادي العلندة، وتسمى اليوم اميه الغزالة.

[3] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص ص 122-121.

[4] - أنظر: السجل الذهبي، طبعة 2021،ص51.

[5] - **الدبيديبي:** تكتب بعدة صيغ، بأل تعريف، كما سبق، وتكتب بالألف وحدها ادبيديبي، والبدال مباشرة دبيديبي.

اثنين من الغيطان، [1] يفصل بينهما نحو 300م، وبينهما في الوسط منزل صغير يتكون من غرفتين، لا يمكن الاحتماء به إلا عند الضرورة، كما أن تعرضه لقنابل الطائرات وارداً في كل الأوقات.

كان عدد المجاهدين المشاركين في المعركة نحو 66 مجاهدا، ويضم القادمين من الأوراس، والمجندين من قبل الدورية العسكرية، وبجهود خليفة وادة واصحابه. أما القوات الفرنسية فتمثلت في الجيش النظامي من السينغاليين والقومية، والجيش الصحراوي. وقدر عددهم بحوالي 700 جندي مدججين بأحدث أنواع الأسلحة والمعدات، ووسائل الاتصال، وكل الاحتياجات المادية، وتدعمهم خمس طائرات عسكرية. [2]

وربما يطرح الباحث التساؤل حول موعد المعركة، لماذا في هذا الصباح دون غيره؟ وخصوصا أن السلطات اكتشفت حركة المجاهدين، وتابعتهم الطائرات، وقصفتهم وحاولت قتلهم في الطريق؟ ولعل الإجابة تكمن في الاستعدادات الفرنسية، لأن ترتيباتهم في اقتحام الكثبان الرملية، وتجهيز الجيش، ورسم الخطط، وانتظار تجمع المجاهدين في مكان واحد حتى يكونوا تحت المصيدة، ويتمكنوا من ضربهم في مقتل.

قدمت قوات العدو في الصباح الباكر من يوم الأحد 15 جانفي 1956، ولما أشرقت شمسه، استطاع حراس المجاهدين رؤية القوات الفرنسية متقدمة نحوهم، وفي تلك الأثناء توزع المجاهدون إلى أفواجهم الأربعة السابقة، وأعطيت القيادة العامة لقائد الفوج الرابع العربي فرجاني، الذي أمر جنوده بالتمركز على قمم الكثبان في الغيطان، حتى يواجه العدو المتواجد في كلا الجهتين. [3] ومرت المعركة بعدة مراحل:

---

[1] - الغيطان المقصودة، هي التي شهدت فصول المعركة، الغوط الأول يحتوي على عدد يتراوح ما بين 20 إلى 30 نخلة، والثاني ما بين 60-50 نخلة. أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 123.

[2] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص ص 124-122.

[3] - أنظر: السجل الذهبي، طبعة 2021، ص51.

-**المرحلة الأولى:** تقدمت قوات العدو إلى المنزل الذي يبعد عن المجاهدين بحوالي 100م، ولكن المجاهدين تريثوا.[1] وكانت الساعة تشير إلى الثامنة صباحا، والمجاهدون على استعداد كامل لخوض المعركة، وشيئا فشيئا صار العدو قريبا منهم بمسافة 60 مترا، وحينها بدأ الاشتباك مع جنود القومية، ودام نحو ساعة كاملة، ولما ظهر تفوق الثوار تدخل الطيران وأخذ يقصف المكان[2] بالقنابل المتساقطة. [3] وحينها أخطأت الطائرات هدفها، فقصفت قوات القومية، وسقط عدد منهم، الأمر الذي شجع المجاهدين. [4] وبعدها استدرك العدو خطأه، وبدأت الطائرات تقصف داخل الغيطان، ولكن تمركز المجاهدين في قمم الكثبان، وقربهم الكبير من العدو، جعل القتال صعبا، ولكن المعركة تواصلت. [5]

-**المرحلة الثانية:** غير العدو من تكتيكه، وحدث تبادل الأدوار، فتراجعت قوات القومية المكلومة، وتقدمت بدلها فرق جنود السينغاليين، واستمر ذلك إلى حوالي الساعة الرابعة مساء، حين توقفت المعركة لمدة ساعتين، استغلها العدو في إجلاء القتلى وإسعاف الجرحى.

-**المرحلة الثالثة:** استؤنف القتال ليلا – على غير العادة عند الفرنسيين – واستمر إلى ساعة متأخرة من الليل،[6] وحينها بدأ انسحاب المجاهدين على شكل مجموعات، أولها قادها خليفة وادة إلى قرية العقلة جنوبا، وبقي بعض المجاهدين عند ذويهم، ومكثت

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 48.

[2] - أنظر: السجل الذهبي، ص51.

[3] - استفاد العدو الفرنسي من معركة غوط شيكة، لما رأى أن مفعول القنابل قليل، فأعد لكل قنبلة صفيحة من الحديد ترتكز عليها عندما تسقط على الأرض، فلا تغوص في الرمال ويذهب مفعولها، بل تنفجر حولها. أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 126.

[4] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 48.

[5] - أنظر: السجل الذهبي، ص51.

[6] - اختلفت الآراء حول وقت انتهاء المعركة ما بين الساعة العاشرة أو منتصف الليل. أنظر: السجل الذهبي، ص51. سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 48.

البقية يومين ثم غادرت نحو الأوراس. واتجهت مجوعة ثانية إلى اميه الكلبة وعددهم أربعة مجاهدين. بينما رافق العيد بركة ستة من المجاهدين انسحبوا من الميدان إلى الجهة الشمالية الغربية. أما المجموعة الرابعة بقيادة البشير مزيان وتتكون من 13 مجاهداً، كانت آخر من بقي، وسبب تأخرهم، هو الجراح التي أثخنتهم، ما عدا واحدا، وهو السعيد بن سرحان. وكانوا في الساباط، ولما تمكنوا من الخروج هجموا على بقية الجيش الفرنسي المنهك القوى، وقتلوهم بالسلاح الأبيض. وسلكوا طريقا إلى نواحي مدينة الوادي، وكوينين، ونحو ورماس وأخيرا وصلوا بلدة تغزوت، وخاضوا معركة ثانية في هود سلطان.[1]

4- نتائج معركة الدبيديبي:

خلفت معركة الدبيديبي خسائر في الأرواح والمعدات، ومس ذلك كلا الطرفين:

أ-خسائر المجاهدين:

-عدد الشهداء: هناك اختلاف في عددهم، فمنهم من رفع العدد إلى 28 شهيدا، 24 من الجنود، وأربعة من المدنيين.[2] واكتفت مراجع أخرى بعدد 19 شهيدا، منهم 15 مجاهدا من الجنود، وأربعة من المدنيين. واستشهد قائد المعركة[3] العربي فرجاني.[4]

-عدد الجرحى والأسرى: بلغ 14 جريحا،[5] منهم مجموعة البشير مزيان. وكانت جروح أربعة من المجاهدين خطيرة، شلتهم عن الحركة، فوقعوا أسرى في يد العدو،

---

[1] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص ص 130-128.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص ص 43-42.

[3] - **العربي فرجاني:** ولد عام 1921 بخبنة الرباح، وعاش في أسرة متوسطة الحال، يعمل راعيا وفي غراسة النخيل. انظم مبكرا للنشاط الثوري تحت قيادة ميهي بلحاج، وكلفه بجلب شحنة من الأسلحة من ليبيا. انتمى للثورة عام 1954 وساهم في تجنيد الشباب وجمع الأسلحة، وشارك في المعارك السابقة في وادي سوف، واستشهد في هذه المعركة الرابعة. أنظر: سعد العمامرة، الجيلاني العوامر، شهداء، ص ص 53-51.

[4] - عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص ص 127-126.

[5] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 49.

وسجنوا مدة، ونقلوا إلى مركز التعذيب الذي أذاقهم فيه ألوانا من التنكيل الوحشي، ولكنهم بقوا ثابتين. [1]

ب-خسائر الفرنسيين:

-عدد القتلى: وحسب ما اعترف به القومية، أن عددهم بلغ 70 قتيلا.

-عدد الجرحى: وصل إلى 40 جريحا، وكانت إصاباتهم متفاوتة الضرر.

-تم اسقاط طائرة عسكرية واحدة. [2]

5- أثر المعركة وانعكاساتها على الثورة:

كانت معركة الدبيديبي حلقة ساطعة ضمن معارك وادي سوف الكبرى، والتي تركت أثرا جلياً، انعكس على المجتمع والعمل الثوري، بما شمل من بطولات ومآسي في نفس الوقت، ويمكن الوقوف عند الأبعاد التالية:

- أبرزت المعركة للمجتمع في وادي سوف، أن الثورة لها امكانياتها المادية والبشرية المتواضعة، ولكنها مفعمة بالصدق، نابعة من الإخلاص، ومتوجة بالتضحية والفداء. لأنها فرضت وجودها، وتحدت الصعاب، وخاضت معركة ناجحة، بين الكثبان، وداخل الغيطان، وجعلت الجيش الفرنسي يتراجع، وهو يعض أنامله من الغيظ، ولكن تأكد في قرارة نفسه أن صاحب الحق أولى بالاحترام، ولكن غطرسته تحول دون البوح بذلك الشعور الخفي.

- أثبتت معركة الدبيديبي شمولية الثورة وتجذرها في الشعب الجزائري، فقد شارك فيها المواطنون من المدنيين في عين المكان، وهم لا يعرفون من فنون القتال شيئا، ما عدا رمي الرصاص، الذي تعلموه عند ممارسة الصيد في الصحراء. ولكن عقيدتهم

---

[1] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 128.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 49. عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 126.

دفعتهم بكل شجاعة إلى الميدان، لا يبالون بالموت في سبيل الله. كما شارك المتطوعون مع إخوانهم من مجاهدي وادي سوف، وشارك المتطوعون من مناطق أخرى من الجزائر، عن اختيار وطواعية نفس، لأنهم لا يفرقون بين أي شبر من بلادهم، ويعتبرون الصحراء أخت الشمال، وهم في الميدان أمة واحدة.

- أظهرت المعركة مرة أخرى، أن منطقة وادي سوف – وبدون منازع – وبعيدا عن موقف أي جاحد لفضلها وجهادها، أنها أهم حاضن لثورة التحرير، وأكبر ممول لها بالمال والسلاح، واستمرت على عهدها إلى آخر أيام الثورة.

الخاتمة:

إن الثورة التحريرية رصيد زاخر بالمعاني والأسرار، وكل متمعن في أحداثها، وبطولات رجالها ونسائها، والمتابع لمعاركها؛ يكشف عن قوة الثورة وثبات مجاهديها، وصمودهم، وإيمان قادتها وجنودها على حد سواء، بالكفاح المسلح، الوسيلة الوحيدة للتحرر من الاستعمار.

وقد أكدت معركة أدبيدبي، الإصرار على مواصلة الكفاح، رغم ما تكبدته الثورة من خسائر بشرية في موقعة غوط شيكة، لأنها تعتقد – وبدون شك – أن تلك الدماء الطاهرة، هي شرارة المعارك المتتالية، وهي قوة الدفع قدما إلى الأمام. وبهذا تحققت الانتصارات، وفتحت صفحة جديدة من البطولة والشهادة في هود سلطان بتغزوت في اليوم الموالي للمعركة، فكيف تم ذلك؟

معركة هود سلطان بتغزوت 16 جانفي 1956
قصة الصمود والثبات

مقدمة:

انطبع في الذاكرة أن معارك المقاومة، تتدلع- عادة - من أجل التحرر، وترتكز على حرب العصابات، التي تقوم بها الافواج والفصائل الثورية، والتي تخوض كفاحا مريراً، يتجاذبه طرفان، بين عمليتي الكر والفر، وينتهي الاشتباك عادة بالانسحاب. وبعد انجلاء الغبار لا يبقى في المعركة إلا الجرحى والقتلى الذين عجز أصدقاؤهم عن إجلائهم من أرضها.

وكان هذا مصير المجاهدين في معركة الدبيديبي، التي انتهت بانسحاب الأفواج المقاتلة في أوقات متفاوتة، واختار كل فوج وجهته، واختفى عن الأنظار، والتحق بعضهم بمواقع المجاهدين في الشمال. ولكن الفوج الأخير إصطدم بالأمر الواقع، ووجد نفسه وجها لوجه أمام القوات الفرنسية، فاضطر إلى إتمام فصول المعركة السابقة في اليوم الموالي، في بلدة تغزوت. وسطر المجاهدون – على قلة عددهم – قصة الصمود والثبات، التي بقيت معبرة على مدى الزمن، يرويها التاريخ جيلا بعد جيل.

1-انسحاب فوج البشير مزيان من معركة الدبيديبي:

انسحب المجاهدون الأحياء من معركة الدبيديبي، واتخذ كل فوج ناحيته المفضلة، وكان آخر الافواج انسحابا، فوج البشير مزيان، وعددهم 13 مجاهدا، تسللوا في الليل الدامس نحو مدينة الوادي، ومروا بأحيائها، بداية من حي لصنام، والقارة، وفي حي تكسبت استضافهم – لمدة قصيرة – المناضل بوريقة فرحات في منزله المخصص لاستقبال المجاهدين.

ثم واصلوا سيرهم، وأدركهم شروق الشمس من يوم الإثنين 16 جانفي 1956 عند مفترق الطرق بين الوادي وورماس نحو طريق بسكرة رقم 48، وكان أفراده كلهم جرحى، وأخذ منهم التعب مأخذاً. التقوا في طريقهم بمجموعة من الفلاحين

الذين أرشدوهم إلى أحسن مأوى، ونبهوهم إلى أسوأ المخاطر التي تنتظرهم. وحينها مر بجانبهم رجل فوق فرسه، فأخبروهم أنه من أعوان الاستعمار، وعيناً من عيونه، فعزموا على قتله، ثم تراجعوا، فكان تركه سبباً أكيداً في التبليغ عنهم. [1]

وكان الفوج في وضعية سيئة، يعاني الأفراد من جراحاتهم، ما عدا واحدا هو العيد بن سرحان، وكلهم يمتلكون سلاحا ما عدا ثلاثة تحطمت أسلحتهم في المعركة السابقة، وما زاد في تأزم وضعهم، وصول القوات الفرنسية إلى ملجئهم الأخير في هود سلطان ونواحيه، وحدث الاشتباك الذي تحول إلى معركة حقيقية. [2]

2-الوضعية العامة قبيل اندلاع المعركة:

أ-وصف ميدان المعركة: وقعت أحداث المعركة في جر[3] تغزوت، الذي عرفت مزارعه بكثافة نخيلها، وتشابهها، مما جعلها عاملا مساعدا على التخفي والاختباء. وبحكم التجربة، اختار قائد المعركة "هود سلطان"[4] لأنه صديق العائلة ويعرف المكان جيداً.

وصاحب الهود هو «المكي سلطاني» أحد أعيان تغزوت، ويسكن بالهود على الدوام، في منزل كبير، يضم عائلته وعائلة أخيه. والمنزل مكون من غرف للسكن، وغرفة تخزين التمر، ومرابض للحيوانات، وأبرزها دار البغل. وفي ذلك الهود حدث فصل واحد من فصول المعركة فقط، ولكن أحداثه كانت أبرز من غيره، فصار نعتا على المعركة واسما لها. [5]

---

[1] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 139-138.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 53.

[3] - **الجر:** هو مجموعة من الغيطان، تنتمي إلى جهة معينة، أو قرية صغيرة، أو عشيرة مالكة لتلك الغيطان.

[4] - يقع هود سلطان في الجنوب الغربي لبلدة تغزوت، ويبتعد عنها بحو 2.5 كلم. يحده شمالا "هود القدرة" وجنوبا "هود نيقرو" وشرقا "هود سعد"، وهو من أكبر غيطان تغزوت، لتوفره على عدد هائل من النخيل، جعلته مظلما في النهار. أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 142.

[5] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 141.

ب-حركة المجاهدين قبيل اندلاع المعركة:

كانت حركة المجاهدين بعد اكتشافهم من العدو في نواحي ورماس، هو الإسراع في البحث عن الملجأ الآمن. فأرشدهم الفلاحون إلى جر تغزوت، ولكن القوات الفرنسية أدركتهم قبل وصولهم، ووقعت إشتباكات خاطفة، دامت نحو ساعتين من التاسعة صباحا إلى الحادية عشر. وحينها إنقسم الفوج إلى مجموعتين صغيرتين، إتجهت الأولى بقيادة البشير مزيان إلى هود سلطان، وعددها سبعة. بينما إتجه ثلاثة من المجاهدين إلى هود القدرة، وثلاثة لم يشاركوا في المعركة، وهم السعيد بن سرحان، [1] والعيد بركة، وأحمد شتوح. [2]

3- اندلاع المعركة وفصولها الدامية:

كانت قوات العدو الفرنسي كبيرة جداً، قدمت فرقها من ثكنة مدينة الوادي بكامل عدتها وعتادها، وتلتها فرقا أخرى من مطار قمار مدعمة بقوات القومية والسينغاليين، وثلاث طائرات مقنبلة.

أ-قتال المجموعة الأولى (هود سلطان):

تمركز القائد البشير مزيان مع أفراده في هذا الهود الذي يعرفه جيدا خلال زياراته لصاحبه مراراً، واتخذ من « دار البغل» [3] مركزا للمراقبة، وتمركز الآخرون في الساباط أو داخل الهود. [4] وانطلق الرصاص مدويا بين الطرفين بداية من الزوال في حدود

---

[1] - ويدعى أيضا "بوذيب السعيد"، والذي التجأ إلى ورماس، واختفى بمنزل السيد لمين معامير، ولما داهمت القوات الفرنسية المنزل - عندما تعرضت المنازل للتفتيش- أدخلوه مع النساء والبسوه ثيابهم. أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 145.

[2] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 145-141.

[3] - **دار البغل:** وهي دار في طرف المنزل، اتخذت مربضا للبغل الذي يمثل الوسيلة الهامة للتنقل ورفع الرمال لدى الفرد السوفي. وهي مطلة على الهود، وجدها القائد صالحة للاختباء وقيادة المعركة من خلالها، وحتى لا يشك العدو بوجود شخص فيها.

[4] - عمار عوادي، **كتابات ووثائق من تاريخ وادي سوف**، دار هومة، الجزائر، 2011، ص 52.

الساعة الواحدة.[1] واستمر القتال إلى غروب الشمس وبدون إنقطاع. ولما اندلعت المعركة فوجئ صاحب الهود « سي المكي »، نخرج من المنزل مسرعا، فلما تبين أمر المجاهدين، رجع لأهله وهدأ من روعهم، وأمرهم أن يكثروا من الدعاء والذكر والتلطيف، أي قول: « يا لطيف.. يا لطيف». وخرج للمرة الثانية يستطلع الحال، ودون أن يتخذ الاحتياطات الازمة، أصابته رصاصتان فكان أول شهيد في المعركة، واستشهد بعده البشير مزيان[2] قريبا من نفس المكان، وبالتحديد أمام دار البغل، والسبب أن وابل الرصاص كان كبيرا حول منزل الهود.[3]

ب-قتال المجموعة الثانية (هود القدرة):

انتقل ثلاثة من المجاهدين إلى هود القدرة،[4] وتعرضوا إلى محاصرة القوات الفرنسية في كل الجهات، وكثف الطيران قصفه للمكان،[5] وفي لحظتها وجد المجاهدون دروع الاحتماء وراء خشب النخيل. ولكن قصف الطيران كان بدون حدود، مما جعل حصيلة المجاهدين بليغة، كما ألحق القصف ضررا بالنخيل، ولم تسلم منه قوات القومية والسينغاليين، بسبب القصف العشوائي.[6]

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 53.

[2] - **البشير نعمي:** اشتهر بالبشير مزيان، ولد بالرقيبة 1926، وعاش راعيا للغنم، في ظروف قاسية. وأثناء الرعي كان يمارس الصيد، فتمكن من اتقان الرمي. ولما اندلعت الثورة 1954، انخرط فيها بمنطقة خنشلة. كما كان أحد ابطال معركة الدبيديبي، وهود سلطان التي تشرف بقيادتها، وسقط شهيدا في أرضها يوم 16 جانفي 1956. أنظر: سعد العمامر، الجيلاني العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص ص 55-54.

[3] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص ص 146-143.

[4] - **هود القدرة:** يقع شمال هود سلطان، ويفصل بينهما "هود الطالب صالح" و"هود سي البشير" ويحتوي هود القدرة على 100 نخلة، ولا يوجد به بناء للسكن أو شؤون أخرى. أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 150.

[5] - أنظر: السجل الذهبي، طبعة2021، ص 52.

[6] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 150.

لقد أبلى المجاهدون بلاء حسنا في كلا الهودين، وكبدوا العدو خسائر في الأرواح، واستشهد كل المجاهدين المقاتلين في أرض المعركة، ولم ينج منهم إلا واحداً، هو المجاهد أحمد شتوح، الذي اختبأ تحت الحلفاء المكدسة في هود سلطان، وخرج ليلا، والتجأ إلى السيد معمر ميداوي الذي أسعفه بالماء، ثم اختبأ عند السيد محمد الصغير قديري المدعو(العسيق)، ثم اختار المكوث في هود عمار بالميلية أربعة عشر يوما، ولما شفي جرحه طلب منهم دليلا، رافقه إلى عين البيضاء، والتحق بالمجاهدين.[1]

4- نتائج معركة هود سلطان:

أ-نتائج المعركة عند المجاهدين:

- عدد الشهداء: كان عددهم الإجمالي 8 شهداء، 6 من المجاهدين المقاتلين، 2 من المدنيين.[2] ولكن جريدة لاديباش ضخمت العدد والذي اختلط الحساب عندهم مع معركة الدبيديبي.[3] وتم الاستحواذ على كل بنادق الشهداء.

ب-نتائج المعركة عند الفرنسيين:

-عدد القتلى: يقف الباحث متأملا في الأرقام الصادرة من طرفي الصراع، وكلها ينقصها الدقة، وتخضع للعاطفة. والعدد التقريبي في هذه المعركة قدرته المصادر والمراجع المحلية في صفوف الفرنسيين ما بين 80 إلى 120 قتيلا. وفي المقابل قللت المصادر الفرنسية الإعلامية من عدد قتلاهم الذي هو متقارب مع عدد الشهداء، وذكرت الجريدة المذكورة سبعة قتلى من الفرنسيين، منهم ضابط وآخر صف ضابط، وخمسة من الجنود.[4]

---

[1] - عمار عوادي، **الحركة الوطنية والنشاط الثوري بوادي سوف 1918-1957**، مطبعة سخري، ط1، الوادي - الجزائر، 2011، ص 52 ص 77-75.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 52.

[3] - أنظر: جريدة لاديباش عدد 17 جانفي 1956 نقلا عن عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 152.

[4] - أنظر: جريدة لاديباش عدد 18 جانفي 1956 نقلا عن عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 154.

5- انعكاسات المعركة على المجتمع والثورة:

خلفت المعركة حالة من الفزع، وأثرت على حركة السكان، وكان المتضرر الأكبر هم سكان تغزوت ونواحيها، وما يمكن الوقوف عنده:

- تعرضت البيوت والتجمعات السكانية في ورماس للمداهمات والتفتيش، وفي مدينة الوادي للقصف والتهديم.

- إيواء أهل تغزوت للمجاهدين المصابين، ومساعدة بعضهم على الانسحاب بأمان إلى أماكن مختلفة.

- فرض حضر التجوال في تغزوت بعد المعركة، مما جعل العائلات تتجمع في بيت واحد ثلاث أو أربع عائلات، وهو نوع من الحذر والإحتماء والتضامن العائلي. (1)

- تم نقل قتلى الفرنسيين في ساعة متأخرة من الليل، وفي نفس الوقت نقلت جثامين الشهداء، التي أمر قايد أولاد اسعود (القايد لمين زبيدي) بنقلهم، وكلف أصحاب العربات(الكرايل) بالمهمة، يرافقهم عدد من أهل الشهداء، ودفنوا في مقبرة جماعية بتغزوت، ودفن سي المكي قرب مدافن عائلته. بينما نقلت السلطات الفرنسية قائد المعركة البشير مزيان ورمت بجثته في سوق الرقيبة، وترك لمدة يومين، حتى تجعل منه عبرة للسكان، ثم دفن من قبل المواطنين في مقبرة الرقيبة. (2)

- انسحاب اثنين من المجاهدين من هود سلطان، ووصلوا إلى بيت بوريقة(منزل بن بردي)الذي كان مركزا للمجاهدين، وتم إخفاؤهم داخل الصوف في الساباط، ولكن اكتشف أمرهم بسبب الوشاية، وفي يوم 19 جانفي، وصلت قوات العدو، وطوقت المنزل، ثم اقتحمته على أصحابه، ووقع إطلاق النار من الطرفين، فاستشهد المجاهدين الواسع مختار وبوضبية عبد الكريم، وخسر العدو خمسة من جنوده.(3) وقد

---

[1] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص 151.

[2] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص ص 157-156.

[3] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، المرجع السابق، ص 54.

فجرت القوات الفرنسية الغرفة التي اختفى فيها المجاهدين، وعند مداهمتهم المنزل، نهبوا كل ما وجدوه من أسلحة ووثائق ومنشورات ولم تسلم المؤونة واللباس وحلي صاحبة المنزل، السيدة حدي بوغزالة حمد، أما زوجها بوريقة فرحات، فأخذ إلى مركز الدبيديبي، واستشهد تحت التعذيب. [1]

الخاتمة:

شهدت منطقة وادي سوف - بعد هذه المعركة – حالة من الذهول والحصار المطبق، والرقابة المكثفة، وفرضت ركودا كبيرا في العمل الثوري، لأن حالة الحصار حالت دون تسلل المجاهدين- مرة أخرى - إلى الداخل. ولكن العمل استمر سريا ولاسيما بعد تكليف الطالب العربي قمودي بقيادة الجيش الرابض في المنطقة القريبة من تونس، وصار يتوغل إلى داخلها، منذ فيفري 1956.

وكان يتواصل مع المنظمة المدنية، ويحثها على جمع الاشتراكات وتمويل الثورة، وبقي الأمر ساري المفعول إلى شهر أفريل 1957، عند اكتشافه من السلطات الفرنسية، والتي نكلت بأعضاء المنظمة وارتكبت أكبر المجازر في رمضان المعظم.

والجدير بالذكر أن المعارك داخل النسيج العمراني بوادي سوف انقطعت منذ جانفي 1956، لأنها عوضت بنشاطات متعددة، لا تقل نفعا عن المعارك، ووجد فيها أبناء سوف متنفسهم وواصلوا رسالة الكفاح. ورغم ذلك الركود، استؤنف العمل مرة ثانية سنة 1958 بقيادة جديدة، واصلت كفاحها على الحدود، واستمرت إلى أن نالت الجزائر استقلالها.

---

[1] - أنظر: عبد القادر بن مصباح عوادي، المرجع السابق، ص ص 173-171.

النشاط العسكري لجيش الحدود
وانعكاساته على الثورة بوادي سوف
1957-1956

دور مجاهدي وادي سوف في
جيش الحدود الجزائرية التونسية1956- 1957

تمهيد:

كانت الجالية السوفية متواجدة بقوة في الأراضي التونسية، وتغلغلت في مختلف الأوساط، وشارك أفراد منها في الثورة التونسية، وعلى رأسهم الجيلاني بن عمر، وظل وفيا للثورة إلى سنة 1954، عندما اندلعت الثورة الجزائرية، واصل الكفاح في المنطقة الحدودية المشتركة، وساهم في تأسيس جيش الحدود[1] المتكون من الجزائريين، وكان أكثر عناصره من وادي سوف، وعرف عدة تقلبات، ومر بمراحل ثلاث:

أ) مرحلة تأسيس الجيش (نوفمبر 1954- فيفري1956):

عند اندلاع الثورة الجزائرية، استجاب لندائها كل وطني مناضل لمقاومة الاستبداد الاستعماري، وتحمل بعضهم المسؤولية لسابق عهدهم في النضال السياسي السري في تونس، وله ما يقابله في الجزائر في إطار الحركة الوطنية، وكان المجاهد الجيلاني بن عمر[2] من أول المتحمسين للثورة، والذي رجع في شهر نوفمبر1954 من

---

[1]- **جيش الحدود:** نعت هذا الجيش بعدة تسميات، منها جيش السوافة، لأن غالبية أفراده منهم. وجيش الطالب العربي، لأنه القائد الثالث للجيش والذي برز الجيش في عهده وحسبت له السلطات الفرنسية والتونسية ألف حساب، وتعاملت معه لجنة التنسيق والتنفيذ بعنف شديد. وكذلك عرف بجيش الحدود، لأنه المكان الذي تواجد فيه خلال نشاطاته الثورية ومسيرته القتالية.

[2]- **الجيلاني بن عمر:** هو القائد الجيلاني بن العربي بن العيد بن عمر، ولد في قرية العقلة سنة 1926، وكان والده معلما للقرآن الكريم، فحفظ ما تيسر منه، وبسبب الفقر رحل في فترة شبابه للعمل في سلك الجندية بالجيش الفرنسي بمنطقة الرمادة بالجنوب التونسي من 1951 إلى 1953، ثم انفصل عن الجيش، والتحق بالثورة التونسية بمنطقة قفصة، ولما انفجرت الثورة الجزائرية، قام بتجنيد الشباب في وادي سوف، والتحق بمنطقة الرديف، وكون جيشا للسوافة، واستمر في قيادته إلى أن استشهد بمنطقة سندس بجبل زاريف يوم 1955/10/20. أنظر: سعد العمامرة، الجيلاني العوامر: شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص ص 26-28. وذكر عثمان سعيدى أن استشهاده كان في معركة النقب يوم 11 أكتوبر 1955، أنظر: عثمان سعيد، المصدر السابق، 58.

تونس إلى منطقة عميش التابعة لوادي سوف، لشراء السلاح، وتجنيد الشباب، فاتصل ببعض أصدقائه، واستطاع تجنيد ثلاثة منهم،[1] ولما انكشف أمره، انسحب إلى المناطق الجبلية، واندمج مع المجاهدين في الأوراس بقيادة مصطفى بن بولعيد، وخاض عدة معارك، وأبلى البلاء الحسن، فاختاره قائد المنطقة، البشير شيحاني في فيفري 1955،[2] قائدا على الأفواج في الحدود الجزائرية التونسية، وهذا الاختيار لعدة اعتبارات منها:

1) مشاركته في العمل العسكري ضمن الجيش الفرنسي في منطقة رمادة 1951-1953، وتمكنه من إتقان الفنون القتالية في وقت مبكر.

2) إنضمامه لصفوف الثورة التونسية سنة 1953، واستطاع خلالها الاتصال المباشر بخلايا المناضلين الجزائريين في منطقة الرديف، والعاملين في مناجم الفوسفاط، وتم التعاون على جمع الأسلحة، ورص الصفوف، والاستعداد للجهاد المستقبلي.

3) معرفته الجيدة بمناطق الجنوب التونسي والجزائري، وفي أوراس النمامشة أو وادي سوف في الصحراء المحاذية للحدود، وعلاقاته الحسنة بالمجاهدين في الفترة ما بين نوفمبر 1954 وفيفري 1955.

4)وجود قيادة سياسية عسكرية في العاصمة التونسية، بقيادة السعيد عبد الحي(السوفي)، تشرف على العمل الثوري في كامل تونس، وعلى ارتباط وثيق بالأفواج الخاصة بتمرير السلاح، وهذا أحدث الانسجام، وسهل التعامل بين المجاهدين.

وكانت مهمة الجيش الجديد، مراقبة وتأمين خط عبور السلاح - الآتي من المشرق العربي- في سلسلة الجبال التونسية المرتبطة بأوراس النمامشة في الجبال الجزائرية،

---

[1]- الذين تم تجنيدهم في المرحلة الأولى هم: خليفة واده، وبوغزالة حمد نصر بن مسعود، وليمام فقيري، وتم تسليحهم، ولكن فرنسا عرفت أمرهم، فهربوا إلى الصحراء لعدة أيام، ثم التحقوا بالثورة في الأوراس. أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، مسيرة شاهد على الكفاح والثورة، تح علي غنابزية، مخ، ص 10.

[2]- انظر: **السجل الذهبي لشهداء ولاية الوادي 1954-1962،** كتاب مديرية المجاهدين لولاية الوادي، جويلية 2005، ص 41.

وصارت مجموعات الجيلاني السوفي تسيطر على السلسلة الجبلية التونسية الممتدة من جبل معسكر في منطقة توزر، وجبل العربات، وجبل سيدي عيش، وإلى جبل قطار.[1] وكان هذا الجيش في تزايد، ويضم جنودا من مختلف أنحاء الجزائر، ولكن أغلبهم من وادي سوف، وهذا ما جعل الجيش يسمى بجيش السوافة ولاسيما أثناء الخلافات، وانفصلت عنه بعض المجموعات التي تحركت بشكل منفرد، في المرحلة الثانية.[2]

وكان القائد الجيلاني على اتصال بالمواطنين في تونس من الجالية الجزائرية، والتونسيين على حد سواء، ويذكر الرائد عثمان سعدي، قصته يوم جرح في معركة جبل بورملي في الأراضي التونسية في شهر أوت 1955، ويومها أرسله - الجيلاني - إلى عائلة الطالب البشير السوفي بالمتلوي، فأقام مدة للعلاج في بيته، ولما داهم الجيش ذلك البيت، فر إلى بيت آخر، ولما علم الجيلاني بذلك، بعث له برسالة موجهة إلى طبيب ايطالي بمستشفى توزر، يقول: (... رافقتني العجوز والدة طالب البشير في الحافلة، وأوصلتني إلى طوزر، أدخلتني إلى منزل مواطن تونسي، وكان صاحب المنزل لا ينجب أطفالا، تبنى طفلة شابة، رحبت بي زوجة الرجل، وعندما حضر استنكر ذلك قائلا: أنا بعيد عن كل المشاكل، لا أريد أن أسبب لنفسي أخطاراً. وبينما نحن هكذا، وإذا بابنته تدخل البيت، فهمت قصتي على الفور، فصاحت في والدها: ما هكذا يستقبل المجاهدون يا أبي، قولوا أمام الناس أنه أخي يدرس بتونس، وحضر في إجازة. ثم التفتت إليَّ وهي تقول: قف، أنت منذ الآن شقيقي. قادتني إلى خياط تونسي، اشترت لي حذاء (بلغة) وسروالا وقميصا، وعباءة تونسية، وبشكيرًا يوضع على الرأس، المهم فقد كستني بلباس المدينة، حتى لا أكتشف، وكان أبوها غير راض

---

[1]- أنظر: مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، ص 49.

[2]- أنظر: **مذكرات المجاهد بودوح السبتي 1955-1962**، مطبعة عمار قرفي باتنة ـ الجزائر، 2002، ص 30.

على ما تفعل، اتجهت معي إلى ممرضة تونسية تعمل بالمستشفى...). [1] واستطاعت الفتاة أن تجازف، وتتعدى نقطة التفتيش الفرنسية قرب المستشفى، وأوصلته للطبيب الايطالي، وسلمه الرسالة، وانفرد به وسأله عن حاله، واضطر إلى علاجه، وأمره بمغادرة المستشفى، وأركبه في سيارته مع الفتاة، ليكمل العلاج والمتابعة في بيت الفتاة، وبمساعدة ممرضة صديقة. فكانت مغامرة من القائد الجيلاني مع الطبيب الايطالي لا يعرف عاقبتها، وكذلك من الفتاة التونسية التي تمثل الشهامة في أسمى معانيها، وكذلك الصبر والشجاعة من المجاهد المصاب الذي فضل المجازفة على قطع رجله الجريحة - والذي شفي بعد هذه الرحلة - التي توضح مدى التضامن الشعبي والذي يمثل نوعا من المقاومة الخفية والتي لا تقل شأنا عن معارك الجبال، من نساء ورجال عزل كانوا المأوى الآمن للمجاهدين المطاردين من القوات الفرنسية.[2]

وظل القائد الجيلاني في تلك الفترة يخوض المعارك ما بين جبال الحدود، في معركة أم الكماكم في 29 جويلية 1955، ومعركة جبل عربات، ومعركة المغطة، وهجومات متتالية على مراكز العدو في بئر العاتر، ونقرين بالجزائر، والرديف وتمغزة التونسية. وكانت مواجهة العدو الفرنسي شديدة على المجاهدين، فسخر في معاركه الطائرات والدبابات والمدافع الرشاشة، للقضاء على هذا الجيش الفتي الذي يفوق 300 مجاهد،[3] وكانت آخر معركة قادها، هي معركة النقب في 10 أكتوبر 1955 ودامت يومين،[4] واستشهد القائد الجيلاني في اليوم الموالي 11 أكتوبر 1955

---

[1]- أنظر: مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، ص ص 54-55.

[2]- أنظر: نفس المصدر، ص ص 55-57.

[3]- أنظر: السجل الذهبي لشهداء ولاية الوادي 1954-1962، ص 42.

[4]- لقد تم اجتماع بعد معركة الجرف، برئاسة بشير شيحاني مع المجاهدين من القادة يوم 1955/10/12، وتم فيه تعيين قادة المناطق لشرق الأوراس، وتم تعيين الجيلاني بن عمر بمساعدة صالح الخنشلي على منطقة الحدود الجنوبية ابتداء من جبل البطنة في اتجاه الجنوب إلى بئر رومان. انظر: محمد الطاهر عزوي: " شهرة معارك الجرف في السنة الثانية للثورة الجزائرية" محاضرة ضمن مدونة الملتقى الأول للثورة الجزائرية بباتنة 1989، نشر جمعية أول نوفمبر بباتنة، مطبعة عمار قرفي، باتنة، الجزائر، 1992، ص 132-133.

على الساعة العاشرة صباحا، [1] بعد صراع مرير مع الاستعمار دام قرابة العام.[2]

وخلال الشهور الثلاثة، تعدد القادة، وكان أبرزهم الشيخ صالح رشاشي، وعثمان سعدي، وعلي درغال التونسي، ووقعت بعض المعارك، منها معركة جبل الزرقة، في أكتوبر 1955، وكانت معركة ساخنة، حقق فيها المجاهدون نصرا، وأسروا فيها جنديا من اللفيف الأجنبي الفرنسي، وكلف بشأنه المجاهد علي الهمامي.[3]

كما كان أحد أفواج الجزائريين تحت قيادة علي درغال التونسي الذي استشهد في المعركة. وانضم إلى فوج عثمان سعدي، بعض المجاهدين من تونس، أبرزهم عبد الله البوعمراني، والطاهر الأسود، وغيرهم. وقول الرائد عثمان:(إني أؤكد أن الدم التونسي اختلط مع الدم الجزائري في ملحمة ثورة مشتركة عظيمة على الحدود بين لبلدين).[4]

وانتهت المرحلة الأولى للجيش باستشهاد الشيخ صالح رشاشي بالتراب التونسي في جانفي 1956،[5] واستشهد كذلك كثير من الجنود وأسر العديد من الطلبة المجندين حديثا من وادي سوف؛ كالعيد عزه، والعروسي حنكه، وبوصبيع عبد المجيد،

---

[1]- أنظر: مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، ص ص57-58.

[2]- ذكر بعض المراجع أن الاستشهاد وقع في معركة بجبل سندس بمنطقة زاريف، يوم 20 أكتوبر 1955، والرائد عثمان سعدي يعتبر مصدرا، وشاهد عيان، وربما أخطأ في التاريخ فكيف يخطى في المعركة. أنظر: السجل الذهبي لشهداء ولاية الوادي 1954-1962، ص 42. سعد العمامرة، والجيلاني العوامر: شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص 28.

[3]- **علي الهمامي:** مجاهد تونسي، حارب في صفوف جيش الثورة التونسية، وانضم إلى جيش التحرير الجزائري بعد توقيف القتال في تونس، وكانت نهايته الإعدام من طرف الحكومة التونسية بتهمة الانتماء لجماعة صالح بن يوسف. أنظر: مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، ص59.

[4]- أنظر: مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، ص ص 59-60.

[5]- استشهد في معركة عين طاهر الغربية. أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص 15.

والشايب سالم. وهذا دفع قيادة الأوراس إلى تعيين الطالب العربي قمودي[1] قائدا على الجيش في شهر فيفري 1956. [2]

ب) مرحلة تطور الجيش وتوسع نشاطاته (فيفري 1956- جانفي 1957):

ظل جيش الحدود بعد استشهاد الجيلاني بن عمر، بدون قيادة حازمة، مما دفع قائد الأوراس عباس لغرور بتعيين الطالب العربي قمودي السوفي بالقيادة العامة السياسية والعسكرية في سائر الشرق التونسي، [3] لعدة اعتبارات:

1) أن الجيش الذي كلف بقيادته، يعرفه معرفة كاملة، وكان يعمل ضمن قيادته السابقة تحت لواء الشهيد الجيلاني بن عمر.

2) أن قيادة الأوراس الممثلة سابقا في قيادة مصطفى بن بولعيد وشيحاني البشير كلفته بتمويل الثورة وتسليحها، وتوعية الجماهير وتجنيدهم في منطقة وادي سوف، فاستطاع في وقت مبكر، تنظيم الخلايا السرية التابعة للمنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني، وكانت تعمل بكل جدية، وترسل الأموال، والمجندين إلى تونس.

3) كان الطالب العربي جنديا مكلفا - فيما سبق - بجلب الأسلحة عبر الحدود الليبية التونسية والتي تمرر نحو الجزائر، وهي مهمة صعبة تتطلب الصبر على المكاره، من

---

[1] - **الطالب العربي قمودي:** هو القائد الطالب العربي بن محمد قمودي الذي ولد سنة 1923 بمدينة الوادي، تعلم شيئا من العربية وحفظ بعض سور القرآن، بأولاد احمد، ولما شب على الطوق سافر سنة 1952 إلى نفطة التونسية للعمل في مناجم الفوسفاط بالرديف، وشارك في الثورة التونسية بماله ونشاطه السياسي، وعند اندلاع ثورة نوفمبر اتصل مع مصطفى بن بولعيد وشيحاني البشير والجيلاني بن عمر، فكلف بتمويل الثورة وتسليحها، فكون في الوادي خلايا الإسناد للثورة في المنظمة المدنية السرية لجبهة التحرير، وبقيت تمد الثورة إلى أن اكتشف النظام ونكل بأفراده في مجزرة رمضان 1957. وبعد استشهاد الجيلاني بن عمر تقلد الطالب العربي قيادة جيش بالحدود الجزائرية التونسية بالمنطقة الخامسة الولاية الأولى الأوراس، وتولى المهمة بحزم وإخلاص، إلى أن استشهد عام 1957. أنظر: شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص ص 35-38.

[2]- أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص 15.

[3]- أنظر: مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، ص ص 61-62.

أجل حماية الشرايين التي تمد الثورة بالسلاح.[1]

4) تم اختيار هذا القائد بالتحديد، حتى يكون الانسجام بين القيادة العسكرية، وإدارة الثورة في تونس، التي هي تحت قادة أغلبهم من منطقة وادي سوف، وعلى رأسها المجاهد السعيد عبد الحي، [2] الذي كلف بإدارة النظام الثوري في تونس في أوائل 1955، واستطاع وضع قواعد لنظام متين الأسس في كامل التراب التونسي، ومثل همزة الوصل بين الداخل والخارج، لتزويد الثورة بالسلاح والمئونة اللازمة، وهذا أعطى هيبة سياسية وعسكرية للثورة منذ الوهلة الأولى.[3] وكان يؤازره زميله المجاهد عبد الكريم هالي،[4] الذي تولى مهمة تسليح الثورة، وأشرف على عمليات نقل السلاح بين مصر وطرابلس وتونس، وترحيله إلى التراب الجزائري، وتواجدت إدارته في

---

[1]- أنظر: شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص ص 36-35. علي عون: << **التصفية القاعدية للنظام** بوادي سوف 4 رمضان 1957>>، محاضرة القيت بمناسبة **الندوة الفكرية السادسة للجمعية الثقافية محمد الأمين العمودي** أيام 30-29 أفريل، 1 ماي 1993..

[2] - **السعيد عبد الحي:** ولد سنة 1927 بمدينة قماروادي سوف من عائلة عريقة، وحفظ القرآن الكريم، وأتقن مبادئ اللغة العربية، والعلوم الدينية، ثم التحق بجامع الزيتونة وتخرج منه سنة 1954. وكان مناضلا قديما، عندما كان يلتقي في متجر أخيه إدريس بقسنطينة مع المناضل محمد العربي بن مهيدي عام 1948، ويتم النقاش حول السياسة والحركة الوطنية. وأثناء دراسته بالزيتونة، كان له نشاط كبير في اتحاد الطلبة الجزائريين، وهذا التكوين وهبه قدرة على التحضير للثورة، والمشاركة فيها بمنطقة الأوراس، وكشف عن إمكانياته القيادية التي أهلته لتحمل مسؤولية النظام الثوري في تونس. أنظر: شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص ص 35-36. التجاني العقون: **شهداء قمار**، مطبعة سخري، ط1، الوادي، الجزائر، 2011، ص 15.

[3]- أنظر: السجل الذهبي لشهداء ولاية الوادي 1954-1962، ص 47.

[4]- **عبد الكريم هالي:** ولد سنة 1930 بمدينة قماروادي سوف من عائلة عريقة، وحفظ بها القرآن الكريم، وتعلم المبادئ الدينية واللغوية، ثم التحق بجامع الزيتونة وتخرج منه سنة 1954. وكانت علاقته بالحركة الوطنية في وقت التعلم، فانظم لحزب الشعب سنة 1950. وازداد نشاطه في الحركة الطلابية، ولما اندلعت الثورة التحق بها بالمنطقة الأولىالأوراس وشارك في عدة معارك، وحينئذ ظهرت قدرته على التضحية، واتصافه بالحكمة وحسن التنظيم، فاختارته القيادة لتحمل المسؤولية في تونس مع زميله السعيد عبد الحي، ويومها شارك في المعارك التي دارت في أقصى الجنوب التونسي ضد قوات الاحتلال المرابطة لمنع قوافل السلاح من المرور عام 1957. أنظر: السجل الذهبي لشهداء ولاية الوادي 1954-1962، ص49-50. شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص 39. شهداء قمار، ص ص 13-14.

نفس الموقع مع إدارة عبد الحي. [1] فالتحق هالي بتونس، وطرابلس، واتصل بالقيادة في القاهرة، وهم أحمد بن بلة، ومحمد خيضر، وأعضاء مكتب المغرب العربي، وأنشأ جسراً للسلاح نحو الداخل.[2]

5) استقرار الطالب العربي بمنطقة الرديف منذ سنة 1952 كعامل بمنجم الفوسفاط، وشارك في الثورة التونسية سياسيا وماليا، وذلك أكسبه نضجا سياسيا وتنظيميا،[3] ومعرفة جيدة بالجغرافية السياسية والطبيعية لمنطقة الرديف وما جاورها، والتي تكون بها حي أو دشرة عرفت باسم (نزلة) السوافة. [4] والتي خصص بها بعض المنازل كمراكز لاستقبال المجاهدين للإقامة المؤقتة، ومراكز عبور للتموين، والتجهيز باللباس العسكري والسلاح، مع اتخاذها مصحات لعلاج الجرحى. [5]

ولما تسلم الطالب العربي مهامه القيادية، كان جيش الحدود في التزايد، وحينئذ طور القائد الجديد من أدائه، فاعتمد خطة دقيقة في توزيعه إلى وحدات لها اتصال مباشر مع القيادة العامة، لتسهيل عملية المراقبة والاتصالات، وتم التوزيع على شكل كتائب أو أفواج، تتفقدها القيادة، وتزودها دوما بالتوجيهات العسكرية، والكلمات التحفيزية المشجعة على البذل والعطاء، والإقبال على الجهاد والمقاومة، والأمل المعقود في النصر المحقق، [6] أو الاستشهاد في ميدان الشرف.

وظل عدد الجيش يتضاعف حتى بلغ سنة 1957 نحو 900 مجاهد،[7] ووصل

---

[1] - أنظر: شهداء قمار، ص 14.

[2] - أنظر: شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص ص 39-40.

[3]- نفسه، ص 35.

[4]- مذكرات المجاهد حمتين، ص 38. حسان الجيلاني: قصة العودة، ج1، ص ص 39-59.

[5]- مذكرات المجاهد العربي بلول، ط2، ص ص 27-29.

[6] - أنظر: شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص ص 36-37.

[7]- أنظر: السجل الذهبي لشهداء ولاية الوادي 1954-1962، ص 45.

الألف مجاهد في بعض الأحيان، ولكن أفواجه تقلصت فجأة، وعمل بعضها على انفراد بسبب المشاكل ولاسيما عند بعض كتائب النمامشة الذين اختلفوا مبكرا مع الطالب العربي.[1]ورغم كل ذلك فالأداء الحقيقي في الميدان، يحسب لجيش السوافة، منذ تكليف الطالب العربي بالقيادة، وتمكن من خوض نحو 47 معركة وحادثة[2]؛ ومن أبرزها، معركة شعبة القصب بتونس في ماي 1956 ودامت عدة أيام، وتواصلت مع معركة شعبة السردين، وجبل بوهلال لثلاثة أيام، واستخدمت فيها الطائرات، وسقط عدد من الشهداء. ومعركة عين طاهر، [3] يوم 21 جانفي 1957، [4] ومعركة الخنقة في 15 مارس 1957، على الحدود، وأسقطت بها الطائرات،[5] وتصدت فرنسا بقوة للجيش، واضطرت إلى جلب القوات من مختلف المناطق، من تونس (قفصة وتوزر) ومن الجزائر(الوادي ونقرين وبئر العاتر) وامتدت نيران المعركة على طول خمس كيلومترات إلى حدود جبل سندس، وانتهى القتال ليلا، وانسحب المجاهدون كالعادة إلى الرديف، ومكثوا أياما في نزلة السوافة للراحة والعلاج، ثم خرجوا مرة أخرى لمواصلة الكفاح في الجبال المتقاربة، في عين طاهر، وجبل بوهلال، وجبل زاريف، والتي كانت أهم مواقع حماية وتأمين الجيش. [6]

ج) مرحلة معارك الاحتكاك مع وادي سوف (جانفي - مارس 1957):

كانت المعركة في مدن وقرى وادي سوف على أشدها في الفترة ما بين (نوفمبر 1954- جانفي 1956)، واستطاعت تلقين المستعمر درسا في البطولة، وحققت

---

[1]- كان لصالح بن علي جيشه الخاص، وبشير سيدي حني مجموعته، وعشيرة التكاكة جيشها، وكذلك القائد الأزهر شريط، وعثمان سعدي لهما جيشهما المستقل. انظر: مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، ص ص 75-77.

[2]- أنظر: السجل الذهبي لشهداء ولاية الوادي 1954-1962، ص 45. العمامرة، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص 38.

[3] - مذكرات المجاهد حمتين، ص ص 36-40.

[4]- أنظر: عبد الحميد بسر، الطالب العربي قمودي، ص 262. عوادي عبد القادر، ص 181.

[5]-مذكرات المجاهد العربي بلول، ط2، ص 33-40.

[6]- أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 22-24.

انتصارات هامة، أزعجت القيادة العسكرية الفرنسية، والتي تصدت بقوة لكل الدوريات، وفرضت حصارا شديدا على المنطقة التي كان جيش الحدود يتلقى تمويله الكلي منها. وبعد معركتي الدبيديبي وهود سلطان يومي 15-16 جانفي 1956، حدث ركود فضيع داخل النسيج العمراني للمنطقة، وهذا دفع قائد الجيش الطالب العربي، إلى مواصلة العمل المسلح المباغت للفرنسيين، وتتابعت الدوريات التي استفزت القوات الفرنسية، وتحولت إلى معارك، ودماء سالت على الحدود، وردت كيد المستعمر، وأهمها المعارك التالية:

1-معركة بوعروة (27 جانفي 1957):

أ-دوافع الدورية: تم إرسال دورية عسكرية للقيام، بعملية عسكرية تأديبية للمركز الفرنسي، ولكن الظروف اضطرتها إلى القيام بهجوم، تحول إلى معركة، وكانت الدوافع:

- تأكيد استمرارية العمليات العسكرية في محور ممتد بين أوراس النمامشة وحتى الأراضي التونسية، والحدود الجزائرية المتاخمة لها، والتي تنحدر إلى مشارف وادي سوف، وكانت دوريات المجاهدين تراقب المراكز العسكرية الفرنسية عن كثب، وتتحين الفرص للانقضاض عنها، وتغريمها الخسائر الكبيرة.

- استعداد الثورة في بداية 1957، ودعوتها الشعب الجزائري إلى اضراب عام وشامل، من أجل شل الحركة، وإبراز التضامن الشعبي، وحددت للإضراب أسبوعا كاملا، وعرف بإضراب الثمانية أيام، وحدد ما بين 28 جانفي إلى 4 فيفري 1957. [1] وشرعت الإذاعة الوطنية السرية "صوت الجزائر الحرة المجاهدة" في تجنيد الرأي العام للمشاركة في الاضراب. [2]

---

[1]- عثمان الطاهر علية، **الثورة الجزائرية أمجاد وبطولات**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طباعة المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 1996، ص ص 151-154.

[2]- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 196.

- الرد على سياسة الجنرال" ماسو" و"غي مولي" و"لاكوست"، حتى يعلموا أن تهديداتهم وفتكهم بالشعب الجزائري، ومحاولتهم إفشال الإضراب، هو ضرب من المستحيل. [1]

- تكليف الطالب العربي جنوده، القيام بعملية عسكرية، تستهدف الجيش الفرنسي في منطقة بوعروة، قبل الإضراب، دعما له من جهة، وإبراز قوة الثورة عسكريا وشعبيا من جهة أخرى.[2]

ب -توجه الدورية العسكرية نحو بوعروة:

-**انطلاق الدورية:** انطلقت فرقة من المجاهدين عددهم عشرون (20مجاهداً) بقيادة المجاهد عبد القادر بريك، وبتكليف رسمي من القيادة، وبأمر من الطالب العربي قمودي، وكان انطلاقها يوم 24 جانفي 1957 سيرا على الأقدام من جبل زاريف،[3] نحو المركز العسكري الفرنسي بمنطقة بوعروة، [4] التي تبعد عن مركز المجاهدين بنحو 180 كلم، وكانوا مجهزين بكل المعدات، واستغرقت رحلتهم ثلاثة أيام. [5]

- **وصف المركز الفرنسي المستهدف:** هو عبارة عن ثكنة عسكرية مهمتها المراقبة، والامداد العسكري الفرنسي، وتتكون من سبع غرف، وعيادة، ومخزن للذخيرة والأسلحة، إضافة إلى إدارة الثكنة، وتضم ثلاث فرق عسكرية. ولم يجد المجاهدون فيها سوى فرقة واحدة لحراسة الثكنة، بينما توجهت الفرقتان إلى مدينة الوادي تحسبا

---

[1]- عثمان الطاهر علية، المرجع السابق، ص ص 151-154.

[2]- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 196-197. سعد العمامرة، عون علي، معارك، ص 73.

[3]- **جبل زاريف:** جبل محاذي للحدود الجزائرية التونسية، ويمتد بين البلدين، ويسمى زاريف الواعر في القسم التونسي، وبه في الجهة الجزائرية عدة أودية ومغارات ويصل حتى نقرين جنوب تبسة.

[4]- **بوعروة:** هي بوابة الحدود بين وادي سوف وحزوة التونسية، وتبعد عن مدينة الوادي بنحو 82 كلم، ونظرا لقربها من كفاح الحدود، سميت بعد الاستقلال باسم الشهيد البطل، الذي قاد الجيش في نواحيها، فصارت تعرف باسم الطالب العربي، اعترافا بفضله وجهاده.

[5]- سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 73.

لقيام المظاهرات، ومساعدة القوات العسكرية في قمع السكان في منطقة سوف.[1]

ج - الهجوم على المركز العسكري ونتائجه:

وصلت الدورية ليلة الهجوم على التاسعة ليلا، وقامت بتطويق المكان، الذي يتواجد به 25 جنديا فقط. فهاجمته الدورية في ليلة 27 جانفي، بكل شجاعة وإقدام.[2] وحينها سمعوا أصوات الصراخ والعويل في الداخل، وعندما اقتحم المجاهدون المركز، وجدوه خاليا، لأن جنوده فضلوا الانسحاب، بدلا عن المعركة الانتحارية الخاسرة، ولم يطلقوا رصاصة واحدة، ومع ذلك أصيب بعضهم بطلقات المجاهدين.

وكانت غنائم المجاهدين، 4 قطع من الأسلحة، وحوالي 300 رصاصة، وتم تجميع محتويات المركز من أغطية وأفرشة، وأدوية ومؤونة وعتاد، في غرفة واحدة، وأحرقوها عن آخرها. [3]

وقتل خمسة من جنود العدو، واحتلوا المركز لمدة محدودة، لأن الدورية حققت هدفها، وكانت مضطرة إلى الانسحاب والعودة إلى مواقعها سالمة غانمة. [4]

وهكذا انتهت تلك المعركة، أو الهجوم الحربي المباغت بنجاح، وكانت انتقاما لكل الشهداء، وردا حاسما على كل الاستفزازات التي مست السكان العزل في مدن وقرى وادي سوف.

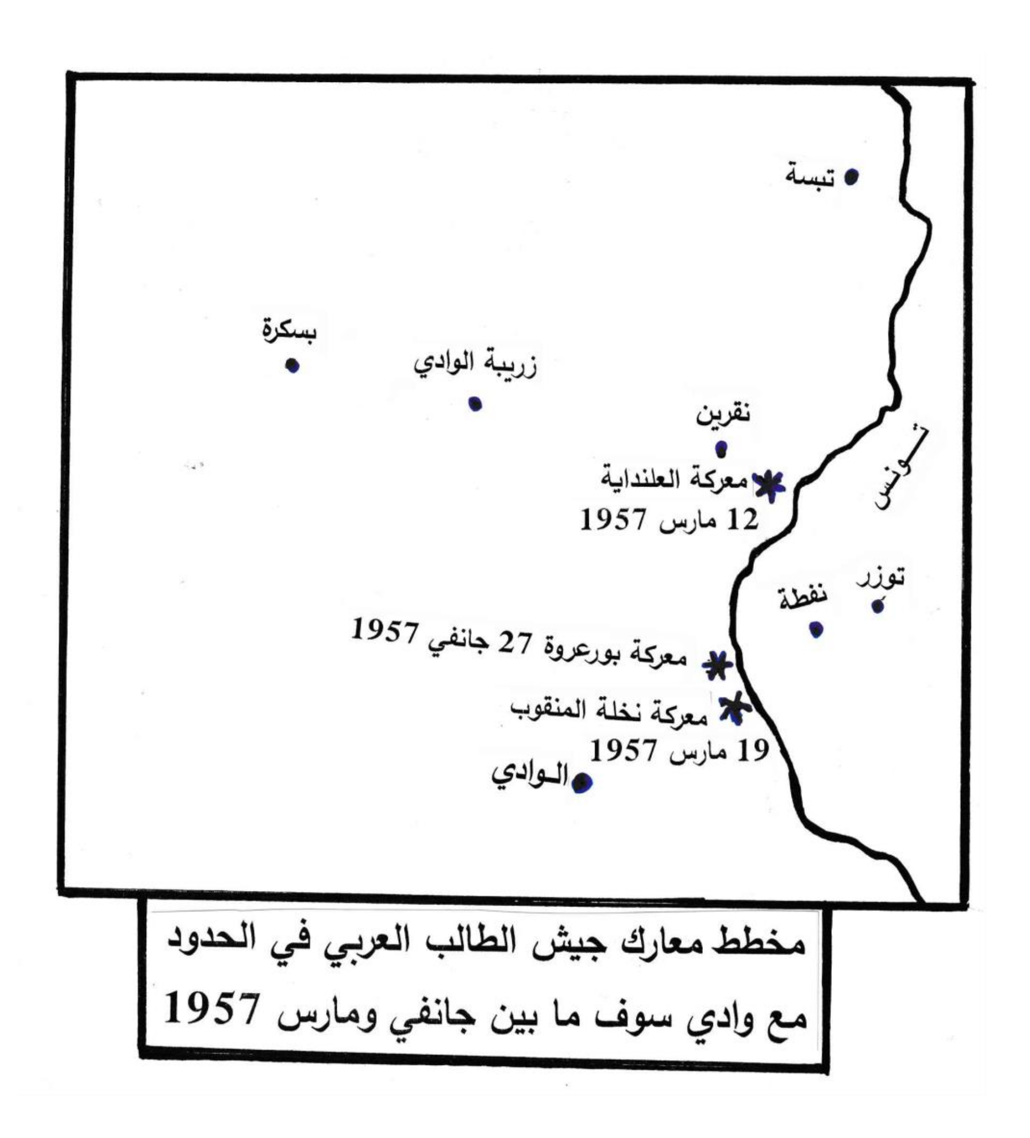
---

[1]- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 198.

[2]- سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير ص 73.

[3]- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 199.

[4]- سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 73.



مخطط معارك جيش الطالب العربي في الحدود مع وادي سوف ما بين جانفي ومارس 1957

2- معركة العلنداية (12 مارس 1957):

استمرت فرق المجاهدين في مراقبة العدو وتقصي أخباره، وتقوم بدورها بتوجيه من القيادة بزعامة الطالب العربي، الذي رسم الخطط العسكرية المباغتة للعدو، وبعد نحو شهر ونصف، كانت هذه الواقعة.

أ-دوافع الدورية العسكرية:

- ضرورة التصدي للقوات الفرنسية التي طوقت المنطقة، ومنعت كل حركة على المجاهدين، ومنعتهم من الدخول والخروج من وادي سوف، والتي تمثل العمق الاستراتيجي، والمصدر الأساسي لتمويل الثورة بالمال والمؤونة والسلاح والرجال، وكل من له استعداد للقتال.

- تفنيد السياسة الفرنسية التي جندت الغافلين من الجزائريين، وأقحمتهم لمواجهة بني قومهم من الثوار، بحجة محاربة الفلاقة. وهو تضليل فاضح، تمكنت الثورة من إبطاله بمثل هذه الدوريات والمعارك.

- مواجهة الدورية العسكرية من فرقة المهاري الصحراوية المتمركزة في منطقة "العلنداية" بالشريط الحدودي بين تونس والجزائر.(1)

ب -توجه الدورية العسكرية نحو العلنداية:

- **وصف موقع الفرنسيين:** تقع العلنداية بالشريط الحدودي بين الجزائر وتونس، وبالتحديد في الجنوب الشرقي من تبسة ونقرين والدويلات، وتوجد قرية بن قشة والخلة في شرقها، وهي تبعد عن مركز المجاهدين بنحو 150 كلم، وتتمركز بها فرقة من قوات "المهاري" مهمتها الحراسة والمراقبة المستمرة، ورصد حركات المجاهدين في نواحي الحدود. (2)

- **انطلاق الدورية:** بتكليف من الطالب العربي، انطلقت الدورية العسكرية بقيادة عبد القادر بريك، ومعه 45 مجاهدا. خرجت الدورية من جبل زاريف في إتجاه منطقة بن قشة والخلة وبير الجهلي.(3) وقبل وصولهم، بعث قائد الدورية فرقته

1- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 266.

2- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 266. سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 57.

3- سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 57.

الاستطلاعية، والتي عاينت المكان جيدا، فوجدوا أن فرقة المهاري انسحبت بسرعة وبدون وعي، ووجدوا آثارهم الحديثة العهد، وهي أربع خبزات ملة مازالت تحت الرمل الساخن، تنتظر النضج. لأن تقديرهم للموقف اقتضى عجزهم عن مواجهة فرقة المجاهدين لوحدهم، وهم يتطلعون إلى سند من الجيش الفرنسي، والذي انتظروه بعيدا.[1]

ج -اندلاع المعركة:

خرجت القوات الفرنسية ليلا، حتى تخوض المعركة عند شروق الشمس، وكانت مدعمة بقوات كبيرة، ومحمولة على متن سيارتين من نوع 6/6، وشاحنتين من نوع 4/4، وشاحنتين عاديتين، وأربع (4 طائرات) مقنبلة. ولما تقدمت القوات الفرنسية، وجَّه لها المجاهدون ضربة موجعة أدت إلى إحراق سيارة، وإصابة الثانية بأعطاب بليغة. ونظرا لخلو أرض المعركة من الشجر والحجر الذي يساعد على الاختباء من نيران العدو. فضل المجاهدون الاحتماء بأقرب الجبال، فتراجعوا نحو "جبل سندس".[2] لأن الطائرات تفتك بهم بسهولة. ومع ذلك دام القتال إلى منتصف النهار، ولما وصلوا إلى الجبل، أحسنوا التمركز وتمكنوا من إسقاط طائرتين. فاكتفت القوات الفرنسة بسلاح المدفعية، مدعمة بقنابل الطائرات، واستمر القصف إلى ساعة حلول الظلام، وحينها سكتت الأصوات، وانتهت المعركة.[3]

د - نتائج المعركة:

- أثر المعركة على المجاهدين:

-عدد الشهداء: لم يخسر المجاهدون سوى شهيدا واحداً، هو سامشي بلقاسم،[4].

1- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 267.

2- **جبل سندس:** يقع في الحدود ما بين تمغزة التونسية وبير العاتر الجزائرية ضمن السلسلة الجبلية أم الكماكم الوعرة.

3- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 268-269.

4- سعد العمامرة، عون على، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 56.

وقيل بل هو المجاهد نصر جابر.

-الجرحى: عددهم 14 جريحا. [1]

- أثر المعركة على الفرنسيين:

-عدد القتلى: ما يزيد عن 200 قتيل، وعدد كبير من الجرحى. [2]

-الخسائر المادية: تدمير سيارتين عسكريتين، وإسقاط طائرتين حربيتين، وإصابة طائرتين بأعطاب معتبرة. [3]

-معركة نخلة المنقوب (19 مارس 1957):

كان جيش الطالب العربي في نشاط متواصل، وسعي حثيث، وعمل مكثف، يخوض المعارك، ويرسل الدوريات والسرايا الاستطلاعية، ويقوم بأعمال ثورية خفيفة ومشرفة، سرعان ما تتحول إلى معارك ضارية، مثلما حدث في هذه المعركة:

أ-دوافع إرسال الدوريات العسكرية:

- إبراز قوة المجاهدين، وجعل القوات الفرنسية المنتشرة قرب الشريط الحدودي، وفي الثكنات والمراكز العسكرية بمدينة الوادي وقراها، وقوات المهاري، تعيش في حالة من الخوف المتواصل.

- فك الحصار المضروب على الثوار، وفتح جيوب ومسالك للمجاهدين، وكسر حاجز الخوف عند السكان، لأن فرنسا تريد فرض الأمر الواقع، وتروج لتفوقها على المجاهدين، وتسعى إلى إقناع المجتمع بتفوقها المزيف.

- معاقبة أعوان الاستعمار من شيوخ وقياد في مختلف القرى، وتحديد أهداف خاصة، من خلال تكليف كل فوج بعملية محددة، وتنفيذ حكم الإعدام في الخونة.

1- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 270-271.

2- سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 57.

3- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 271.

ب- مهام وأعمال الدورية العسكرية بوادي سوف:

-**مهام الدوريات:** كلف الطالب العربي، المجاهد محمد حلواجي باختيار عناصر الدورية العسكرية الكبرى، وعددهم 24 مجاهداً، وعين لهم مكان النشاط العسكري. وحينها خرج أفراد الدورية من مركزهم بجبل زاريف، واتجهوا نحو مشارف وادي سوف، مرورا بنفطة التونسية التي وصلوها عند طلوع الفجر، ومكثوا بها إلى المساء، وتم تقسيم الأفراد إلى أربعة أفواج، كل فوج يتكون من ستة أفراد. ووزعت المهام عليهم، وحددت وجهة كل فوج، واتفقوا على الالتقاء في مكان محدد بعد تنفيذ ما كلفوا بإنجازه، وكانت المهام كما يلي:

-الفوج الأول بقيادة عياشي عمر نصر، ومهمته إعدام عون الاستعمار، المدعو "سالم البرقادي"، بالمقرن.

- الفوج الثاني بقيادة محمد حلواجي، ومهمته إعدام شيخ الجماعة المعين من المستعمر، والمدعو "الشيخ الطاهر" بنزلة أولاد لخضر بالدبيلة.

-الفوج الثالث بقيادة مصباح شراحي، لإعدام الشيخ لحمر.

-الفوج الرابع بقيادة محمد الناوي، لإعدام شيخ الجماعة المعين من الاستعمار، والمدعو "الأخضر فرجاني" ببلدة النخلة. [1]

- **أعمال الأفواج العسكرية:**

اتجهت المجموعات إلى أهدافها المحددة، وأغلبها لم يسعفه الوضع، وفضلت العودة إلى مواقعها، في مكان الالتقاء. [2]

انطلق الفوجان، الأول والثاني في حدود الساعة الثالثة مساء، لأن وجهتهم متقاربة، بالمقرن والدبيلة، وتوقفوا هنيهة بصحن بوقمزة، ثم واصلوا مسيرهم، وفي اليوم الموالي - وكان ممطرا - توقفوا في غوط الأخضر بلوبيري، ثم واصلوا مسيرهم في حدود

---

[1]- سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 75.

[2]- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 190.

الساعة الرابعة مساء، وحطوا رحالهم في صحن الرتم في ساباط مهجور، وصمموا على تنفيذ عملياتهم بعد المغرب لأن الظلام يسترهم عن أعين الخونة والمخبرين.

وصل فوج محمد حلواجي إلى الدبيلة، ولكن خيم عليهم الحذر، وهذا جعله يرسل أحد المجاهدين حتى يعرف مكان الخائن المقصود بالتصفية. وفي تلك اللحظات سمع إطلاق الرصاص، وكان منطلقا من بندقيات فوج عياشي عمر بالمقرن، فاعتقد حلواجي أن صاحبه أطلق النار، فسارع إلى المكان، فوجد صاحبه قد أسر من طرف حراس شيخ الدبيلة، فتبادلوا معهم النار، وتم الإفراج عن المجاهد الأسير، وقتل حارس الشيخ. وانسحب الفوج دون تحقيق الهدف المنشود. وانسحب أفراد الفوجين إلى حاسي خليفة وانتظروا وصول الدوريات الأخرى. [1]

ج- اندلاع المعركة:

تأخر وصول الأفواج الأخرى، وبقوا ليلا في المكان المسمى (سيق لعقاب)، وفي مساء اليوم الثاني، التحق بهم أفراد فوج مصباح شراحي، واتجهت الافواج الثلاثة[2] إلى نخلة المنقوب والتي وصلوها في الليل، واستراحوا فيها لأخذ قسط من الراحة والاستعداد للمعركة المفروضة.[3]

- **وصف مكان المعركة:** تقع نخلة المنقوب على الحدود الجزائرية التونسية، وعلى بعد 3 كلم في الجنوب الغربي من حزوة، وتقع حاليا ضمن الأراضي الجزائرية في منطقة بوعروة (الطالب العربي).

ولما لاح الصباح، ظهرت أمامهم القوات الفرنسية، وأخذت تتزايد، وكانت قادمة من مدينة الوادي، وكذلك الشاحنات القادمة من الأراضي التونسية. وحينها كان المجاهدون ينظفون أسلحتهم من أثر الأمطار التي تهاطلت، وبسرعة اجتمعوا ووضعوا

---

[1]- سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 76.

[2]- أما فوج عياشي عمر نصر، فأخذ اتجاها آخر بعيدا عن العدو، وهذا أخره عن خوض المعركة. أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 76.

[3]- سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 76.

استراتيجية المواجهة. وكانوا مسبقا قد أعدوا حواجز رملية ليتحصنوا وراءها.[1] وكانت خطتهم، توزيع أفرادهم إلى خمسة أفواج، وعددهم 12 مجاهدا، منهم مجاهدين مرضى،[2] والعشرة الباقون توزعوا ثنائيا حتى يشعروا العدو باتساع رقعة المعركة، وهي من الحرب النفسية، وبها يتجنوا الضربة الجماعية القاتلة.

- اندلاع القتال:

بدأت فصول المعركة صباح يوم 19 مارس 1957، عندما نصب المجاهدون كمينا للقوات الفرنسية، واستدرجوهم عن طريق آثار أقدامهم - الباقية عمداً على الأرض - وخاصة مكان إشعال النار الذي يدل على مبيتهم في نفس المكان، ويظهر مغادرتهم له، وابتعادهم. ولكنها حيلة فقط، بل اختفوا وراء الأشجار، وانتظروا مرور القوات الفرنسية والتي انطلت عليها الحيلة ووقعت في المصيدة، فانهال عليها المجاهدون بوابل من بنادقهم، وأسقطوا قائد المعركة أرضا، وعددا من جنوده، وفرت البقية، وانهزموا معنويا.

وانتشر المجاهدون بسرعة فائقة في عين المكان، وتداولوا على أماكنهم،[3] فكان الأول يطلق النار نحو الهدف، ثم يتراجع خلف صاحبه الذي يضرب العدو مباشرة، وهكذا في انسجام متتابع. كما رمى المجاهد حلواجي قنبلة على عربة نصف مجنزرة، فدمرتها عن آخرها. [4] وحينذاك اعتمد العدو على الضرب بالمدفعية من بعيد، ويأتيه الرد من أماكن مختلفة، وأشعرته تلك الحالات، كأنما هي نجدات عديدة وصلت للمجاهدين، وهذا حطَّ من معنوياتهم، ورفع معنويات المجاهدين.[5]

1- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 190.

2- المرضى مهما: اعمارة رقيق، ولعبيدي عبد القادر، لم يشاركا في المعركة بسبب المرض. أنظر: سعد العمامرة، عون على، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 77.

3- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 191.

4- سعد العمامرة، عون على، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 78.

5- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 191.

كان العدو مدججا بمختلف الأسلحة، وذلك دفعه إلى الاعتماد على سلاح الطيران، وهي أربع طائرات مقاتلة، وخامسة كاشفة، ووصلته نجدة أخرى. وكانت قواته مدعمة بثماني سيارات صغيرة، وعدة سيارات نصف مجنزرة. [1] واستمرت الطائرات في القاء قنابلها كالحمم، وبشكل مبعثر، وقبيل غروب الشمس أصيبت إحدى الطائرات، وغابت الأخريات، وحل الظلام معلنا عن توقف المعركة اضطراريا.

د- نتائج المعركة:

- النتائج في صفوف المجاهدين:

-عدد الشهداء: اثنان فقط، هما قائد الفوج الثالث مصباح شراحي، والمجاهد محمد حسناوي.

-الجرحى: واحد فقط هو المجاهد الهادي بلول.

- النتائج في صفوف الفرنسيين:

-عدد القتلى: عدد كبير غير محدد، وقتل قائد المعركة برتبة ضابط.

-اسقطت طائرة واحدة، وحطمت سيارة. [2]

كل المعارك السابقة الذكر، كانت خنجرا في ثنايا الجيش الفرنسي، وقوة معتبرة تمتع بها جيش الطالب العربي، والذي اجتمعت الظروف، وتكاثفت المصالح، وخططت لتصفية القيادات، وتشتيت الجيش، فكيف تم ذلك؟

د) مرحلة القيادة وجيش الحدود في تونس والجزائر: (مارس -جوان1957):

كان وجود الطالب العربي في تونس، في موقع حصين وبين جالية سوفية احتضنت المجاهدين ودعمتهم. إضافة إلى إدارة في العاصمة تسند ظهورهم، ومجتمع كامل في وادي سوف، يرسل لهم ما يحتاجونه من مساعدات، وفق النظام المدني. وكان المخطط

1- سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 78.

2- عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 191.

هو التخلص من عوامل القوة، والتي تحولت إلى سبب للانتقام، وتحولت إلى نكبة كبرى مست أهل سوف، قيادة وجيشا:

1-تصفية إدارة السعيد عبد الحي بتونس (أكتوبر 1956):

كانت تونس قلعة للثورة الجزائرية (1954 - 1956)، احتضنت القيادة الثورية، وفسحت المجال للقيادة العسكرية بالقتال المفتوح. وكان الجيشان الجزائري والتونسي يقاتلان جنبا إلى جنب، وخاصة في مناطق أم العرايس والرديف، والمتلوي ونفطة. والشعب التونسي يمون الجميع إيمانا منه بوحدة الكفاح المشترك في المغرب العربي. [1]

ولما كان نشاط الجيش في عنفوانه، كانت المفاوضات التونسية على أشدها مع فرنسا، وانتهت تصفية إدارة السعيد عبد الحي: بتوقيع معاهدة 20 مارس 1956، التي انهت الاحتلال الفرنسي لتونس، والذي قوبل برفض " اليوسفيين " [2] الذين انضموا إلى جيش الجزائر، وآزرتهم قيادة الثورة في العاصمة تونس.[3]

ولكن الاتفاقية مع فرنسا تقضي تصفية النشاط المضر بها من الجزائريين، فبدأت السلطات التونسية في الضغط على إدارة عبد الحي ولاسيما في صائفة 1956، وازدادت التشديدات بعد انعقاد مؤتمر الصومام الذي خيب توجهات القيادة الجزائرية الثورية في تونس، وعارضته، وهذا جعل السعي مشتركا بين الحرس الجمهوري التونسي، ولجنة التنسيق والتنفيذ، وتم اعتقال المعارضين من السوافة ومن سار على نهجهم من قيادات الأوراس في صبيحة الفاتح من أكتوبر 1956، ووضعوا في سجن زندالة، بولاية منوبة ريثما تعقد المحكمة العسكرية. [4]

---

[1] - أنظر: الطاهر عبد الله: **الحركة الوطنية التونسية**، دار المعارف للطباعة والنشر، ط2، تونس، 1990، ص 133.

[2]- أنظر: محمد الهادي الشريف: **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، دار سراس للنشر، تونس، 1980، ص ص 137-138.

[3] - أنظر: أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ج3، ص 238.

[4] - أنظر: محمد عباس: " مع الطاهر بن عائشة. شاهد.. على نكبة السوافة " **جريدة الشروق العربي**، العدد 665، الجزائر، الاثنين 6 جانفي 2003، ص 7.

2- تصفية النظام المدني بوادي سوف(أفريل 1957):

كان جيش الطالب العربي وخلال مسيرته وخصوصا عام 1956، وبداية 1957، ممولا من النظام المدني، والخلايا السرية العاملة في وادي سوف، وهي على اتصال كبير بالطالب العربي، تمدهم بالمال والمؤونة والسلاح، والشباب المجند. ولكن منذ معركة غوط شيكة أوت 1955، شددت السلطات العسكرية خناقها على المنطقة، فتضرر المجاهدون في تونس، وقاموا بدورياتهم السابقة الذكر منذ جانفي إلى مارس 1955، والتي أثمرت فوائد آنية، ولكن سرعان ما تبخر النصر، عندما أكتشف النظام السري في مدن وقرى وادي سوف، وتحول إلى تصفية للمناضلين، والمسبلين، وتتبعوا آثارهم بشكل واسع، وارتكبت في حقهم مجزرة كبرى، عرفت بمجزرة رمضان 1957. وكانت التهم موجهة رأسا إلى الطالب العربي. كما كان جيشه في بؤرة الاهتمام الفرنسي، والذي تمكن من عقد الصفقة المناسبة، والتي نكب بها جيش الطالب العربي، فكان آخر فصل في التصفية.

3- تصفية جيش الحدود وإعدام قائده(جوان 1957):

أما الطالب العربي الذي يقود جيش السوافة، ويأوي جماعة صالح بن يوسف، فقد رفض التسليم، وواصل المقاومة، وتعقب قوات العدو في داخل الجزائر، مثل الهجوم على المركز الفرنسي بنقرين(الجزائر) فيفري 1957، واشتد الخلاف مع السلطة التونسية التي طلبت من الجيش الانسحاب من الأراضي التونسية في صائفة 1957، بعد قطع المؤونة عنه، فاضطر الجيش إلى المغادرة قاصدا الأراضي في الحدود الليبية الجزائرية، ولكن الجيش التونسي باغتهم، في منطقة فسقية الماء قبل الوصول ومواصلة طريقهم للأراضي الليبية. والقى القبض على القائد وحاشيته المقربة، في20 جوان

1957، [1] وانعقدت محكمة عسكرية من أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ، [2] حكمت على المعتقلين بالإعدام. [3]

وخلاصة الحوادث السابقة، أن المصالح تلاقت في حادثة الفتك بالقادة العسكريين المعارضين لقرارات مؤتمر الصومام، فأما نظام بورقيبة، فكان مساهما في القبض والتصفية لأنهم يعارضون الاستقلال الجزئي، ويؤازرون جماعة صالح بن يوسف، ويوفرون لهم الأمان داخل التراب التونسي. ولجنة التنسيق والتنفيذ، تبرأت منهم، ووافقت على تصفيتهم باسم الشرعية القضائية الثورية، مدعية تصحيح الوضع، وإثبات المساندة للنظام التونسي، حتى توفر لنفسها العمل بحرية وقبول. وكان لفرنسا دورها في تجنيب الخط الحدودي المعارك، وفي هذه التصفية تبادل للمصالح مع النظام التونسي، الذي حصل على الاستقلال بعد التفاوض، والقبول بالأمر الواقع وفق سياسة خذ وطالب.

أما بقية الجنود من الجيش بمختلف أفواجه، فكان مصيرهم الاعتقال، وألقوا في السجون التونسية، بسفاقص وسوسة، وكانت معاملتهم شديدة وقاسية، وتعدى ذلك إلى عائلاتهم في وادي سوف، [4] وخنشلة، [5] وغيرها، ونقل بعضهم إلى سجن باردو، ولم يخرجوا إلا بعد تشكيل الحكومة المؤقتة الجزائرية في سبتمبر 1958، وحينئذ

---

[1] - أنظر: مذكرات المجاهد العربي بلول، ط1، ص 39-420. مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 31-35.

[2] - كانت المحكمة برئاسة عبد الله بن طوبال، ونيابة عمار بن عودة، وعضوية عمارة بوقلاز، ومحمود الشريف. أنظر: مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، ص 144.

[3] - شمل الإعدام قيادة الولاية الأولى من السوافة، وأبرزهم السعيد عبد الحي، وعبد الكريم هالي، والطالب العربي، ومن النمامشة، لزهر شريط، ومن شاوية شرق الأوراس عباس لغرور. أنظر: محمد عباس، المرجع السابق،. مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، ص 144.

[4] - مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 35 -38.

[5] - ومن الغريب أن عباس لغرور أعتدي عليه من الطرفين: من لجنة التنسيق والتنفيذ ومن الاستعمار، ففي الوقت الذي نفذ فيه حكم الإعدام توجه ضابط لساس مركز خنشلة إلى زوجته التي كانت تقيم بخنشلة، وساقها إلى المركز العسكري وبقيت أسيرة عنده مدة من الزمن. أنظر: مذكرات الرائد عثمان سعدي بن الحاج، ص 140.

رحل بعضهم إلى الرديف، والبقية إلى جبل الشعنبي شرقي تبسة، وخط موريس.[1]

هـ) أهداف تصفية الجيش وانعكاساته في المنطقة (1958- 1962):

لقد حقق أصحاب المصالح - بعد تصفية الجيش الجزائري في تونس - عدة أهداف، تخدم في أكثرها مصلحة الاستعمار، وأهمها:

1) وضع حد لتهريب الأسلحة عبر الحدود الليبية والتونسية، وهذا اقتضى مشاورات، وترتيبات بين وفد الجبهة في القاهرة ولجنة التنسيق والتنفيذ في تونس، والسلطات التونسية،[2]وهذا عجل باعتماد وزارة للتسليح، استمرت في عملها ضمن الحكومة المؤقتة إلى عام 1962،[3]وواجهت صعوبة في إيصال السلاح إلى الداخل عبر القاعدة الشرقية بالخصوص.[4]

2) اغتنام فرنسا فرصة تصفية الجيش الجزائري (جيش السوافة) في تونس ما بين (1957-1958)،وأنشأت خط موريس،[5] المحكم لمنع تسرب السلاح والمساعدات

---

1 - مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 35 -42.

2 - أنظر: أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص ص 245- 420.

3 - **وزير التسليح:** حددت لجنة التنسيق والتنفيذ مهام أعضاء اللجنة، وعينت في أفريل 1958 عمار أوعمران بملف التسليح، وخلفه محمد الشريف في سبتمبر 1958 وزيرا للتسليح والتموين في الحكومة المؤقتة. وعين بعده عبد الحفيظ بوالصوف وزيرا للتسليح والاتصالات العامة ما بين 1959-1962. أنظر: بن يوسف بن خدة: **نهاية حرب التحرير في الجزائر اتفاقيات ايفيان،** تعريب لحسن زغدار ومحل العين جبائلي، ومراجعة عبد الحكيم بن الشيخ الحسين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987، ص ص 51-54.

4 - **القاعدة الشرقية:** هي منطقة في الجزء الشمالي الشرقي من الجزائر، يحدها البحر المتوسط شمالا، ومدينتا تبسة وسدراتة جنوبا، وعنابة وقالمة غربا، ومن الشرق الحدود التونسية، ويحاذيها، بداية من أم الطبول شمالا ومرورا بغار الدماء، والكاف، وساقية سيدي يوسف، وحتى الرديف جنوبا. وعرفت بهذا الاسم بعد مؤتمر الصومام، واضطلعت بمهمة إيصال السلاح من تونس إلى داخل الجزائر، وكانت تجمع المجاهدين من مختلف أنحاء الوطن أنظر: عمار قليل: **ملحمة الجزائر الجديدة،** دار البعث، ط1، قسنطينة - الجزائر، 1991، ج2، ص ص 59-63.

5 - **خط موريس:** أصدر وزير الدفاع الفرنسي أندري موريس، قراره في 20 جوان 1957، بإنشاء خط دفاعي طويل، ومكهرب، يمتد على طول الحدود الجزائرية، لمنع حركة تمويل الثورة بالسلاح من الخارج من تونس وليبيا، واستمر العمل في انجازه إلى مارس 1958، ودعم بالألغام. ويمتد في الناحية الشرقية محاذيا للحدود التونسية من الجنوب=

للثورة عبر تونس، ولكن الثوار استمروا في ترحيل السلاح، وظهر فشل الخط في منعهم، فعملت على إحداث منطقة محرمة على السكان وراء الخط، منذ 19 فيفري 1958، وتمتد من الشمال إلى الصحراء، وطبقت سياسة الأرض المحروقة بعد إجلاء السكان حتى يجد الجيش الفرنسي سهولة في مراقبتها، ولا يستطيع جيش التحرير أن يستغلها للإقامة أو التموين. [1]ثم دعمت ذلك ببناء «خط شال»[2] خلف الخط الأول، ويقع شرقه موازيا للحدود التونسية، التي كان مواطنوها متعاونين مع الجزائريين إلى أبعد الحدود.

3) التصدي للمواطنين التونسيين المتعاونين مع المجاهدين الجزائريين، وقص الصلة بين الشعبين الشقيقين، وبدأت القوات الفرنسية تتحرش بالبلاد التونسية في مطلع 1958، بدعوى «حق التتبع» للخارجين عن القانون في الأراضي التونسية، وأعلن لاكوست في قسنطينة خلال شهر فيفري أن فرنسا ستنتصر في معركة الحدود، وأقدمت على عملية إجرامية في 8 فيفري 1958، بقصف ساقية سيدي يوسف بالطيران، نخربتها، واعتدت على مدنيين عزل من الجزائريين والتونسيين، فيهم الشيوخ والأطفال والنساء، وسقط وقتل نحو ألف وخمسمائة شخص، وهذا من أجل إدخال الرعب في صفوف المجاهدين، والمواطنين التونسيين، والضغط على الحكومة التونسية، وإجبارها على خدمة أهداف الاستعمار ضد الجزائر وحرية شعبها، وخنق الثورة التحريرية. [3]

= إلى الشمال، انطلاقا من حدود وادي سوف مرورا ببئر العاتر وتبسة والكويف، وسوق اهراس حتى يصل حدود عنابة أنظر:جمال قندل: **خطا موريس وشال على الحدود الجزائرية التونسية وتأثيراتهما على الثورة الجزائرية 1957-1962**، دار الضياء، ط1، الجزائر، فيفري 2006، ص ص 43-47. عمار قليل، المصدر السابق، ص 67.

[1] - أنظر: يحي بوعزيز: ثورا ت الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 380.

[2] - **خط شـال:** نسبة إلى الجنرال شال، قائد القوات الفرنسية في الجزائر، وتم إنشاؤه في فيفري 1959، ويمتد من البحر المتوسط مرورا بأم الطبول، وشرق القالة، وسوق اهراس، وشرق تبسة إلى حدود وادي سوف.، أنظر، عمار قليل، المصدر السابق، ج2، ص ص67-68.

[3] - أنظر: يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 379. عمار قليل، المصدر السابق، ص 75.

4) التأكيد الفرنسي على تأمين المناطق الصحراوية والحدودية في تونس والجزائر، حتى تستثمر البترول الجزائري بسهولة، وتزيل خطر الثورة من طريقها، وقد أشارت السياسة الديغولية إلى ذلك الهدف، عندما أعلن " دولفربيه" مندوب ديغول في الجزائر في 10 مارس 1959: (هنا ثورتان تجريان اليوم في الجزائر، أولها هي ثورة البترول والغاز في الصحراء، والثانية هي هذا المجهود الذي لم يسبق له مثيل في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والبشرية والتي تريد فرنسا أن تقضي بها على المشاكل التي أوجدت حركة الثورة الجزائرية حتى تصبح هذه الثورة غير ذات موضوع). [1]وأكد ديغول عند عرضه لمشروع تقرير المصير في 16 سبتمبر 1959، التمسك الفرنسي بالصحراء إلى الأبد، حتى تكون شريانا لحياة فرنسا والغرب عموما، وهذا ما قاله:

(... ومن جهة أخرى ستتخذ جميع الاحتياطات حتى يكون استثمار البترول الصحراوي الذي هو من عمل فرنسا الذي يهم الغرب، أمرا مضمونا مهما تكن الأحوال).[2]ويومئذ دفع تونس لتؤازر مشروعه، وهي مكبلة باتفاقيتها مع النظام الجديد في منحه الاستقلال.

5) اتفاق تونس مع فرنسا على عبور البترول الجزائري من الصحراء، ويمتد داخل الأراضي التونسية،[3] مقابل التضييق المشترك بين تونس وفرنسا على جيش التحرير الجزائري في كامل المناطق الحدودية من نقرين إلى ليبيا، وأطلق المجاهدون على الصفقة اسم ‹‹الخبز المسموم››[4]رغم أن الرئيس التونسي أكد عقب الاعتداء الفرنسي

---

[1] - بسام العسلي: **الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائرية**، دار النفائس، ط 1، بيروت، 1984، ص 100.

[2] - عمر العرباوي: **الاعتصام بالإسلام**، مطبعة اللغتين، ط 1، الجزائر، 1982، ص 238.

[3] - **اتفاقية تحويل البترول:** أبرمت تونس اتفاقية مع فرنسا في جوان 1958 لتحويل البترول الجزائري عبر أنبوب النفط من آبار إيجيلي بالجزائر مرورا بتونس لتصديره بميناء الصخيرة بقابس. أنظر: اسماعيل دبش، **السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية1954-1962**، دار هومة، الجزائر، 2000، ص 110.

[4] - أنظر: الحبيب جراية: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، محاضرة مخطوطة، قدمت بندوة مشتركة بين الجمعية الوطنية الثقافية محمد الأمين العمودي، والمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء بالوادي، حول تاريخ الثورة بالمنطقة في شهر نوفمبر 1994، ص 12.

على ساقية سيدي يوسف(فبراير 1958) بقوله: «أن الحرية مسبقة على الخبز».[1] ولكن جبهة التحرير ردت على الاتفاق الذي تناسى الجرائم الفرنسية، وتمسك بالصحراء الجزائرية، وفضل الجانب المادي على الحرية،[2] والأولى في تلك الظروف، التضحية بالفوائد المالية من أجل نصرة القضية الجزائرية.[3]

وأثناء تلك الأحداث المتوالية، كانت حالة جنود الطالب العربي(جيش السوافة) وبقية الجزائريين المعتقلين في السجون التونسية، يعيشون المعاناة والعنت، وبعد خروجهم من السجون، وجدوا الدعاية المغرضة، المروجة في تونس بأنهم «قومية» من جيش فرنسا، حتى يتم حصارهم ولا يقدم لهم أحد يد المساعدة.[4] ولما انتقلوا إلى الجزائر، اندمجوا في الجيش بأوراس النمامشة، وكانوا ينظرون إلى السوافة، بأنهم مشبوهين عند النظام الثوري، ومن يحتج على المعاملة يعتبر من المشوشين، وهذا اضطرهم إلى الانضواء تحت قيادة رجل من النمامشة يدعى محمد هنين،[5] وآخر يدعى قدور جلالي، وغيرهم. واندمجت تلك المجموعات(السوفية) في القتال لعبور خط موريس وضرب قواته المتربصة، واستمر ذلك إلى نهاية ديسمبر 1958. ولما استشهد قائدهم قدور جلالي في جانفي 1959، تولى القيادة عبد الله بن أحمد، فطلبوا منه إرسال دورية من السوافة إلى صحراء وادي سوف المحاذية لموقعهم الحربي، لتفقد أحوال المواطنين وتوعيتهم وتجنيدهم، وجلب المئونة للجيش، وشرعوا في تنظيم تلك الدوريات إلى ماي 1959،[6] وكللت جهودها بالنجاح، ومهدت لإعادة جيش

---

[1] - أنظر: جريدة المجاهد، العدد 27، الجزائر، 22 جويلية 1958، ص05.

[2] - ورد في تصريح جبهة التحرير ما يلي:نحن لا ننازع في أن مد الأنابيب البترولية من تونس سوف تستفيد منه البلاد التونسية بما لا يقل عن مليار فرنك فرنسي سنويا، ولكن نعتقد أن تونس تستطيع أن تضحي بهذا المليار في سبيل انتصار الجزائر. أنظر: جريدة المجاهد، العدد 27، الجزائر، 22 جويلية 1958، ص05.

[3] - أنظر: إسماعيل دبش، المرجع السابق، ص 110.

[4] - مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص38.

[5] - أنظر: مذكرات المجاهد حمتين مبروك، ص ص 67-68.

[6] - مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص42.

السوافة إلى سالف عهده، ولكن بالصحراء الشرقية الجزائرية، المحاذية لوادي سوف، وضمن نطاقها الجغرافي القريب، وذلك مكن الثوار من التعامل مع إخوانهم من البدو في صحراء وادي سوف.

التنظيم المدني بوادي سوف
(1955- 1957)

المقدمة:

كانت منطقة وادي سوف - ومنذ معركة حاسي خليفة – تشتعل ناراً، وتتقد ثورة وكفاحا، وخلال سنة كاملة وحتى جانفي 1956، انطلق أبناؤها من أوراس النمامشة، ونظموا دوريات عسكرية، بإذن من القيادة، حددت مهمتها في تدعيم الثورة بما تحتاجه من مال ومؤونة، وسلاح، مع تجنيد الشباب في صفوف الثورة.

وكانت تلك الدوريات، عند قدومها لوادي سوف، وتنقلها في الأحياء والقرى، تضطر إلى الاشتباك مع القوات الفرنسية، بسبب الوشايات، وتربص الخونة بالمجاهدين، وإحصاء حركاتهم الظاهرة والخفية. ونجم عن تلك الأخبار، حدوث خمس معارك كبرى، لقن فيها المجاهدون دروسا بليغة للاستعمار، لن ينساها أبد الدهر. وكان رد فعله شديدا، بحصار وادي سوف، ومنع سكانها من القيام بدورهم في الثورة التحريرية.

ولما تسلم الطالب العربي قمودي قيادة جيش الحدود، 12 فيفري 1956، اتخذ من قرية الرديف قاعدة لقيادة جيشه، نظرا لوجود جالية جزائرية كبيرة. وكان اعتماده الكلي على التنظيم المدني[1]السري بوادي سوف.

1-التنظيم المدني بوادي سوف(مارس 1956- أفريل 1957):

كانت مدة النظام السري في عهد الطالب العربي قصيرة، لم تتجاوز السنة الواحدة، ولكنها أتت أكلها أضعافا مضاعفة، واستطاع النظام إثبات وجود أهل سوف في

[1] - **التنظيم المدني:** يطلق عليه في الكتابات عبارات متعددة، منها النظام المدني، أو المنظمة المدنية، وكلها لمدلول واحد وهو التنظيم السري للثورة في منطقة وادي سوف، والذي كان مكونا من خلايا الإسناد والدعم لجيش الحدود، والثورة عموما بكل هياكلها.

الميدان وأعطى صورة حقيقية عن تضحياتهم الجسام:

أ-تأسيس التنظيم المدني:

يعتبر التنظيم المدني القديم رصيدا للثورة، وهو التنظيم الذي عرفته خلايا حزب الشعب الجزائري بوادي سوف، منذ منتصف الأربعينيات، واستمر في إطار المنظمة الخاصة التي حلت عام 1950 وانتهى معها النظام في تلك المرحلة الخطيرة من حياة الحركة الوطنية. ولما حلت سنة 1955، كانت الحاجة ماسة لتدعيم الثورة بالمنطقة ونواحيها، فتم إحياء النظام من جديد. [1]

ويرجع الفضل في تأسيسه إلى المجاهد الطالب العربي قمودي، والذي قام بعدة زيارات إلى المنطقة، وبتكليف من قائد جيش الحدود الجيلاني بن عمر. [2] وخلالها هيأ الظروف، وخصوصا عند زيارته للمنطقة يوم 7 سبتمبر 1955، حين نزل عند خاله الحاج البشير غربي[3] في حاسي خليفة، وكان الهدف من الزيارة هو:

- الاطلاع على الوضع العام بوادي سوف بعد معركة غوط شيكة الدموية، وما تبعها من انتقام استعماري بالسكان العزل.

- بث الروح الوطنية، وتشجيع المناضلين على مواصلة العمل، وتجنيد المزيد من المجاهدين، المستعدين للقتال والفداء.

---

[1] - عبد الحميد بسر، **شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف**، دار سامي، الوادي – الجزائر، 2020، ص 55.

[2] - علي عون، التصفية القاعدية للنظام بوادي سوف 4 رمضان 1957، **محاضرة** ألقيت بمناسبة الندوة الفكرية السادسة للجمعية الثقافية محمد الأمين العمودي أيام 30-29 أفريل، 1 ماي 1993، بقاعة البلدية للمحاضرات، الوادي-الجزائر، توجد ضمن مدونة الملتقى المرقونة، ص 9.

[3] - **الحاج البشير غربي:** ولد عام 1902 بحاسي خليفة، حفظ القرآن الكريم في صباه، وتم تعيينه من السكان إماما لهم في مسجد عمرة، إحد ضواحي حاسي خليفة، فكسب ثقة المصلين في الحي وربطهم بالحركة الوطنية. وعندما انضم للثورة عام 1955، كان نشطا في النضال السري، مما جعل القيادة تكلفه بالمسؤولية الأساسية للنظام المدني في وادي سوف قاطبة. فقام بالأمر خير قيام. ولكن اكتشف أمره عام 1957، فاعتقل وعذب، وأعدم بين الكثبان رميا بالرصاص في مجازر رمضان 1957. أنظر، سعد العمامرة، الجيلاني العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص ص 118-119.

- وضع بذرة التنظيم المدني السري، الذي يدعم الثورة بما تحتاجه من تمويل مادي وبشري.

وكان الطالب العربي يتنقل في المنطقة بدون وجل، ولكن أمره كشف وهو يتجول في سوق مدينة الوادي، وعلم بملاحقته من عيون الاستعمار، فخرج مسرعا، وهو خائف يترقب، ويحذر من فتك عدوه. وسلك الطريق الأقرب نحو الطريفاوي، وانتقل منها إلى الزقم، ومر بالدبيلة، ووصل أخيرا إلى بلدة المقرن، ونزل عند المسؤول المدني المناضل حمي بلقاسم، وبقي عنده مختفيا ثلاثة أيام، ثم اتجه نحو حاسي خليفة ونزل في غوط علي بالشيحي والصادق بكيني، وكان بعيدا عن العمران والأنظار. ومكث مدة أطول، وصلت إلى 17 يوما، وكان يلتقي بمناضلي الخلية السرية برئاسة خاله الحاج البشير غربي، ويعطيهم التوجيهات، ويبلغهم التعليمات التنظيمية التي تحمي التنظيم من المخاطر، ولاسيما أنه كان في بداية التأسيس. [1]

أما الدور الثاني الذي أخذ فيه التنظيم صفته الرسمية، فكان بعد تولي الطالب العربي قيادة الجيش في فيفري 1956، وفور استلامه القيادة، شرع في وضع أسس تنظيم صفوف جيشه، وعمل على التواصل مع المناضلين بوادي سوف. وتذكر بعض المراجع عن قيامه بزيارة سرية خاطفة وإشرافه على الأمر بنفسه. [2]وتذكر آراء أخرى أن ذلك تم بتكليف خاله إمام مسجد عمرة بحاسي خليفة الحاج البشير غربي، فتولى الإشراف على التنظيم.[3] وتم استدعاءه إلى الرديف في مارس 1956 رفقة حمي بلقاسم الذي جعله نائبا لرئيس التنظيم، وقدم لهما كل التعليمات الضرورية. [4]

---

[1] - عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 207-206.

[2] - صباح هارون وآخرون، مجازر أفريل 1957م/ رمضان 1376هـ بوادي سوف وانعكاساتها على المنطقة، مذكرة ليسانس في التاريخ، إشراف الدكتور علي غنابزية، المركز الجامعي بالوادي، 2010-2009، ص 30.

[3] - عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص ص 208-207.

[4] - صباح هارون وآخرون، المرجع السابق، ص 31.

ب-هيكلة التنظيم المدني السري:

شرع مسؤول التنظيم البشير غربي وبمساعدة نائبه حمي بلقاسم في مراجعة تكوين الخلايا السرية في مختلف مدن وقرى وادي سوف، بتعيين مسؤول النظام في القرية. وتتكون كل خلية من مسؤول وخمسة أعضاء، أغلبهم من وجهاء وأعيان وادي سوف من مقدمي الزوايا والأئمة والمعلمين والتجار، فضلا عن الفلاحين والعمال. والوجهاء لهم مكانتهم التي أهلتهم للقيادة، واتصالهم السهل والآمن بالسكان.[1] ووصل عدد الخلايا في إحصائية أولية إلى (20خلية) في وادي سوف، كما هو محدد في الجدول التالي:

الرقم	اسم مسؤول الخلية	المنطقة	الرقم	اسم مسؤول الخلية	المنطقة
01	الحاج البشير غربي	**حاسي خليفة**	**11**	محي الدين ينبوعي	تغزوت
02	حمي بلقاسم	**المقرن**	**12**	علي بن اعمارة (شيدة)	الدبيلة
03	البشير بن موسى	**الوادي**	**13**	عبد الرحمان معمري	الزقم
04	شوشان سلطاني	**البياضة**	**14**	بلقاسم دردقة	ليزيرق
05	العربي بني	**قمار**	**15**	الطاهر تجيني	البهيمة- حساني عبد الكريم
06	البشير جاب الله	**الرقيبة**	**16**	الصغير قابوسة	الدريميني
07	علية العزوزي أو حوامدي الجديد	**الطريفاوي**	**17**	الطالب عمار حامدي	الجديدة
08	البشير تونسي	**الرباح**	**18**	الساسي بن رزق حوامدي	خبنة الطريفاوي
09	حسين حمادي	**النخلة**	**19**	امحمد محدة	وادي العلندة اميه ونسة
10	بن اعمارة فرحات (بوريقة)	كوينين	**20**	الجموعي تريكي	ورماس

جدول خلايا التنظيم بوادي سوف[2]

[1] - صباح هارون وآخرون، المرجع السابق، ص ص 32-31.

[2] - عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص 65-62.

كما تم الاتصال منذ عام 1955، وبتكليف من الطالب العربي، بالشيخ أحمد التجاني التماسيني، لتنظيم الخلايا السرية بوادي ريغ، وكلل الطلب بالقبول، وكلف السيد محمد الصالح مسغوني[1] أصيل سوف فقام بالأمر خير قيام، وكان صلة الربط بين الطرفين(تقرت والوادي). كما وسع تأسيس الخلايا في منطقتي جامعة والمغير، وكلف بهما الطيب بوزقاق ومحمد بسرة، فقاموا بمهمتهم في جمع المال على أحسن حال. [2] وربطت منطقة ورقلة بالتنظيم عن طريق عبد القادر بن الطيب زبيدي[3] أصيل سوف، فأشرف على التسيير والرعاية إلى يوم استشهاده في نفس المهام، فكان شهيد التنظيم في ورقلة. [4]

ج- مهام خلايا التنظيم والاتصالات بين المسؤولين:

- مهام الخلايا ونشاطاتها:

- جمع ما تحتاجه الثورة من أموال، وكانت في البداية خاضعة للمبادرات والتطوع، ثم صارت اشتراكات دورية منتظمة، ومدعمة بوصولات إثبات المساهمة. [5] ثم

---

[1] - **محمد الصالح مسغوني:** ولد بالوادي عام 1928، وعاش في صغره بالرقيبة، وحفظ القرآن، وكانت أسرته متوسطة الحال تشتغل في الزراعة والتجارة. وصار مناضلا في حزب الشعب، وانتقل عام 1949 إلى مدينة تقرت، والتحق بالثورة عام 1955، وصار مسؤول التنظيم في وادي ريغ، ولما اكتشف التنظيم لم يطله الاعتقال، لأنه اسمه الثوري غطى عليه، وهوالحاج الرقيبي. عمل بعد ذلك مع نصرات حشاني عام 1958، اعتقل في نوفمبر 1961 وبقي مسجونا إلى افريل 1962. مارس التجارة بعد الاستقلال وتوفي بتقرت يوم 15 نوفمبر 2014، ودفن بالوادي. أنظر:عبد الحميد بسر، **الامجاد من أبناء سوف**، دار سامي، الوادي – الجزائر، 2019، ج1، ص 226.

[2] - عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 207.عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 225.

[3] - **عبد القادر زبيدي:** ولد بالوادي عام 1897، حفظ القرآن، وكانت أسرته تشتغل في الزراعة والتجارة. وكانت تجارتهم تصل إلى منطقتي أدرار وتوات، فاستقر عبد القادر في مدينة ورقلة حتى يتسنى له الإشراف على تسييرها بسهولة. التحق بالثورة عام 1955، وصار مسؤول التنظيم في ورقلة، ولما اكتشف أمره أعتقل مع زملائه الثلاثة، ونفذ فيهم حكم الإعدام في افريل 1957. أنظر:عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 220-219.

[4] - عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 219. عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص 207.

[5] - عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص 68.

أصبحت تؤخذ بالقوة ممن كان شحيحا على الثورة وخصوصا من أصحاب المال، ويصادر جزء من أملاكه كالجمال، ولا ترجع له حتى يسدد ما عليه من اشتراكات. [1]

- التكفل بأسر المجاهدين والشهداء والمساجين، وتزويدهم بالمساعدات المالية، التي يتسلموها من التنظيم الداخلي بوادي سوف، أو من القيادة في تونس. [2]

- جمع الأخبار الهامة حول العدو، وكلف بهذا الجهاز المناضل محمد السروطي المدعو العبسي، ومقره بمدينة الوادي، وبعد جمعها ترسل إلى القيادة في جبل بوهلال. كما يتم جلب المنشورات والتوجيهات، ونقل الرسائل، وكله لتحصين الثورة، والمحافظة على سلامتها.

- نظام الاتصالات داخل التنظيم:

أحبكت القيادة تنظيمها السري، فوزعته إلى خلايا، والتي تعتبر أصغر وحدة في التنظيم، ويتم الاتصال بالمسؤول، وكل في حدود اختصاصه، وفي مكان نشاطه.

أما على المستوى المحلي، فالمسؤول العام هو الحاج البشير غربي الساكن في بلدة عمرة بحاسي خليفة، وهو الذي تتجمع عنده الأموال والأخبار. وزيادة في تأمين التنظيم وأفراده. قسمت وادي سوف إلى نواحي أربع، عين على كل واحدة منها مسؤولا، تتجمع عنده الأموال والأخبار، ويبلغها بدوره إلى البشير غربي. وكذلك الاتصال بالمناطق خارج المنطقة من وادي ريغ (تقرت – تماسين – جامعة - المغير)، فتتجمع عند محمد الصالح مسغوني، ويرسلها بدوره إلى حمي بلقاسم بالمقرن، أو يتم اللقاء بين الطرفين في زاوية تماسين تحت غطاء الزيارة الروحية، وحينها تتبادل المعلومات، ويتم التشاور عن كل المستجدات، وتبلغ الأموال. [3]

---

[1] - صباح هارون وآخرون، المرجع السابق، ص 33.

[2] - علي عون، المرجع السابق، ص 912.

[3] - عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص ص 77-70.

كما قام المجاهد عبد القادر زبيدي بنفس الدور في ورقلة، وظل على صلته المتينة بالقيادة في الوادي إلى يوم استشهاده. [1]

أما الاتصال بالقيادة خارج المنطقة، وتبليغها الأموال، وجلب المنشورات، وتلقي الأخبار أو تبليغها، فقد وضع له ترتيبه الخاص، وتعدد أعضاء الاتصال:

أما في بادئ الأمر عام 1955، فكان عضو الاتصال هو المناضل الجيلاني عوينات، الذي ينقل الأموال إلى مركز القيادة ويضبطها مقابل وصولات مختومة بطابع حيش التحرير الوطني. ويجلب معه المنح المخصصة لعائلات الشهداء والمجاهدين والسجناء.[2]

كما تم اختيار رجال أقوياء، لهم خبرة بمسالك الصحراء، ولهم فطانة مكنتهم من الإفلات من الرقابة العسكرية في منطقة الحدود، وكانوا يتناوبون في أداء مهمتهم. وتدوم الرحلة الواحدة 15 يوما ذهابا وإيابا مع الإقامة، مع حساب ظروف الطريق التي لا تتجاوز ليلتين على الأكثر. وكان فوج الاتصال مكون من السادة: غبش السايح بن الطاهر، ومصطفى بن لخضر غربي، والضيف بن علي الشيحي، واعمارة بن العربي غربي. [3]

ولما تولى الطالب العربي القيادة، كان عضو الاتصال المكلف بنقل الأموال هو المناضل عبد الكريم خطاب، ينقلها إلى مركز القيادة بالرديف، ومنها إلى مركز الجيش بجبل بوهلال. وتأمينا للاتصالات، حدث تعاون المناضل مع شيخ الربايع البشير لحيم، الذي منحه رخصة مرور خاصة، كما هي توصيات الطالب العربي. [4]

[1] - عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 220.

[2] - عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص 69.

[3] - علي عون، المرجع السابق، ص 11.

[4] - عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص ص 71-70.

د-اكتشاف التنظيم المدني:

أمام الأعمال الثورية المكثفة، والمعارك الدموية، وحركة المجاهدين المتواصلة، وتجنيد المزيد من الشباب، كل ذلك طرح عدة تساؤلات لدى السلطات العسكرية الفرنسية ومخابراتها، والتي تأكدت من وجود إسناد شعبي، ودعم قوي للثورة. ورغم المراكز العسكرية المنتشرة داخل النسيج العمراني بوادي سوف، بقي النشاط السري متواصلا، الأمر الذي جعل السلطات تتغاضى عنه مدة من الزمن، حتى يتسنى لها كشف كل الخيوط، وتضرب بقوة على أقطاب التنظيم الأساسية. [1]

كما أن الظروف المختلفة في وادي سوف وداخل جيش الحدود، كانت كفيلة بكشف التنظيم، وتحديد محوره، وصارت الأمور تحت سمع وبصر مركز لاصاص بالدبيلة بقيادة الملازم «لوكار»، والسفاح «بيردو». ولكن الأسباب الحقيقية للكشف تبقى خفية في غياب الوثائق، وهذا جعل الأخبار متعددة، والآراء مختلفة وربما متضاربة، لأن سرية التنظيم، جعلت الاكتشاف يكتنفه الغموض، ونُسجت حوله القصص والمغامرات. ويمكن الوقوف عند السببين التاليين:

- **الرأي الأول:** - ونراه الأرجح - وتمثل في وصول الخبر إلى السلطات الاستعمارية من أحد الخونة الذي دُسَّ في جيش الطالب العربي في تونس، ولما تمكن من جمع المعلومات المطلوبة، هرب خفية من الجيش، ولحق سالما بالجيش الفرنسي في منطقة «رمادة»، ونقل بواسطة طائرة «الهليكوبتر» إلى ملحقة الوادي، وفيها قدم للسلطات كل ما جمعه من أسرار، وما سمعه من أخبار حول التنظيم السري. [2]

وحتى تغطي السلطات الاستعمارية عن عونها، اختلقت سببا آخر، فاعتقلت رجلا مجهول الهوية يدعى غريب عبد الكامل، قيل يسكن في حاسي خليفة، وعرضته للتعذيب في مركز الدبيلة، وأوهمت الناس بالخارج بتعذيبه وضربه ضربا شديدا، وكان الضرب فعليا ولكن حول العجلة المطاطية، ومثل أحد القومية بصراخه الشديد، حالة

---

[1] - السجل الذهبي، المرجع السابق، ص 53.

[2] - عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص 83.

التأثر عند هذا الخائن. ثم خرج القومية وذكروا للناس أن غريب اعترف بالتنظيم السري.[1] ويظهر من سياق هذه القصة أصابع الاستعمار الذي يُظهر - كذبا وبهتانا - أن في صفوف المجاهدين بعض الخونة للثورة ورجالها، وهم في خدمة فرنسا.

- **الرأي الثاني:** ويعتقد -أصحابه - أن السبب يعود إلى الخلافات داخل التنظيم، والتي تطورت إلى معارضة مسؤول التنظيم الحاج البشير غربي، وتعدى ذلك إلى طلب المناضلين من الطالب العربي عزل المسؤول، وتعيين من يخلفه. وقد استجاب لذلك وأرسل فوجا متكونا من المجاهدين: محمد الناوي، سعد خوازم، منصور بلابل، بابا لخضر، وطلب منهم استقدام البشير غربي، وإن رفض تستعمل القوة ضده ولو أدى ذلك إلى قتله.[2] فلما وصل الفوج المكلف بالعملية إلى مكان يدعى « الحلة » بلغهم خبر اكتشاف التنظيم واعتقال الحاج البشير غربي. [3]

وانتشرت الأخبار المشككة في نية وإخلاص الحاج البشير غربي، ولاشك أن المخابرات الفرنسية عملت عملها، وأظهرت هذا المجاهد الشهم متواطئا مع المستعمر، يستقبل الجنود والخونة في بيته، واستغل أموال التنظيم في مصالحه الشخصية، حتى بلغ درجة من الثراء على حساب الثورة! [4] وهي لعمري محض افتراء في حق هذا الرمز، وكلها نسيج مخابراتي محبك الصنعة، من أجل بث الشك في النفوس، وتأجيج الحرب النفسية، حتى تجعل المجتمع ينفض من الثورة ورجالها.

ولكن الذي حدث هو اكتشاف التنظيم، والشروع في العقاب الواسع الذي مس الشعب والثورة معا، وظهر في مجازر أفريل 1957.

---

[1] - لقاء مع أحمد خراز ببيته في حي المصاعبة بالوادي يوم 2 نوفمبر 1994. صباح هارون وآخرون، المرجع السابق، ص38.

[2] - هذه الرواية سمعتها من محمد الناوي في متحف المجاهد عام 2007.

[3] - مداخلة محمد الناوي، في ندوة "الذكرى الخمسون لمجازر رمضان 1957" بمتحف المجاهد بالوادي، السبت 28 أفريل 2007، التاسعة والنصف صباحا. أنظر: عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص214.

[4] - أنظر: عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص214. صباح هارون وآخرون، المرجع السابق، 36.

مجازر رمضان 1376هـ/ أفريل 1957 بوادي سوف
والوحشية الفرنسية

تمهيد:

دخل شهر رمضان يوم الإثنين 1 رمضان 1376 هـ/ الموافق 1 أفريل 1957م، وتزامن ذلك مع اكتشاف فرنسا للتنظيم المدني السري، الذي يعتبر عصب الحياة بالنسبة للثورة في وادي سوف، ولدى حيش الحدود. وحتى تجفف – فرنسا - منابع التنظيم، وتتابع المجاهدين والمناضلين، انتقمت ببشاعة من المجتمع، وسلطت العذاب على أبرز رجاله الأوفياء، وأعيانه الفضلاء، أهل التضحية والإخلاص والفداء. وأقامت مذبحة كبرى، مست خير أبناء سوف، والتي عرفت في التاريخ باسم مجزرة رمضان.

1- الاعتقال الجماعي للمناضلين:

كان يوم الأربعاء 3 أفريل 1957 يوماً عصيبا في بلدة ‹‹عمرة›› بحاسي خليفة، والتي يسكنها مسؤول التنظيم، الحاج البشير غربي، عندما توجهت القيادة العسكرية الفرنسية ممثلة في قائد الحامية بالوادي، وضابط لاصاص لوكار بمركز الدبيلة إلى بيت البشير غربي، وطلبوا منه تسجيل المواطنين في دفتر يشمل عدد الأفراد والحالة الاجتماعية والمهنة لكل مواطن. وأوصى أعوانه بمساعدته في الإحصاء، لأنه رجل طيب يستحق كل مساعدة، وهذا من أجل طمأنته أمام الحاضرين. [1] ولكن الغرض الحقيقي هو جمع معلومات أكثر، وحتى تقارن ذلك بالسجلات التي تسعى من أجل كشفها بعد البحث والتنقيب، والفتك بأصحابها وممارسة التعذيب.

أما يوم الخميس 4 أفريل، فقد شهد عودة قوات خفيفة في الظاهر، طوقت قرية ‹‹عمرة››، وطلبت مواصلة الإحصاء، وكان مع الحاج البشير، ونيسي الأمين، ثم طلبوا

---

[1] - أنظر: علي عون، المرجع السابق، 12.عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص 83.

منهما النزول لتسجيل المواطنين في النزلة الشرقية، ولكنها كانت حيلة، فقادوهما مباشرة إلى مركز لصاص بالدبيلة، لتبدأ عملية التعذيب والاستنطاق، [1] ولاسيما مع رأس التنظيم الحاج البشير، الذي سلطوا عليه أشد أنواع العذاب فضاعة، فاقتلعوا أظفاره، وأسنانه، ومزقوا لحمه بواسطة «الجلم»[2]، وأطلقوا عليه كلابهم تنهش لحمه، ولم تنته العملية إلا بعد اعترافه. [3]

أخذ البشير غربي محاطا بالقوات الفرنسية تتقدمهم عناصر القومية والأعوان، إلى مسجد عمرة - وهذا بعد الاعتراف - لمعاينة المكان، وأخذوا في التفتيش، فعثروا في مبنى المنبر على دفر الاشتراكات، ويحتوي على قوائم المتبرعين. كما وجدوا بعض الأسلحة والمتفجرات. وحينئذ أعتقل ابنه بوبكر غربي، وإخوته وأبناء عمومته. وشرع في الاعتقال الجماعي الذي بدأ بمناضلي حاسي خليفة. [4] ثم عمت بقية مدن وقرى وادي سوف، وتعدتها إلى ناحية المغير وجامعة وتقرت وورقلة.[5]

2-التعذيب الجسدي للمناضلين:

سلط زبانية الاستعمار جام غضبهم على المناضلين، وساموهم أشد أنواع التعذيب شراسة ووحشية، في أجسامهم. وكان التعذيب بالضرب الشديد على مختلف أجزاء الجسد وخصوصا الأماكن الحساسة والتي تتألم بسرعة، ولا يطيق ذلك إلا كبير القلب. كما عذبوهم بالحرق بالنار، والكهرباء. وجر المعتقل بالسيارة العسكرية في الطريق حتى يتناثر جسده إلى قطع صغيرة، كما فعل بالشهيد نصيرة المولدي. كما يعذب المجاهد بالحرمان من النوم، ومنع الأكل والشرب والتجويع المستمر، وغيرها

---

[1] - أنظر: علي عون، المرجع السابق، 12.

[2] - **الجلم:** مقص كبير من الحديد، يستعمل لقص الصوف.

[3] - أنظر: عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص 87-86.

[4] - أنظر: علي عون، المرجع السابق، 12. عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص217.

[5] - أنظر: عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص 87.

من أنواع الإهانة التي تصاحب الاستنطاق، حتى يبوح المعذب بالمزيد من أسماء المناضلين. [1] وحولوا مسجد عمرة إلى مركز للتعذيب والتحقيق والإعدام. [2]

3-الإعدام الجماعي للمعتقلين:

كانت المداهمات الليلية للبيوت على أشدها خلال شهر أفريل، وبعد التعذيب والاستنطاق، يُخرجوا في منتصف الليل عددًا من المناضلين الموقوفين إلى أماكن موغلة في الصحراء بين كثبان الرمال، ويعدموهم، ويدفنوهم تحت الرمال، حتى تبقى قبورهم مجهولة، ويخفوا جرائمهم ولا يتركوا دليلا ماديا على ذلك، وكله إمعانا في الظلم والطغيان. وكان القتل يتم أيضا رميا بالرصاص أو بالمقصلة، أو يدفنون أحياء.[3]

كما يموت المعتقل تحت التعذيب، أو يقتل أمام الأهل زيادة في الإهانة والاجرام.[4] وفي بلدة الرباح أمروهم بحفر قبورهم بأنفسهم في منطقة الدبيديبي، وقتلوهم بداخلها. وأما في بلدة المقرن، فتم إعدامهم أمام الملأ جهارا نهارا في يوم الجمعة في السوق بحضور أغلب السكان، زيادة في التنكيل والوحشية.[5] وفي ورقلة ألقي القبض على المجاهد زبيدي عبد القادر، ورفاقه الثلاثة، عبد القادر المقراني، وعبد القادر جغيلو، وعبد القادر بوضبية،[6] وحكم عليهم بالإعدام، بموجب قرار عسكري، ورموهم أحياء داخل بئر تبعد عن ورقلة سبعة كيلومترات، مكتوفي الأيدي، وأغلقت

---

1 - أنظر: عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص222.عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص 90-89.

2 - أنظر: السجل الذهبي، المرجع السابق، ص54.

3 - أنظر: علي عون، المرجع السابق، 14-13. عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص ص 91-92.

4 - أنظر: عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص217.

5 - أنظر: السجل الذهبي، المرجع السابق، ص54.

6 - سبحان الله القادر القهار، فكل الشهداء الأربعة اسمهم عبد القادر، والله أراد أن نعلم أنه قادر على سلامتهم، ولكن حتى يتخذ منهم شهداء، ودماؤهم هي وقود المعركة، وسبيل الحرية، لأنها تسقى بالدماء الطاهرة النقية.

البئر بالإسمنت المسلح إلى أن لقوا ربهم شهداء عند ربهم يرزقون. [1] ووصل العدد الإجمالي للشهداء، ما بين 62 إلى 100 شهيد. [2]

واستمر الإعدام إلى يوم 26 رمضان، أي ليلة القدر، كأنما هي مراعاة لشعور الناس أيام عيد الفطر. ولكن أي عيد وبأي حال قدم، والحزن خيم على أغلب العائلات والعروش، وعوض الفرح وتبادل التهاني، أضحت المنازل مآتم، فلا تسمع في داخلها إلا النواح والبكاء، وعمت الكآبة كل الأرجاء. [3] وستبقى ذاكرة الأجيال تحكي غطرسة الاستعمار ووحشيته.

4-معاناة المساجين:

كانت عمليات الاعتقال كبيرة، وصل عدد المعتقلين إلى حوالي 400 مناضل ومواطن. [4]وسجن عدد منهم في سجن مدينة الوادي، ولما ضاق السجن أضافوا له (فيلا) دقليون التي كانت أمام الدائرة. [5] كما امتلأت بهم المراكز الأخرى، ومسجد عمرة بحاسي خليفة.

ولاقوا في السجن التعذيب، وعاشوا المعاناة الكبيرة، فكانت الزنزانة الواحدة تسع 12 فرداً، فيجمع فيها أضعافهم عدة مرات، وللمرء أن يتصور الحالة النفسية والجسدية، من الضيق والزحام وانعدام الراحة والنوم. [6] وكذلك أكتشف التنظيم في وادي ريغ، وزج بالمناضلين في السجن، وعذبوا بشدة. وكذلك في منطقة ورقلة، اقتحمت السلطات منزل المجاهد زبيدي عبد القادر، وخربت الممتلكات، ونهبت الأموال، وألقت القبض على والده وابن عمه والكثير من أقاربه، وتم سجنهم وتعذيبهم،

---

[1] - أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 220.

[2] - أنظر: علي عون، المرجع السابق، 14. عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص223.

[3] - أنظر: علي عون، المرجع السابق، 14.

[4] - أنظر: عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص223.

[5] - أنظر: علي عون، المرجع السابق، 13.

[6] - أنظر: عوادي عبد القادر، المرجع السابق، ص221.

ومكثوا في السجن ستة أشهر. [1]

وخلال الاعتقالات، أفرج على الذين لم تثبت عليهم الإدانة في ليلة القدر مقابل غرامة مالية تختلف من فرد لآخر، وتتراوح ما بين 50 إلى 300 ألف فرنك. ومن يتأخر عن الدفع تصادر أملاكه. وأفرج عن البعض بشفاعة خاصة من أقاربهم الموظفين لدى الإدارة الفرنسية. [2]

5-انعكاسات ونتائج المذبحة على مجتمع وادي سوف:

ضرب العدو الفرنسي في عمق الثورة بوادي سوف، وكانت ضربة موجعة، كان أثرها كبيرا على المجتمع، وامتدت إلى شهور متواصلة، حقق فيها المستعمر أهدافه الاستراتيجية القريبة:

- الاعتداء على حرمة المقدسات الدينية ومنها مسجد عمرة الذي حول إلى ثكنة عسكرية، ورفع العلم الفرنسي فوق صومعته، ونقش بالجبس عبارة (مخفر رقم 52 س).[3]وحوصرت المساجد في المدن والقرى الأخرى وضيق على عمارها، وخصوصا في شهر الصيام، وتعطلت الصلاة في بعض المساجد، وحرموا من صلاة الصبح والعشاء والتراويح،[4] كلها زيادة في الظلم والتضييق.

وحولت بعض المدارس إلى ثكنات عسكرية ومعتقلات ومراكز للتعذيب ولاسيما مدرسة الطريفاوي وحاسي خليفة والرباح والرقيبة.[5] وهو سوء التقدير الاستعماري الذي لا يراعي أعرافا، ولا يرحم حتى الأطفال الذين حرموا من التعليم في ذلك الوقت العصيب، ودام وقتا طويلا.

- إعدام عدد من الموظفين العاملين في المصالح الاجتماعية والإدارية الفرنسية،

---

[1] - أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 226-220.

[2] - أنظر: صباح هارون وآخرون، المرجع السابق، ص 48.

[3] - أنظر: علي عون، المرجع السابق، 12.

[4] - أنظر: صباح هارون وآخرون، المرجع السابق، ص 55.

[5] - أنظر: عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص 99.

والذين كانوا سندا للثورة ورصيدا للنضال الوطني. وكانت تلك المناصب مؤمنة لنشاطهم، فلا يتسرب الشك في العمل ضد إرادة فرنسا. وهذا مثل صفعة كبرى للفرنسيين الذين لم يتحكموا في أنفسهم وأعدموا الذين خانوهم بكل وحشية. وهم الشهداء ونيسي الهاشمي وكان موظفا بالبريد ومعه علي عيادي. ومعيزة الطيب وكان عاملا بالسكة الحديدية، ودروني رمضان وكان محاسبا ماليا، وصوالح اعلية العيد وهو شيخ العزازلة، انصيرة المولدي، وكان ممرضا في حاسي خليفة، وعون الله الأمين كان شرطيا بالمقرن. أما الذين سلموا من الإعدام من الموظفين، أجبرهم الحاكم العسكري بتقديم استقالتهم، وفصلوا من العمل نهائيا، وهم ونيسي المولدي، ومحمدي العيد، ونيسي يوسف، وانصيرة الصادق. [1]

- الاعتداء على رموز المجتمع ونخبه المثقفة وعلمائه الأجلاء، الذين حافظوا على احترام المجتمع، ولهم مكانتهم السامية. وكان على رأسهم الامام الحاج البشير غربي، الذي تعرض للإهانة والقتل. والشيخ المعلم الواعي علية العزوزي الذي أعد الشباب ولقنهم الوعي في المدارس التي علم بها، والشيخ المصلح عبد الرحمان معمري بالزقم، ومعه العالم الثوري إبراهيم كلكامي. والشيخ أحمد التجاني من رجال الزاوية التجانية بالبياضة، [2] الذي ربط بين الجانب الروحي والجهادي.

- بث الرعب والهلع في المجتمع، والاعتداء ليلا على البيوت والأعراض والحرمات، وشتم النساء وصفعهن، وتخريب أثاث المنازل، وسرقة الممتلكات، ونهب كل شيء له قيمة.[3] وتم اعتقال المجاهدة مسعودة حمي، والتي نقلت إلى مركز لصاص وخضعت

---

1 - أنظر: علي عون، المرجع السابق، 15-14.

2 - أنظر: عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص 170-149.

3 - أنظر: علي عون، المرجع السابق، 14. صباح هارون وآخرون، المرجع السابق، ص 54-53.

للتعذيب والاستنطاق، وحرق جسدها بالنار(شاليموا) ولكنها بقيت ثابتة[1] وأعطت مثالا للمرأة المضحية في سبيل الله، لتكون شهيدة مجازر رمضان.

لا شك أن المجازر الرهيبة قد أربكت العمل الثوري في وادي سوف، وشلت حركته إلى حين. ولكن الأشد فتكا هو اعتقال الطالب العربي وإعدامه وتصفية جيشه. وحينها ساد ركود كبير، وتعرضت عائلات الشهداء للحاجة والفقر المدقع، ولم يجدوا سندًا ومساعدة إلا من جيرانهم وذويهم أو بعض المناضلين الذين بقوا صامدين، وتحملوا المسؤولية، وبقوا أوفياء لعهودهم، وكأنهم أعادوا النظام من جديد. وهؤلاء كشف المستعمر أمرهم في شهر أكتوبر 1957، وتعرضوا للاعتقال، وارتكب في حقهم مجزرة أخرى، أعدم فيها نحو 72 شهيدا، - حسب روايات المجاهدين، - وما صاحب ذلك من اعتقالات وسجن وتغريم.

استمعت إلى مداخلة الإمام المجاهد عبد الرزاق جاب الله، وهو يروي فصلا هاما من حالة الترهيب والتعذيب التي عاشها في أكتوبر 1957، ولخصتها، وأغلبها مثلما نطقها، كما يلي:

(مجازر رمضان، الناس في محنة، لم نعرف أمرها. أكتوبر 1957، صديقي أخذوه للسجن، فعرفت أنني سألحقه، وبعد ساعة طرق عليَّ الباب، ودخلوا في الحال، وقالوا اعطينا الزمام،[2]وإنك تجمع المال، وإنك من الجماعة الذين قتلوهم في رمضان، نطحوني على الحائط، عذبوني، حرقوني... ثم أخذوني مرابعا[3]إلى لصاص الرباح عند كرنبا.[4] وكلمني بالعربية(يعرف قليلا) قال: اعطينا ازمام ونرجعوك لأهلك، قلت: ليس عندي زمام، حاولوا كثيرا، وكتفوني من كل جهة، وبدأ الضرب والحرق، ويشعل الحطب

---

1 - أنظر: عبد الحميد بسر، شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف، ص 165.

2 - **الزمام:** هو الكراس أو الدفتر الذي يسجل فيه المناضل أسماء الذين دفعوا الاشتراكات للثورة.

3 - **مرابعا:** أي من الايدي والأرجل، وجروه أو حملوه، بسبب فقده الوعي أو عدم تمكنه من المشي.

4 - كورنبا: **Cornebois** هو الضابط العسكري المكلف بمركز لاصاص بالرباح.

ويحرق بالقاروا[1] في بزازيلي[2] وشواط اللحم، [3]حتى كدت اختنق، باكي[4] أو أكثر. ربي رفع عني عذابهم، وصمدت، وأعطاني ربي قوة. وقلت لهم: فكوني حتى أقول لكم، ولم يغب عني شيء. فكُّوني، ثم قلت لهم: الزمام ليس عندي، ولا أكذب على قبطان مثلك، فأرجعوني للعذاب، ربط، إطفاء السجائر في لحمي، والضرب ولم أشعر به، وكذلك الحرق، كل الليل حتى النهار طلع، ثم تركوني فاسترحت قليلا، ثم حاولوا، فقلت ليس معي الزمام، وكان صاحبي يعذبوه ويقل لهم أنا أعطيه وهو يسجل فيه. الماء من الحنفية في مكتبه، وحليت فمي، والذي لا يفتح فمه يفتح بالحديد أو شفرونة[5] فيهدم. فملئت ونفخت. وكنت في حالة موت وحمى. فقلت للجندي، كرني للعافية، [6] واعطيني الماء. فكان أحد القومية درست معه فقدم لي مساعدة. كنا كثيرا، فأخذونا في شاحنة، وأخذونا للخبنة في الصحن، وضعونا 10 متر على بعد كل واحد، أتى كزنبا ومعه قومي، يا طالب (إمام جامع) رام مسلمين عليك والديك، وقالوا اعطيهم الزمام، ونرجعوك. قلت له: إذا قالولك، فقد كذبوا عليك. وأخذونا للنخلة، وأرجعونا للثكنة في سرداب لمدة ثلاثة أشهر. ثم قال لي سأجعلك قومي، فلم أقبل.) أهـ.

---

[1] - **القاروا:** السيجارة.

[2] - **بزازيلي:** أثدائي. التي كانت السيجارة تحرقها.

[3] - **شواط اللحم:** تشم رائحة حرق اللحم.

[4] - **باكي:** علبة سجائر كاملة، تعبير عن المبالغة في الحرق.

[5] - **شفرونة:** قطعة من الخشب.

[6] - **كرِّني للعافية:** أي جرني للنار في موضع التعذيب لعلي أنال شيئا من الدفء، لأنه كان في حمى شديدة، ويحس بالبرد.

الخاتمة:

إن المستعمر لا يفهم الدرس أبداً، لأنه يعتقد أن الحرية يمكن أن يساوم عليها البشر، أو يقهروا حتى يسلموا أمرهم وينصاعوا لنظامه؟ ولكن الحقيقة التاريخية أثبتت أن صاحب الحق لا ينحني بتاتاً، ربما يسقط مضرجا بدمائه، لكنه فور استعادة عافيته يعود إلى الميدان من جديد. وهكذا وقبل تمام دورة العام، استأنف أهل سوف نشاطهم الثوري في جبهتين، أولهما جبهة هي امتداد لجيش الطالب العربي في الحدود، والثانية ضمن الولاية السادسة التاريخية.

النشاط العسكري لمجاهدي وادي سوف وجيش الصحراء

1962-1958

النشاط العسكري بوادي سوف
ونشاطات جيش الصحراء في الجبهة الجنوبية الشرقية
1962 - 1958

تمهيد:

لم تتوقف المعارك والاشتباكات العسكرية بين مجاهدي وادي سوف والقوات العسكرية الفرنسية. ولما تعذر النشاط العسكري داخل إقليم وادي سوف وبين منشآته العمرانية، وجد المجاهدون فضاء واسعا في الحدود الجزائرية التونسية، وعلى امتداد مسافات طويلة تتصل بالحدود الليبية.

وكانت الدوريات العسكرية متتابعة بشكل فعال، وعرف النشاط العسكري باستمراريته وعنفوانه في وادي سوف وأطرافها. ورغم تصفية جيش الحدود بقيادة الطالب العربي، فإن الجيش لم يلبث أن استأنف نشاطه في شكل جديد، عندما أوكلت القيادة إلى الشباب، الذين واصلوا القتال، وقادوا الدوريات العسكرية إلى يوم الاستقلال.

-تأسيس جيش الصحراء وأهدافه:

لم يكن «جيش الصحراء» والذي عرف بين المواطنين باسم «جيش الحبيب الجراية»، [1] سوى حلقة متينة في جيش الحدود الذي قاده الطالب العربي، بل هو امتداد له في مواجهة الطغيان، ووفاء لخطه وانتقاما ممن آذوه.

---

[1] - **الحبيب الجراية:** ولد عام 1935 بالبياضة بوادي سوف، وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ثم بدأ العمل مبكرا في الزراعة والتجارة والرعي، والعيش في الصحراء. كما سافر عدة مرات للعمل في تونس وبعض المدن الجزائرية. ولما اندلعت الثورة انظم لها يوم كان مقيما في أم العرائس بواسطة عمه المجاهد الطالب صالح الجراية. وكانت له عدة مشاركات، ومنها نشاطه في جيش الطالب العربي. أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص ص 294-296.

لقد التأم شمل جنود الجيش القديم في مجموعات ذات قيادات متعددة ودوريات عسكرية متنقلة، وساعدها على المضي قدما نحو الصحراء أمران مهمان:

أولهما، مبادرة المجاهد الحبيب الجراية مع إخوانه على خوض المعارك، والتي تتابعت خلال سنة 1959.

وثانيهما، أوامر القيادة بالتوجه نحو الصحراء، وتم ذلك بعد الاجتماع في أوراس النمامشة مع قائد الأوراس الحاج لخضر، [1] بمعية محمدي السعيد، وأعطى انطلاقة الجيش المتكون من نحو 100 مجاهد، توزعوا إلى أفواج، وتوغلوا في الصحراء الممتدة على طول حدود وادي سوف مع تونس، بداية من صحراء بوعروة، وحتى بير رومان، وغدامس الليبية، وفورسانت آخر الحدود التونسية. وهدف الجيش هو الوصول إلى مواقع الجيش الفرنسي ومناوشته، عند الآبار الصحراوية المترامية الأطراف على مراحل معروفة عند خبراء العرق الشرقي، ومنهم ضمن الجيش، فضلا عن مهاجمة الحاميات العسكرية في الأبراج التي يأوي إليها الحرس الفرنسي، ومعهم المهاري ضمن قوات المخزن [2] الفرنسي بالصحراء.

شرع القائد الحبيب الجراية – بعد اجتماع الأوراس - في تهيئة متطلبات الجيش

---

[1] **العقيد الحاج لخضر:** كان قائدا للولاية الأولى معينا من طرف أعضاء الولاية بعد استشهاد مصطفى بن بولعيد، ثم عين رسميا من القيادة في تونس، واستمر في قيادة الولاية إلى نهاية سنة 1959، عندما استدعته القيادة في تونس للمساهمة في حل الخلاف بين القيادة العسكرية والحكومة المؤقتة، فلبى الحاج لخضر النداء، وترك على قيادة الولاية الأولى المجاهد مرارده مصطفى المدعو بن النوي مصطفى. أنظر: **قبسات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها العقيد الحاج لخضر قائد الولاية الأولى،** شركة الشهاب، باتنة-الجزائر، ب ت، ص ص 182-183.

[2] **المخزن الفرنسي:** يضم عددا من المجندين من الأهالي الذين يمتطون المهاريالجمال، يقودهم ضابط فرنسي، ومهمتهم المحافظة على الأمن وحراسة الحدود، وينتسبون إلى ملحقة الوادي، التي جندتهم في بداية الحرب العالمية الأولى، ووصل عددهم عام 1934 إلى 88 جنديا مخزنيا، وهم في حركة تنقل متواصل بين ثكنة الوادي ومراكز الصحراء في الأبراج. أنظر: :

A N A D.T. S, C: 509. Rapport Annuel de l' Année 1938.

M: ch Lutaud:Exposé de la situation général des territoire du sud de l'Algérie, Année 1914,1915,1916.Alger, p:6.

وتنظيم شؤونه، وتجنيد القادرين على مشقة الصحراء. وانطلق الجيش في مهمته يوم 3 مارس 1959 من منطقة الحدود التونسية الجزائرية، وبالتحديد من تامغزة،[1] وحددت مهامه وأهدافه التالية:

- العمل على ضرب وحدات الاستعمار ومتابعتها، حتى تشمل العمليات كامل أنحاء الوطن.

- الفتك بقوات العدو وبث الرعب والهلع في صفوفه، وتشتيت امكانياته المادية والبشرية، وتحطيم معنويات جنوده، وزعزعة إستقرارهم.

- استدراج أكبر عدد من القوات الفرنسية المتواجدة في الشمال، وإقحامها في معارك الصحراء، وتخفيف الضغط عن منطقة الحدود. حتى تجد الدوريات العسكرية للثورة متنفسا للحركة، وقوة في الكفاح. [2]

- الاتصال بالشعب ولاسيما في وادي سوف، وتشجيعه على الالتفاف بالثورة، وتنظيم خلاياه النضالية، وبث الوعي، وإعطاء التوجيهات، وكله من أجل إسناد الجيش وتموينه واحتضانه، وخصوصا في البيوت وخيام البدو الرحل.

- ضرب المخطط الاستعماري الرامي إلى عزل الصحراء عن الشمال، والاستحواذ على الثروات وأهمها البترول، الذي بدأت تظهر قيمته الاقتصادية والاستراتيجية. [3]

وتنفيذا لتلك الأهداف بادر الجيش - وبعد شهر واحد من تكليفه الرسمي من القيادة – بالنشاط والحركة. وكان الجيش الفرنسي يتهرب من مواجهه هذا الجيش في تلك الظروف التي عرفت عدم استقراره في أماكن أو مراكز معروفه، وكان ينتظر وصول النجدات العسكرية المرتقبة، ليقوم بهجومات نظاميه. [4] ولكن الثوار اغتنموا

---

[1] - **تامغزة:** واحة جبلية تقع في الجنوب الغربي لتونس، بالقرب من توزر.

[2] - نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، المصدر السابق، ص 4..

[3] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، المصدر السابق، ص 4-5. عبد القادر عوادي، المرجع السابق، 299-298.

[4] - نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، المصدر السابق، ص 5.

الفرصة لجس النبض، واختبار قوتهم، وقاموا بأول هجوم مفاجئ ضد الجيش الفرنسي، ثم تتابعت الهجومات منذ افريل 1959 الى نوفمبر 1959. ومرت بأطوار عديدة:

الطور الأول من المعارك: هجومات ومعارك الانطلاق:

إن البداية الموفقة لكل نشاط، هي التي تجعله ناجحا، ويحقق الهدف، ويضمن الاستمرارية، وهذا الذي تم في بداية العمليات الثورية لجيش الصحراء:

1-هجوم بئر العتروس (15 أفريل 1959) أو الاختيار الصعب:

كانت الصحراء مليئة بالآبار التي هي روح البدو ومصدر حياتهم وأنعامهم، وكانت هذه البئر في الحدود قرب بوعروة، وكانت القوات الفرنسية تعسكر في «بئر العتروس»، والذي يضم ثلاث كتائب عسكرية، وعلمت القوات الفرنسية بمكان المجاهدين، فبقيت حذرة تترقب كل المستجدات المباغتة. [1]

وكان عدد المجاهدين 26 مجاهدا. [2] قاموا بالهجوم الليلي على مركز العدو يوم 15 أفريل 1959، حينئذ هرب الفرنسيون، وخلف الهجوم النتائج التالية:

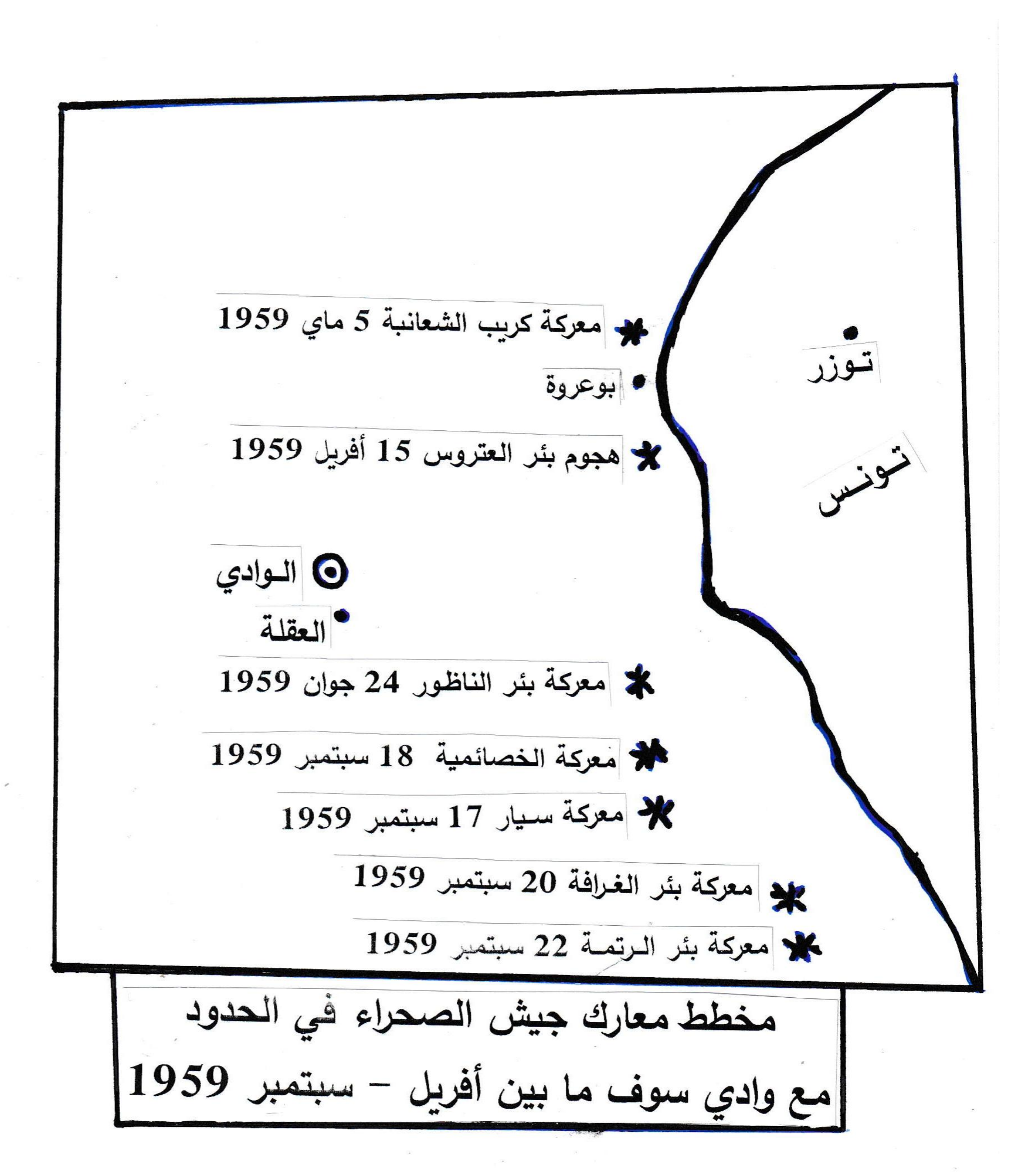
- تدمير بعض قوات وعتاد العدو.
- بث الرعب والفزع في قيادة الجيش الفرنسي.
- التفاف الشعب، واحتضانه للثورة، وتمتين الأواصر، وزيادة الثقة في المجاهدين.[3] وكل ذلك شجع على المضي قدما في الكفاح، ومواجهة القوات الفرنسية أينما حلت في الفضاء الصحراوي الفسيح.

---

[1] - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، 306-307.

[2] - السجل الذهبي، المرجع السابق، ط2021، ص 73.

[3] - نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، المصدر السابق، ص 5.



مخطط معارك جيش الصحراء في الحدود مع وادي سوف ما بين أفريل - سبتمبر 1959

2-معركة كريب الشعانبة (05 ماي 1959) أو إثبات الوجود:

كانت أول معارك هذا الجيش، والتي أحدثت تحولا لدى المجاهدين، وأحيت العمل الثوري في نطاق الصحراء الجنوبية الشرقية:

أ-الظروف العامة قبيل المعركة:

- الحصار الشديد الذي أحكمته السلطات الفرنسية بين الوادي والمناطق الحدودية، والغرض هو منع وصول التموين بالمواد الغذائية لسكان المناطق الصحراوية حتى لا يستفيد منها المجاهدون.

- العمل على ترحيل المواطنين من المنطقة، ومنع تعاونهم مع المجاهدين من جهة، وقطع الاتصال من جهة أخرى، والحيلولة دون بلوغ أخبار الثورة إلى السكان، لأنها ترفع من معنوياتهم، وتشجعهم على الانتماء إلى صفوف الثورة.

- استمرار دوريات المجاهدين في حركتها، والالتقاء مع المواطنين من البدو الرحل، والمساهمة في حل مشاكلهم، ومساعدتهم في أحوالهم الاجتماعية.

- مكوث جيش الحبيب الجراية 17 يوما بمنطقة « كريب الشعانبة» والتفاف البدو بهم، وطلبوا منهم إخبار القوات الفرنسية بمكان وجودهم، حتى يسجلوا وقائع معركة تاريخية مرتقبة، وأصروا على ذلك حتى ينزعوا الخوف والهلع من نفوس السكان، ويشاهدوا عيانا قدرة المجاهدين على القتال، وثقتهم في الله ونصره المبين. [1]

شرعت الدورية في توعية المواطنين سياسيا، وتنصيب المسؤولين المدنيين، وجمع المواد التموينية والتي وصلت إلى حوالي 130 قنطارا من الحبوب، وتمضي من بئر العتروس إلى كريب الشعانبة. ويومئذ قدم عليهم معتوق سعد بن إبراهيم من مدينة الوادي، وأخبرهم أن القائد الفرنسي « بريدو» قد تمركز بقواته في بلدة حاسي خليفة،

[1] - نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، المصدر السابق، ص 5-6.

وهو يعد العدة لملاقاتهم وحربهم. وحينئذ تشاور المجاهدون، وأصروا على انتظاره، وخوض المعركة باستماتة وإباء.

ب-اندلاع المعركة:

- **قوات المجاهدين:** بلغت 15 مجاهدا بقيادة الحبيب الجراية، [1] وأسلحتهم جديدة ومتطورة، وأهمها رشاش بران أنجليزي الصنع، يقاوم الحرارة لاحتوائه على فوهتين، ولم يشارك في المعركة سوى 13 مجاهدا فقط، لأن أثنين منهما كلفا بإخفاء الجمل الوحيد لديهم الذي يحمل المؤونة والذخيرة بإبعاده عن مكان المعركة. [2]

- **قوات الفرنسيين:** تتكون من عدد كبير من الجنود المحمولين على متن 12 شاحنة عسكرية، [3] وأسلحتهم متطورة ومتنوعة، منها الهاون 60 ملم، وسلاح المدفعية، وأربع طائرات مقنبلة، وأخرى كاشفة. [4]

ويمكن تمييز المراحل التالية في المعركة:

- **المرحلة الأولى:** وصف حال الطرفين: في يوم 5 ماي 1959، استيقظ المجاهدون على صوت شاحنات العدو، والتي تقدمت نحوهم، وفي طريقها قصدت خيمة أحد المناضلين من البدو، وقادته نحو ميدان المعركة، واختفت وراءه، ثم أخذت تتقدم نحو الثوار. [5]

ولكن المجاهدين ومنذ الصباح الباكر، نصبوا كمينهم، وتوزعوا إلى أربع جهات، وبمسافات متباعدة، وتواصوا على عدم إطلاق النار، حتى تصل قوات العدو إلى وسط الكمين، واتخذوا شجرة متميزة عن غيرها في نقطة مرتفعة من الأرض، ونصبوا عندها الكمين.

---

[1] - سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 84-85.

[2] عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص ص 310-311.

[3] - سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 85.

[4] عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص311.

[5] - نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، المصدر السابق، ص 7.

- **المرحلة الثانية: اشتباك الطرفين:** لما تأكد العدو بنظاراته الميدانية اختفاء المجاهدين، تحركت قواته نحوهم، بداية من الساعة العاشرة صباحا، عندما أرشدهم رجلان من البدو، هما بلول الصادق والهادي، عن مكان المجاهدين، بأنهم عند تلك الشجرات. حينها تحركت نحوهم ست سيارات، وبقيت الستة الأخرى في الانتظار، وكان قائد جيش العدو « بريدو». وكان اتفاق الثوار أن الضرب يبدأ عند اقتراب العدو في نقطة محددة تبعد حوالي 500م. ولما تم ذلك أطلق قائد المجاهدين الحبيب الجراية النار بواسطة مدفعة الرشاش، ومعه القنابل. [1] فتفاجأ العدو بالخراب الذي مس آلياته، وأتلف أسلحته المختلفة، وسقط عدد معتبر من جنوده بين قتيل وجريح، وانتشر في صفوفهم الفزع والهلع. وحتى ينقذ الموقف عندهم، تدخل سلاح الطيران، ولكن هيهات لم تؤثر شيئا، بل حاولت فك الحصار فقط. واستمرت المعركة إلى وقت الغروب، وأسقط المجاهدون طائرتين في أول النهار، والثالثة بعد الغروب، عندما تصدى لها الحبيب برشاشه الذي حمله على كتف المجاهد عبد القادر رضواني. وأمام هزائم الاستعمار، ورؤية المواطنين لبشائر النصر، تعالت الزغاريد من بيوت البدو، وعمت الفرحة الجميع. [2]

ج-نتائج المعركة:

-**خسائر العدو:** كان عدد القتلى نحو 45 جنديا، منهم ضابط عسكري داخل شاحنته، برتبة ملازم أول تابع لحامية تقرت، وأعداد كبيرة من الجرحى، نقلوا ليلا بواسطة الطائرة العمودية، ومنهم ضابط برتبة ملازم أول نقل إلى مستشفى الوادي،

---

[1] - نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 7. سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 85.

[2] - نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص ص 8-9.

وبعد يومين مات متأثرا بجراحه. وفر النقيب من المعركة، كما تم حرق شاحنة وثلاث طائرات. [1]

-**حالة المجاهدين:** خرجوا من المعركة بدون خسائر تذكر، واتجهوا نحو السكان الذين أكرموهم بالطعام، وعاشوا معهم فرحة النصر، وتأكدوا من صدق المجاهدين قبل المعركة أن النصر - بإذن الله – سوف يكون حليفهم، وتعجبوا كيف خرجوا سالمين، واقتنعوا بل عرفوا قدرة الله، وازدادوا بذلك يقينا أن فرنسا إلى زوال، وصمموا على المضي مع المجاهدين إلى ساعة النصر القادم. [2]

د-انعكاسات معركة كريب الشعانبة:

- كانت المعركة ناجحة، شجعت المجاهدين، ورفعت من معنويات السكان في المنطقة، وفتحت للثورة بابا واسعا من التأييد، فطلبوا من القيادة إرسال كل متطوع ولاسيما من أبناء الصحراء للالتحاق بهم. وفعلا التحقت بهم كتائب الدعم، حتى وصل عدد الجيش في أقصى مراحله إلى حوالي 140 مجاهداً، حسب شهادة قائده الحبيب الجراية والذي تم ترقيته من قبل القيادة العامة إلى رتبة نقيب بسبب حنكته ونجاحه المستمر. [3]

- انسحب الجيش نحو منطقة « الزبار» شمال شرقي الشويشة على بعد بضع كيلومترات من الحدود التونسية المليئة بالأشجار الكثيفة التي تساعدهم على الاختباء والتمويه على الجيش الفرنسي، وخصوصا الطائرات الاستطلاعية. ولكن العدو كان منهزما، فاتصلت فرقة من قوات اللفيف الأجنبي الفرنسية بأحد المواطنين وطلبت منه

---

[1] أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 86. عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص312.

[2] - نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 9.

[3] - عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص321.

توجيه القوات الفرنسية بالاتجاه المعاكس للمجاهدين حتى يجتنبوا الاصطدام وقيام المعارك، بسبب انهيار معنويات الجيش الفرنسي من جراء المعارك السابقة.

- كما حاولت القوات التونسية خداع المجاهدين، حتى تلقي عليهم القبض- مثلما فعلت بجيش الطالب العربي – فجندوا قوات من تونس وقفصة وقابس، وحاولوا تأليب المواطنين التونسيين ضد المجاهدين، وأشعروهم أنهم يشكلون خطرا في المنطقة، لأنهم يحاربون الفرنسين - أصدقاء تونس - ولكن محاولتهم باءت بالفشل، لأن المواطنين التونسيين رفضوا الدخول في ذلك الادعاء. واستطاع أحد أصدقاء الثورة من تونس، إبلاغ ممثل الحكومة المؤقتة بتوزر بتطورات الوضع، وخطورته، وكيف تتحول – إن استمر ذلك - مناطق الحدود إلى معارك بين الجيش التونسي والمجاهدين. وأثمر تدخلهم رجوع القوات التونسية إلى مواقعها داخل حدودهم، لأنهم عجزوا عن المضي في مخططهم السابق. [1]

- استمرت قوات المجاهدين في التوغل داخل الجزائر بموافقة القيادة، وتذكيرها بقضية «الخبر المسموم» والخلافات بين القيادتين التونسية والجزائرية حول اتفاقية عبور البترول في مناطق التراب التونسي بداية من الصحراء الجزائرية، وهي الصفقة التي تمت بين تونس وفرنسا لامتصاص خيرات الشعب الجزائري، ومحاربة المجاهدين الذين يقفون حجر عثرة في طريقهم. وهذا هو سبب المضايقة التونسية للثوار في الأراضي الجزائرية، وكذلك التضييق عليهم، ومنع المدد عليهم من الأراضي التونسية. [2]

كل تلك الظروف دفعت إلى المزيد من الأعمال الثورية، وخوض المعارك الضارية ضد القوات الفرنسية، وردتها على أعقابها. وبعد شهر ونصف تقريبا من معركة كريب الشعانبة، استهدف المجاهدون المراكز العسكرية المنتشرة حول الآبار، ليبدأ الكفاح طورا جديدا.

---

[1] - نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص ص 9-10.

[2] - نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص ص 11.

3-معركة بئر الناظور (24 جوان 1959) أو كشف الخونة ومعاقبتهم:

أ-وصف الموقع: تقع بئر الناظور في المنطقة الجنوبية الغربية من العقلة بالوادي، وبقرب البئر مركز عسكري لقوات القومية، مدعما بالجمال والسلاح، والجنود، وكل وسائل الاتصال. وكانت كتائب الهجانة بالمركز تحت قيادة الملازم الأول العايب، بمساعدة ازواري بشير، ومعهم عضوا نشطا يدعى بشير انتونة، وكلهم من فرقة القومية.[1]

ب-ظروف ودوافع المعركة:

أراد الحبيب الجراية، دعوة القومية، وايقاظ بذرة الشعور الوطني في نفوسهم، لعلهم يرجعون عن غيهم، فكتب رسالة بخط المجاهد عبد المجيد بوصبيع، أرسلها إلى بشير انتونة، وضح له فيها فشل الاستعمار في تونس والمغرب، وهذا مصيره في الجزائر. فأكد ذلك القومي كلامه، ولكنه رفض التعامل مع الثورة حتى بعد هزيمة فرنسا، وسوف يبقى محاربا للثورة. وهذا بين مدى إصرار أولئك الخونة على غيهم، فوجب محاربتهم إلى آخر رمق.

ج-اندلاع المعركة:

كان عدد المجاهدين 22 مجاهدا، تقدم ثلاثة منهم، محمد النوي، اشعيب عمر، عبد القادر رضواني، وكان الوقت ليلا، في حدود الساعة الثامنة. وكان الاتفاق أن يعلن عمر اشعيب على الهجوم عن طريق الآذان وإطلاق النار، وأعطاهم كلمة السر، إذا قال لهم (فانصوا) ومعناه (تأخروا). ولما تقدموا نحو المركز، أبصرهم الحارس، وأوقفهم، فكان ردهم قتله دون تردد، وحينها اشتعل القتال بين الطرفين، ولكن العدو أشعل

---

[1] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 13. عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص325.

الاضواء الكاشفة، فاضطر المجاهدون إلى الانسحاب، واختفوا وراء الأشجار المنتشرة في ذلك المكان. [1]

د-نتائج المعركة:

كانت خسائر العدو كبيرة ماديا وبشريا، ولم يتمكن الثوار من إحصائها. بينما خرج المجاهدون من المعركة بسلام ولم يصب منهم أحد بسوء، إلا جراحاً مست المجاهد عبد القادر الناوي.[2]

هـ -انعكاسات المعركة على الواقع الثوري:

عندما وصل خبر الهجوم إلى مسامع قادة الاحتلال، سعوا إلى الحرب الخفية، بالمزيد من تجنيد الخونة والجواسيس، يقود سبيلهم القومي «انتونة» الحاقد، وحينها جندوا جاسوسين دعم كل منهما بمبلغ 7 ملايين فرنك فرنسي، مقابل القضاء على القائد الحبيب الجراية. وتغلغلا في صفوف الجيش، وكان أحدهما يسلم للقيادة نقودا يومية على أساس أنها اشتراكات جمعها من المناضلين، وكان يتودد حتى يصل إلى القيادة، ويقوم بجمع المعلومات الكافية عن خطط المجاهدين وأسرارهم، وعندما تحين الفرصة ينفذ خطته في قتل القائد. ولكن تم كشف كيده الخفي، وحكم عليه بالإعدام. وكلفوا الجاسوس الثاني بالبحث عن صاحبه، ولكن كان مصيره مثل سابقه، الإعدام حتى يبقى عبرة للخونة المأجورين. [3]

كما قامت دورية المجاهدين بمساعدة دورية عسكرية تحمل السلاح إلى الولاية السادسة بجبل أحمر خدو، وكانت بقيادة الرائد علي شكيري. وتمثلت مساعدتهم بمرافقتهم في الطريق، حتى يخرجوا سالمين من الأراضي الصحراوية، وأوصلوهم إلى

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 89-90. عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص325.

[2] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 13. عبد القادر عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص325.

[3] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 13.

مكان يدعى شوشة ليهودي، القريب من بوعروة شمالا. [1] ولكن دورية علي شكيري هاجمتها القوات الفرنسية شمال شرق وادي سوف، وقامت معركة أسر فيها قائد الدورية.

وحينها اتصل القائد الحبيب الجراية بقيادة الأركان، ومباشرة بالقائد محمدي السعيد(العقيد ناصر)، وتلقى منه المساعدات المادية والمعنوية. وطلب منه دعمه بالجنود والسلاح، ولكن السلطات التونسية بقيت تحاصر وتمنع المجاهدين وتضيق عليهم، وكادت تلقي القبض على الحبيب الجراية الذي أفلت منهم بأعجوبة، والتحق بالمجاهدين في بئر تركية يوم 16 سبتمبر 1959،[2] ليقوم بهجومات شهر سبتمبر المرتقبة.

الطور الثاني: معارك وهجومات شهر سبتمبر 1959: أو تدمير قواعد العدو:

كان قائد المجاهدين الحبيب الجراية على اتصال بالقيادة في تونس، واستطاع الرجوع إلى مركز القيادة الداخلية. وكان الهدف الأول هو القيام يوم 17 سبتمبر 1959 بهجوم موحد على القوات الفرنسية على كامل الحدود الجزائرية التونسية من الشمال إلى الجنوب.

وكان وصول الحبيب الجراية إلى مركز قيادته بالقرب من بئر تركية يوم 16 سبتمبر، واجتمع بجنوده، ووزعهم إلى فصائل، وكلفهم بمهاجمة مراكز العدو في الخصائمية، وبئر الجديد وبير الغرافة، وبئر خادم، ومركز سيار وغيره.[3] وتمت العمليات في أوقات متفاوتة. [4] وكانت أربع معارك هي التالية:

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 89.

[2] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 15.

[3] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 15.

[4] - اختلفت روايات المجاهدين في التاريخ الذي تمت فيه المعارك، وانطلاقتها، والسجل الذهبي حددها يوم 19 سبتمبر 1959. أنظر: السجل الذهبي، ط 2021، ص 37-38.

1-معركة سيار[1] (17 سبتمبر 1959): [2]

بئر سيار، هو مركز عسكري للقومية في المنطقة الجنوبية الغربية من العقلة جنوب وادي سوف، وداخل العرق الشرقي. وقام القومية بترحيل البدو إلى هذا المكان، لمنعهم من الاتصال والاحتكاك بالمجاهدين. فكان الهدف هو ضرب القومية، وفك الحصار عن المواطنين. فتوجهت نحوه دورية عسكرية بقيادة الحبيب الجراية، [3] قوامها 34 مجاهدا، [4] اتصلوا بالمجاهدين وعرفوا منهم معلومات عن العسكر الفرنسي، وقاموا بالاستطلاع بواسطة النظارات الميدانية، واستعانوا بضوء القمر، واستطاعوا تحديد مكان القوات في جنوب صحن سيار وشمال عرق رملي، نزل به المجاهدون في حدود الساعة الرابعة صباحا. وتمكن القائد الحبيب رفقة بعض المجاهدين من التسلل إلى المركز في غفلة من حارسه، وتم في حدود الساعة الخامسة، فوجدوا العدو غارقا في نوم عميق. [5]

وحينئذ انتبه الحارس لحركة المجاهدين، فأراد ايقافهم، فكبر أحد المجاهدين وانطلق الرصاص، وبدأ الهجوم باستعمال الأسلحة والقنابل، ووصلوا إلى خيمة القائد وقتلوه، وجمعوا الذخائر، وأحرقوا المركز عن آخره. ولما وصلت طائرات الاستطلاع وجدوا كل شيء قد انتهى، ولكن تصدى لها المجاهدون برشاشاتهم، فرجعت على أعقابها خائبة مدحورة.[6]

---

[1] - أشير إلى البئر في مراجع أخرى بالصاد بدل السين صيار. أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 91. عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص329.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 91-95.

[3] - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص330-331.

[4] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 92.

[5] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 15.

[6] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 94.

-**نتائج المعركة:** كانت معركة سيار فاصلة، ومشجعة للمجاهدين، ويمكن حصر نتائجها على الطرفين فيما يلي:

- **المجاهدون:** خرجوا سالمين من المعركة، وخلفت جريحاً واحداً أصاب المجاهد رضواني عبد القادر الذي أصيب في عينه،[1] وفقدها، والله تعالى يعوضه منها الجنة كما ورد في الاحاديث والآثار النبوية الشريفة. وغنموا الذخائر الحية، والمواد الغذائية.[2]

- **الفرنسيون:** سقط عدد معتبر من القتلى، منهم قائد المركز برتبة ملازم، وتم تدمير أسلحة العدو، وحرق 5 شاحنات من نوع4/4 أمريكية الصنع. وغنم المجاهدون عدداً من مدافع الهاون والرشاشات، وراديو (جهاز إشارة) وثلاث بنادق، ومسدس ونظارات ميدانية وكميات كبيرة من الذخيرة، والمؤونة. [3] كما تم إسقاط طائرتين أثناء مطاردة المجاهدين المنسحبين مما اضطر سرب الطائرات إلى مغادرة الأجواء. والجدير بالذكر أن العلم الوطني رفع خفاقا في ساحة المعركة، معلنا عن انتصار المجاهدين البارز.[4]

2-معركة الخصائمية[5] (18 سبتمبر 1959):

توجهت إلى هذا المركز دورية عسكرية بقيادة المجاهد أحمد خنوفة، [6] تتكون من 35 مجاهدا،[7] تصدوا للقوات الفرنسية المتواجدة هناك، والتي تحركت لتقطع طريق العودة على المجاهدين المنسحبين بعد معركة سيار. [8] وكان هجوم الدورية على مركز

---

[1] - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص331.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 95.

[3] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 16. سعد العمامرة، المعارك، ص 94. عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص333.

[4] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 16.

[5] - **الخصائمية:** هي مركز يقع في الجنوب الشرقي من العقلة، وهي في حد وسط بين الناظور شمالا، وسيار جنوبا.

[6] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 96.

[7] - أنظر: السجل الذهبي، ط2021، ص 37.

[8] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 16.

العدو على الساعة الثامنة ليلا. ولكن الحارس اكتشف أمرهم، فكان مصيره القتل الفوري، وهجم المجاهدون على المركز، ففر القومية، وتم القضاء على المركز بأكمله.

وكانت النتائج لصالح المجاهدين الذين غنموا 18 مهريا محملة بالعتاد، وقضوا على 38 أخرى. كما غنموا 7 بنادق، وآلة اتصال لاسلكي. وفي طريقهم استولوا على 14 مهرياً محملة بالمؤونة والسلاح، أتت سندا ودعما للقومية، وهكذا تم تدمير ذلك المركز عن آخره. [1]

3-الهجوم على بئر الغرافة[2] (20 سبتمبر 1959):

قامت بالهجوم على مركز بير الغرافة دورية عسكرية عدد أفرادها 11 مجاهدا من أبناء وادي سوف، بقيادة بوغزالة صالح، وكان الهدف هو فصل هذا المركز عن بقية مناطق المراقبة، وتشتيت قوات العدو، وتخريب معداته، وعرقلة حركة قواته. وانتهى الهجوم بموت عدد من الجمال، وإحراق بعض العتاد والمواد التموينية.[3]

4-الهجوم على بئر الرتمة[4] (22 سبتمبر 1959):

إن الدعم اللوجستي للجيش الفرنسي يأتيهم بالخصوص من المنشآت البترولية الخاصة بتخزين المواد الطاقوية التي تعتمد عليها الآليات من بنزين وغيره من المشتقات البترولية. وكان لمركز بئر الرتمة قيمته الاستراتيجية لدى الفرنسيين. [5]وهذا ما دفع القيادة إلى ارسال دورية عسكرية تتكون من 07 مجاهدين بقيادة المجاهد لمين تيتة، هجموا على المركز، وخربوا جميع خزاناته وأحرقوه عن آخره، ورجعوا إلى أصحابهم سالمين.[6]

---

1 - أنظر: مذكرات الهادي بوغزالة، ص 16 ص 68-69. عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 338.

2 - يقع بير الغرافة إلى الجنوب من بير رومان.

3 - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 62-63.

4 - يقع جنوبا من بير الغرافة.

5 - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 339.

6 - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 64-65.

والخلاصة حول معارك وهجومات شهر سبتمبر 1959 هي:

- كان الهدف منها تشتيت قوات العدو، وإضعاف قوته واستنزاف طاقاته.

- حرق وإتلاف معدات العدو، وقطع الطريق على دورياته اللوجستية.

دامت العمليات أسبوعا كاملا في مختلف أنحاء الصحراء في مراكز متفاوتة بداية من مركز سيار، وانتهاء ببئر الرتمة.

الطور الثالث: معارك وهجومات شهر أكتوبر 1959: تخطي المكائد الفرنسية:

1-الظروف العامة في الصحراء:

إن الضربات الموجعة التي وجهها المجاهدون، أثرت على معنويات العدو، فسارع إلى البحث عن مخرج من أزماته، وقام بما يلي:

- منع إرسال الطائرات الاستكشافية، لأنها تقع تحت وابل الرصاص الذي يوجهه نحوها المجاهدون بخبرتهم القتالية العالية. [1]

- محاولة منع الدعم الشعبي للثورة، وترهيب المواطنين وحصارهم، والهدف هو انقطاع المدد المقدم من المواطنين.

- ردم الآبار أو تسميمها، والقضاء على أسباب الحياة، لأن الآبار هي مصدر حياة المجاهدين.

- تجنيد قوات المشاة من القومية التي تعتمد أساليب المجاهدين في الحركة والهجوم، ويتعداه للتمويه بالهيئة واللباس. وكلف بالمهمة القومي المدعو صالح بن صالح. [2]

2-معركة بئر تركية (23 أكتوبر 1959):

استهدفت قوات صالح بن صالح المخادعة، مركز المجاهدين في بئر تركية، وقامت بالهجوم عليه يوم 23 أكتوبر 1959 على الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، ودام ساعة كاملة، ولكن محاولتهم باءت بالفشل، بل لاذوا بالفرار، فلاحقتهم قوات المجاهدين

---

[1] - أنظر: مذكرات الهادي بوغزالة، ص 70.

[2] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 17.

بقيادة الحبيب الجراية، وعددهم 120 مجاهدا، واستمرت المطاردة إلى الساعة الواحدة بعد الظهر من اليوم الموالي 24 أكتوبر.[1]

ولكن المعركة اندلعت مرة أخرى في حدود الساعة الرابعة مساء واستمرت إلى الثامنة ليلا، وانتهت بانتصار المجاهدين التي دحرت قوات العدو دحرا قويا. [2] وكانت النتائج هي:

الحصول على عدد من الأسلحة ومنها هاون32م، وعدد من الإبل المحملة ببعض المعدات واللوازم. [3]

أمر القائد الحبيب جنوده بالرحيل إلى منطقة اسمها بئر نوار، فوصلوه في جنح الظلام واستقروا به، ولكنهم اكتشفوا في الصباح حالتهم السيئة، واتضح لهم أنهم محاصرون بين قوتين، غربا من الجيش الفرنسي، وشرقا من الجيش التونسي، فتجنبوا حدوث معركة غير متكافئة، وفضلوا الانسحاب نحو بئر لوذة، ولكنهم وجدوه خاليا من الماء. وحينها قسم القائد جنوده إلى فوجين، وكانت وجهة الفوج الأول إلى بئر الحاج بقيادة بوغزالة محمد الطيب ومعه حوالي 30 جنديا ومعهم الأسلحة والإبل، ولكنهم وجدوا البئر قد هدم من الجيش الفرنسي فالتحقوا بالفوج الثاني.

وكان الفوج الثاني متوجها نحو بئر رومان، ولكنه توقف في بئر بوطينة، وهناك التقى الفوجان مرة أخرى، وكانت الحادثة الشهيرة. [4]

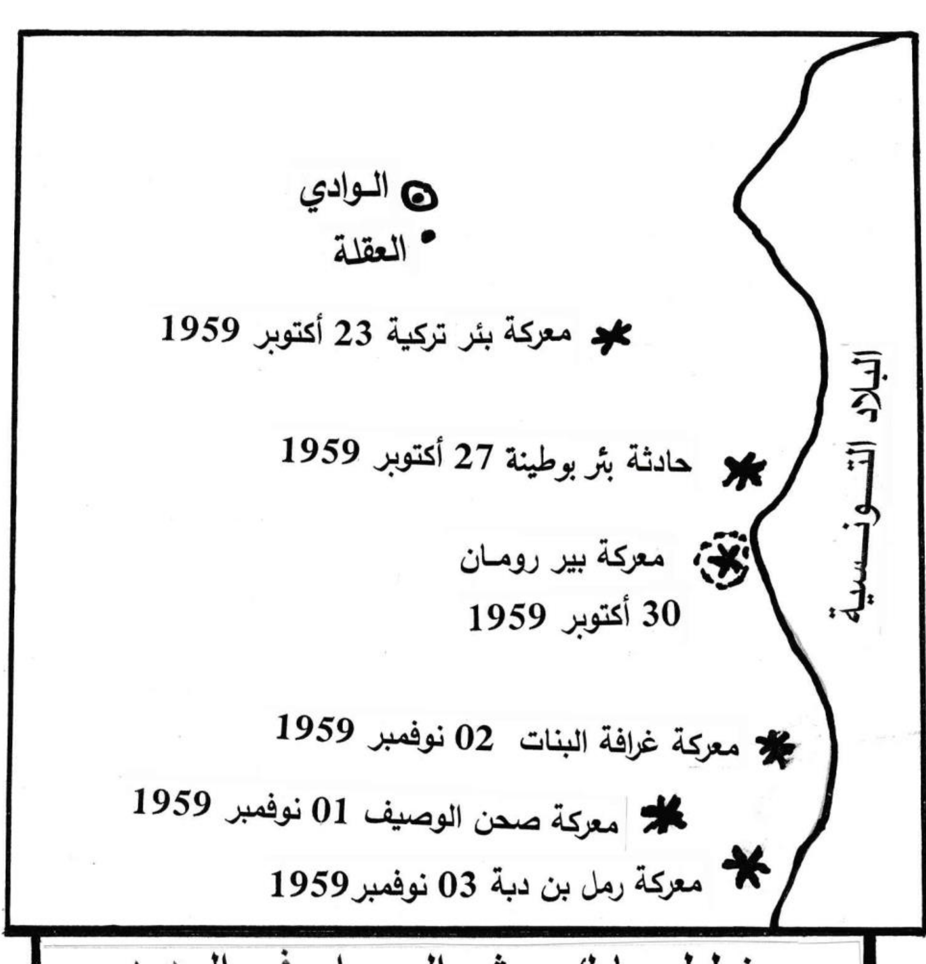
---

[1] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 18.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 99-103.

[3] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 18.

[4] - أنظر: مذكرات الهادي بوغزالة، ص 73.



مخطط معارك جيش الصحراء في الحدود

مع وادي سوف ما بين أكتوبر - نوفمبر 1959

3-حادثة بئر بوطينة (27 أكتوبر 1959): [1]

يقع بئر بوطينة في الشمال الشرقي من بير رومان، ويبتعد عنه بنحو 15 كلم، وبه مرتفع من الرمال يشبه الجبل، والذي أحدثت به الرياح غارا داخليا وصار مجالا مناسبا للاختباء.

ولكن قوات العدو لاحقتهم بواسطة طائرة مقاتلة، ولكنها عجزت عن إصابتهم في الغار. وأمر القائد الجراية بضربها بسلاحهم المتطور الذي غنموه من العدو، وأسقطوها فاحترقت عن آخرها، وواصل الجيش طريقه إلى أرض بير رومان، التي شهدت المعارك الفاصلة. [2]

الطور الرابع: معارك بير رومان (30 أكتوبر – 3 نوفمبر 1959): القتال المستميت:

لقد حقق المجاهدون نتائج باهرة في مواقعهم السابقة، رفعت من معنوياتهم، وأكسبتهم خبرة قتالية، ومكنتهم من الحصول على غنائم معتبرة من الذخائر والأسلحة المتطورة والمواد التموينية، ولم يبق لهم سوى خوض المعركة المصيرية بكل شجاعة وإباء.

-الظروف العامة قبيل المعركة:

كان الحصار شديدا على المجاهدين من قبل القوات الفرنسية على مستوى الآبار، ومن القوات التونسية في الحدود الشرقية، وكانت متعاونة مع الفرنسيين من أجل حماية البترول الذي تمتد أنابيبه من ايجلي،[3] إلى مدينة الصخيرة على خليج قابس.

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 104.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 104. عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 340.

[3] **منطقة أيجيلي:** تقع في حوض عين امناس في الجنوب الشرقي للجزائري، وتبعد عن الساحل بنحو 1600 كلم، وله احتياطي نفطي كبير يأتي في الدرجة الثانية بعد حاسي مسعود.

وإثر غارات بئر بوطينة، قرر القائد الحبيب الجراية الانسحاب نحو بير رومان.[1] ولكن الحصار الشديد اضطرهم إلى مخادعة الجيش الفرنسي، فنصبوا هيا كل على هيئة جنود، اعتقد - الجيش الفرنسي - أنها أجسام المجاهدين، وعطل اللحاق بهم نحو يوم كامل. ولكن جيش المجاهدين حث السير، وقد تجاوز عدده 100 مجاهد، وصلوا إلى بئر رومان يوم 27 أكتوبر، وبقوا إلى يوم 30 أكتوبر1959 في استرخاء. [2] وحينها أخذوا نصيبهم من الراحة بعد العناء الكبير في المعارك السابقة، وصاروا في أتم استعداد لخوض لقتال والذي تمثل في المعركة الكبرى، التي دامت نحو خمسة أيام، وفي جهات مختلفة، كان منطلقها بئر رومان، وشهدت أحداثها المناطق المجاورة لبئر رومان. ويومها اضطر الجيش إلى المناورة والتنقل السريع، وتجنب قنابل الطائرات المكثفة، والتي اختارها العدو سلاحا لخوض هذه المعركة. مع استعمال الغازات السامة المحرمة دوليا. بينما بقيت قواتهم البرية تراقب المشهد من بعيد على مسافة نحو 10 كلم. [3] وهكذا صارت الحال مناسبة للمعركة الفاصلة التي مرت بأربع مراحل:

-المرحلة الأولى: الاشتباك حول صحن البئر(30 أكتوبر 1959):

كلف فوج من المجاهدين بقيادة المجاهد لمين تيتة ومعه أربعة من المجاهدين بسقي الإبل، وملء القرب بالماء. ولكن لاحقتهم قوات القومي صالح بن صالح، لأنه راوغهم، بسبب التشبه بهم في اللباس وطريقة التنقل، وهكذا حاصروهم في حدود الساعة الثالثة مساء. ولكن تدخل القائد الحبيب الجراية، أنقذ الموقف، فأطلق نيران المدفع، والذي خلف عددا من القتلى والأسرى، وانسحب الآخرون. [4]

---

[1] **بئر رومان:** تقع في الجنوب الشرقي من بئر بوطينة، وتبعد عنه بنحو 15 كلم، ويبعد بئر رومان عن دوار الماء بحوالي 100 كلم. أنظر: مذكرات الهادي بوغزالة، ص 74.

[2] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 19.

[3] - أنظر: مذكرات الهادي بوغزالة، ص 74. عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 346.

[4] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 19.

وكانت خسائر المجاهدين، هي الجرح الذي أصاب حارس الدورية، وهروب الخائن « فرج الزنقي» الذي كان مجبرا على البقاء مع المجاهدين أو الموت، فلما وجد الفرصة سانحة أثناء الاشتباك، تسلل من الميدان، والتجأ إلى جماعة صالح بن صالح، وأخبر الجيش الفرنسي بأحوال المجاهدين الصغيرة والكبيرة، وعلى أساس تلك الأخبار، خططوا لضرب المجاهدين في تلك المعركة الشديدة. أما خسائر الفرنسيين، فتم قتل جنديين من القومية، وجرح آخر وأخذ أسيرا وهو المدعو "علي" من واد الشعنبي، والذي كان سابقا من جنود باللونيس. [1]

وكان الجيش الفرنسي يسعى إلى منع وصول الجيش إلى الحدود الليبية، لأن فيها نجاتهم، وسوف يتحكمون في أنابيب البترول، ويهددوا المصالح الفرنسية والتونسية على حد سواء، لذلك قرروا ضربهم بالطائرات المقنبلة بقيادة جنرالين تحملهما طائرات مروحية. وكانت طائرات فرنسا تحرق كل شيء أمامها من حيوان صحراوي كالغزال والإبل، وحتى الشجر، لأنها تريد إبقاء الصحراء قاحلة من كل مظهر للحياة، وأرضا محرمة على السكان والمجاهدين. [2]

-المرحلة الثانية: معركة صحن الوصيف (1 نوفمبر 1959):

انتقل المجاهدون جنوبا إلى بئر لرقط في الجهة الشرقية، ووصلوا إلى واد يدعى صحن الوصيف،[3] يوم 1 نوفمبر، في حدود الساعة الثامنة صباحا، عندما أدركتهم طائرة استكشافية، والتي وقعت في خط نيرانهم، فأسقطوها أرضا. ولكن طائرات أخرى قدمت متتابعة وعددها سبع طائرات مقنبله. فأمر القائد جنوده بالانتشار على شكل أفواج تحرس الإبل، وتتصدى - في الوقت نفسه – للطائرات بما عندهم من

---

1 - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 20. عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 344-345.

2 - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 20. مذكرات الهادي بوغزالة، ص 74-75.

3 - **صحن الوصيف:** يقع في الجنوب الشرقي من بئر رومان، ويبعد عنه بنحو 15 كلم، وبه أشجار تساعد على التخفي.

المدافع، وتمكنوا من إسقاط بعضها. ولكن أسرابا كبيرة فاجأتهم، وعددها نحو 24 طائرة قادمة من قواعد عسكرية قريبة وبعيدة. [1]

بدأت فصول المعركة بعد حلول الظلام، عندما سلط الفرنسيون نيرانهم القاصفة من الطائرات، واستعملوا الأسلحة المدمرة والكيماوية السامة. وكان رد فعل المجاهدين هو تخفيف الضغط عن أنفسهم وإبلهم، فحملوا سلاحهم على متن 12 بعيرا المتبقية لديهم وغادروا المكان بعد دفن شهدائهم.

وكانت خسائر المجاهدين، استشهاد خمسة مجاهدين، وعشرة من الجرحى، وخسروا 80 بعيرا. وفي صفوف الفرنسيين، سجلوا 20 قتيلا من ركاب الطائرات التي أسقطت وعددها 10 طائرات. [2]

-المرحلة الثالثة: معركة غرافة البنات (2 نوفمبر 1959):

غادر الجيش أرض المعركة السابقة، واتجه نحو غرافة البنات[3] جنوبا، مستغلين ظلام الليل، وعلى ضوء القنابل المضيئة التي ترمي بها الطائرات الاستطلاعية، واصلوا سيرهم، وكان عددهم نحو 105 من المجاهدين بقيادة الحبيب الجراية، وبلغوا المكان المقصود في حدود الساعة الخامسة من يوم 2 نوفمبر. [4] وتأكد القائد من خطر إنزال المظليين بواسطة 12 طائرة هليكوبتر، وكانوا يدمرون كل موقع مر به المجاهدون،

---

[1] - قدمت بعض الطائرات المنتمية لسلاح الجو البريطاني التابع للحلف الأطلسي والمتواجدة بقاعدة الملاحة بليبيا، والأخرى هي الطائرات الاستطلاعية والمروحيات القادمة من قاعدة عسكرية بمدينة الأغواط أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 21. مذكرات الهادي بوغزالة، ص 76-77.

[2] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 21. سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 107.

[3] **غرافة البنات:** وتسمى أيضا غريفات البنات، وهي موقع في صحن القيحوان بالعرق الشرقي، تقع في الشمال الشرقي من صحن الوصيف. وبها الأشجار التي تساعد على الاختباء. أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 108. عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 351.

[4] - أنظر: السجل الذهبي، ط2021، ص 38.

ويحطمون الآبار، ويحرقون الأشجار، ويقتلون الحيوان، وهي حرب إبادة لكل شيء، وبناء على ذلك اتخذ القائد الإجراءات التالية:

- الاقتصاد الكبير في الذخيرة تحسبا للحرب البرية.
- تكليف مجموعة تتصدى للطائرات بالأسلحة الرشاشة.
- تحذير باقي الجنود من الغفلة حتى لا يقعوا أسرى في أيدي العدو.

بقيت أسراب الطائرات تقصف تجمعات المجاهدين بشتى أنواع القنابل المحرقة «النابالم» والغازات السامة، ووصلت إلى عشرات الأطنان التي تدمر كل شيء فوق الأرض. ولكن إرادة الله، كانت السلاح الأقوى والذي حماهم من ذلك الدمار، وكان المستهدف الأكبر هي الجمال الرابضة جانبا للقضاء على التموين والذخائر، بينما احتمى المجاهدون بالأشجار. كما أن تأثير القنابل في الصحراء كان قليلا، لأنها تغوص في الرمال، أو يبطل مفعولها فلا تنفجر.

واستمر قصف الطائرات إلى غروب الشمس. [1] وحينها بدأ المجاهدون في الانسحاب مختفين في سرابيل الظلام، ومهتدين بضوء القنابل المضيئة، واستمر ذلك إلى طلوع الفجر، حين وصلوا إلى هدفهم المقصود. [2] وهكذا دامت المعركة نحو عشر ساعات متتالية. [3] ولك أن تتصور حجم المعاناة لدى المجاهدين.

أما نتائج المعركة، فخلفت في صفوف المجاهدين أربعة شهداء، وضياع عدد من الإبل. وفي معسكر العدو، أسقطت ست طائرات، وعدد من القتلى والجرحى، لم يتمكنوا من إحصائهم. [4]

---

[1] - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 351-353.

[2] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 22.

[3] - أنظر: السجل الذهبي، ط2021، ص 38.

[4] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 22. سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 108.

-**المرحلة الرابعة: معركة رمل بن دبة (3 نوفمبر 1959):**

وصل جيش المجاهدين – وعددهم نحو 100 مجاهد – إلى منطقة رمل بن دبة،[1] وقت طلوع الفجر، وبادروا بتحصين أنفسهم، واستراحوا من عناء الطريق ووعثاء التنقل. ولكن الطائرات المقاتلة أدركتهم في حدود الساعة العاشرة صباحا، وشرعت في قصف مواقعهم بوحشية، وبلغ عدد الطائرات 48 طائرة، بالتناوب بين أسرابها، وفي كل مرة تصل كوكبة متكونة من 12 طائرة، وبعد إفراغ قنابلها الجهنمية، تعود إلى التزود وتخلفها أخرى، واستمر ذلك إلى آخر النهار. وكان قصفها للمكان عشوائيا بالقنابل الفسفورية والغازات السامة، والتي أصيب من جرائها القائد الحبيب الجراية بغيبوبة، فسارع إخوانه إلى إسعافه، وأخرجوه بعيدا عن موقع المعركة، وهذا في آخر اليوم. وأنتهت المعركة، مخلفة شهيدا واحداً هو الطيب زنقي، وقتل جملان. بينما خسر العدو أربع طائرات، وسجل بعض القتلى والجرحى من أطقم الطائرات المقاتلة. [2]

- **النتائج العامة لمعارك بئر رومان الأربع:**

- **المجاهدون:** سجلوا في صفحات مجدهم، 11 شهيدا، ومثلهم من الجرحى، وهو عدد قليل إلى حجم القصف، وأطنان القنابل المتفجرة في ساحات المعارك. والسر هو إرادة الله وعنايته وحفظه للمجاهدين في نفوسهم. ولكنهم ماديا خسروا معظم جمالهم المكونة من قافلة تجاوزت 80 جملا.

- **الفرنسيون:** رغم الترسانة القوية للجيش الفرنسي، وطائراته الحديثة التي قصفت ميادين المعارك، بشتى القنابل، إلا أن عدد القتلى من أطقم الطائرات تجاوز 20 قتيلاً، وجريح واحد من القومية، وتم إسقاط 20 طائرة.

---

[1] - وتسمى أيضا زملة دبة. أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 109. السجل الذهبي، ط2021، ص 38.

[2] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 22. سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 109. عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 354.

- **القرار الصعب:**

اجتمع القائد الحبيب الجراية بإخوانه المجاهدين، والذين تمتعوا بمعنوياتهم المرتفعة، وعزيمتهم الفائرة، رغم صعوبة المعارك في ثلاثة أيام متتالية، حرموا فيها النوم، والطعام والشراب،[1] وأثر ذلك على صحتهم وقوتهم، ومع ذلك قدموا ما في وسعهم من تضحية وفداء، من أجل حرية الوطن.

وأثناء الاجتماع، درس القائد الوضع الذي آل إليه الجيش، والحال التي يعيشونها، والذي تمثل فيما يلي:

- العنف الشديد الذي وجهته نحوهم آليات الاستعمار وطائراته في أيام معركة بير رومان بالخصوص.

- قساوة الطبيعة، وقلة المؤونة، بسبب الحصار المضروب عليهم، ومنع البدو من الاتصال بهم، والذين هم المصدر الحقيقي لقوتهم.

- اقدام القوات الفرنسية على إبادة معالم الحياة، [2] والقضاء على وسائل العيش، وخنق المجاهدين.

وعلى ضوء المعطيات السابقة، كان القرار الصعب الذي اتخذه القائد – بعد مشاورة جنوده - هو الخروج من المنطقة في ذلك الظرف الصعب على أمل العودة إليها في وقت أحسن، وأكثر قوة ومنعة للجيش. وتقرر تقسيم الجيش إلى مجموعات صغيرة تتحرك نحو الأراضي الليبية للاستراحة مدة من الزمن، وإعادة تنظيم نفسها من جديد. [3]

---

[1] فقد الجيش الأكل والماء، لأن المؤونة أحرقتها الطائرات، وكان رصيدهم من الماء دلواً واحداً به لتر فقط من الماء. أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص 80.

[2] - فرنسا كانت تحرق كل شيء فوق الأرض، ولو كان غزالا أو جملا، وتحرق الشجر، وتقضي على الآبار، تريد أن تحول الصحراء إلى أرض قاحلة لا يستطيع أحد العيش فيها، أو يعمرها. أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص 78.

[3] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 22.

الطور الخامس: انسحاب الجيش من الميدان (3 نوفمبر 1959): أو مصير الجيش:

كان جيش الحبيب الجراية يضم نحو 140 مجاهدا، أغلبهم من أبناء وادي سوف، فقدوا عدداً منهم شهداء في المعارك السابقة. وتقرر المغادرة إلى حين من الزمن، وكان منطلق سيرهم من منطقة « رمل بن دبة»، وتوزع الجيش إلى قسمين:

- القسم الأول: بقيادة الحبيب الجراية، واتجه نحو الأراضي التونسية، ولكن السلطات كانت لهم بالمرصاد، ومنعتهم من تحقيق أهدافهم، وزجت بهم في السجون.[1]

- القسم الثاني: بقيادة المولدي هزلة، وكانت وجهته نحو الأراضي الليبية، وكان عددهم 30 مجاهدا، ودليلهم في الطريق، العارف بخبايا الصحراء المجاهد حمد الهادي بوغزالة، ورسموا مسارهم نحو « بئر عوين» [2] وكان خروجهم على الساعة السابعة، ووقعت لهم اشتباكات وحوادث أهمها:

-معركة حمادة سلامة(4 نوفمبر 1959):

لحقت بالمجاهدين، 15 طائرة فرنسية مقاتلة، وطائرتان استكشافيتان، وكانت مجموعة المجاهدين مختلطة مع إبل المواطنين، وتم القصف على الجميع، وخلفت الغارة الجوية، إبادة 60 جملاً من إبل البدو، واستشهاد مجاهد واحد هو صالح بوغزالة. [3] ورغم ذلك واصلت المجموعة سيرها ليلا نحو بئر عوين، ولما وصلوه وجدوا العدو متمركز عنده. وعندئذ فقدوا 05 مجاهدين ضلوا الطريق، فصار عددهم 23 مجاهدا، وقرروا الاتجاه نحو بئر الزباس.

-الوصول إلى بئر الزباس: يبعد البئر عنهم 60 كيلومترا، والوصول إليه هو أملهم الوحيد، ويحكي بوغزالة فيقول:(فقلت لهم هذه الليلة اسمها ليلة الفصل، فصل الحياة

---

[1] - أنظر: نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية، ص 22.

[2] - **بئر عوين:** يقع شمال شرق منطقة البرمة.

[3] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص ص 112-113.

أو الممات، قلت لهم إذا وصلنا إلى البئر ووجدنا الماء نعيش، وإذا لم نجد الماء نتجه إلى العرق الواعر ونموت هناك ويأتي الشعب الجزائري فيأخذ أسلحتنا ويرجعها للثورة). (1)

ولكن... ! بثباتهم وتصميمهم، وثقتهم بالله، وصلوا إلى البئر عند شروق الشمس من يوم 5 نوفمبر 1959، وحالهم مأساوية، لأنهم منذ ستة أيام لم يتناولوا طعاما، ولم يشربوا شيئا، لأن الأرض كانت خالية مما يؤكل. فشربوا الماء وقضوا بقية يومهم هناك. وكان عليهم المشي ثلاثة أيام كاملة حتى يصلوا إلى الأراضي الليبية، ومع ذلك سبقهم العدو، وكان يترصد أخبارهم، فمكثوا ليلتهم، ثم تحركوا نحو الجبل القريب. (2)

-**الوصول إلى جبل طوال الغنم:** يبعد هذا الجبل عنهم بنحو 40 كيلومترا، ولم يبق فيهم قوة للتحمل، وقد أخذ منهم العطش قسطا كبيرا حتى اضطروا إلى شرب بولهم. ومازال العدو يترقب طريقهم أينما حلوا. وتمكنوا في الأخير من الوصول إلى جبل طوال الغنم، واستراحوا فيه وقتاً مناسباً، ثم واصلوا طريقهم نحو الأراضي الليبية.

- **الدخول إلى الأراضي الليبية:**

وصل المجاهدون إلى جبل يدعى « الجبل الوعر» في الأراضي الليبية، وفي طريقهم وجدوا ناقة ووليدها، فذبحوا الوليد وشربوا من«الثرث»، وما في أحشائه من ماء، حاولوا استخلاصه، واقتسموه بينهم، ثم أرسلوا المجاهد خليفة حنتيري، فأوصل الناقة إلى أصحابها، وطلب منهم أن يسامحوهم على ما فعلوه بوليدها. يقول الهادي بوغزالة:(ومن كثرة ما وقع لنا خرجنا من مقصود البشرية، وبعد أربع وعشرين ساعة، جاءتنا سيارة شرطة، فوجدونا مثل الهيكل العظمي، حيث أن الضابط الليبي بكى من حالتنا عندما رآنا، وربي سبحانه كان خير عون لنا، وكأن

---

[1] - أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص 81.

[2] - نفسه، ص 82.

الملائكة كانت تغذينا، 12 يوما نسير 300 أو 400 كلم بدون أكل وشرب، لو حدثني شخص آخر ما كنت لأصدقه). [1] وكان وصولهم الأول إلى بلدة نالوت. [2]

وبعد معاناة وأحداث في الطريق، وسفر بشتى الوسائل، وصلوا إلى طرابلس، وكان عددهم 31 مجاهدا. وتلك كانت أمنية الطالب العربي، فنصف الجيش من بقايا جنوده.[3] وتحت رعاية جبهة التحرير الوطني بدأت حياتهم الجديدة في الرعاية والايواء، والتدريب، والنشاط. وكان المسؤول هو أحمد بودة. صادف ذلك انعقاد مؤتمر طرابلس (ديسمبر 1959) وهو المؤتمر الثالث للمجلس الوطني للثورة الجزائرية، فزارهم وزير الخارجية في الحكومة المؤقتة، الأمين الدباغين، وأطلع على أحوالهم، كما زارهم الضابط أحمد الشريف.

وكانت أخبار المؤتمر تأتيهم، كما تفاوض المجاهد علي منجلي، [4] مع جماعة في المؤتمر على مصير جيش الصحراء. وقدمت ليبيا اعتذارها عن عدم قدرتها على حماية هذا الجيش في الحدود، بسبب تواجد قواعد الإنكليز والامريكان. ولكن الملك السنوسي أعطى لهم الموافقة على فتح المناطق الجنوبية لتمرير السلاح، وعين زكريا (فرحات احميدة الطيب) على تلك المنطقة،[5] والتي أطلق عليها هيئة أركان الحرب العامة (المنطقة الصحراوية) القطاع الشمالي من اليزي إلى الوادي، والقطاع الجنوبي من إليزي إلى

---

[1] - أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص 83.

[2] - **نالوت:** مدينة ليبية في الجبل الغربي أو جبل نفوسة، تبعد نحو 276 كلم عن العاصمة طرابلس.

[3] - مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 65-78.

[4] - كان علي منجلي عضوا في قيادة الأركان، وعضوا مشاركا في المؤتمر.

[5] - كان للرائد زكريا دور في المفاوضات مع ليبيا، عندما أرسلته الحكومة المؤقتة عام 1959، فاتصل بالملك السنوسي، وتفاوض معه لترتيب قاعدة للجيش بالحدود الجزائرية الليبية. وبعد تكليف هواري بومدين على رأس هيئة الأركان الحربية إثر اجتماع المجلس الوطني للثورة بطرابلس في ديسمبر 1959، تم إقرار انشاء هيئة الأركان، وتنظيم المنطقة الصحراوية بصفة رسمية، وأعيد تعيين الرائد زكريا على رأسها واستمر إلى عام 1962. أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 79.

تامنراست، وكان هذا الجيش في القطاع الشمالي ثم حول إلى الجنوبي. [1]

وأخذ الجيش في التزايد، بانضمام عناصر جديدة، حتى تضاعف عدده، ووصل إلى 60 مجاهداً، وقسمه زكريا إلى فصيلتين، وكان المسؤول الإداري المجاهد محمد جغابة مع زكريا، وخيضر عبد الكريم. وكلف بقيادة الجيش بوغزالة حمد الهادي، والمولدي هزلة، وعبد السلام كربوع من المنيعة، وعلي تاسة مسؤول دورية عين صالح.

الطور السادس: نشاطات الجيش بين الأراضي الجزائرية والحدود الليبية (جانفي 1961 إلى فيفري 1962): الجيش حامي الصحراء الجزائرية:

عندما استقر جيش الصحراء في طرابلس، شرع في عمليات الإعداد والتدريب، فكان محمد جغابة يقدم لهم دروسا في نطاق المحافظة السياسية، وعبد الكريم مكلف بالأجهزة، وبدأوا في اقتناء العتاد عن طريق الشراء، وتوفير الدلاء والأحزمة، والسلاح. كما وفروا شاحنتين واندروفير ليدخلوا بها إلى الحدود الجزائرية. كما تم تدريبهم على عمليات التمريض والعلاج والإسعافات، وتولى ذلك أحد الأطباء، يدرسهم بالعربية، ويلقنهم أسماء الادوية. [2]

هكذا تكفلت بالجيش قيادة الأركان الجزائرية في ليبيا منذ مارس 1960، وبدأ تدريبه من جديد لخوض معارك في الصحراء، ومن مظاهرها الأولى زرع الألغام، ونصب الكمائن في المنطقة البترولية. [3]

وبعد انتهاء التدريب، قررت قيادة جيش التحرير، توجيه الكتائب العسكرية إلى الحدود، من أجل حفر المخابئ تحت الأرض، وتخزين الأسلحة والمواد الغذائية والعتاد

---

[1] - أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 97-98.

[2] - أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 89-99.

[3] - بدأ المجاهدون الجزائريون بنسف وإشعال النيران في حقول البترول بالصحراء في 21 ديسمبر 1957، ونصب الكمائن لشاحنات نقل صهارج النفط في الطرق، وتفجير الحمولة وإتلافها، وهو اتجاه في الثورة للضغط على فرنسا من جانب المحروقات، ومنعها من الوصول لتونس وفرنسا.

الحربي، التي تكفي الجيش لعدة سنوات. [1] وحيثما تحرك الجيش وجد المؤونة، لأن الحكومة المؤقتة قررت - في حال فشل المفاوضات - فتح جبهة للقتال في المنطقة الصحراوية المكشوفة.

1- نشاطات الجيش ودورياته العسكرية:

بدأت المجموعات تنزل للميدان وتتحرك في الأراضي الجزائرية قرب منطقة الدبداب، وعين أمناس، وتكتشف الأرض، وتتعرف على الآبار، وتسجلها في دفاتر. كما شرعت في عمليات تخزين الماء في براميل بحجم 200 لتر في الجبال التي لا توجد بها مياه، ويتم حمل الماء في القرب، وتفرغ في تلك البراميل، وكلفت بالمهمة قافلة تتكون من 15 بعيراً، وتدفن البراميل في الأرض حتى تكون في أمان، واستمرت عمليات التموين والتخزين من جانفي إلى مارس 1961.

وطلب المجاهدون من زكرياء أن يدعمهم بعناصر من الجنود الذين يعرفون مجاهل الصحراء، واقترحوا عليه استقدام إخوانهم من تونس الذين هم أعرف بالصحراء، ويتحملون مشاقها ولاسيما من أبناء وادي سوف، وهم من بقية جنود الطالب العربي والحبيب الجراية. وتم الأمر كما خطط له، وانطلقت دورية من المجاهدين السابقي الذكر من الأراضي التونسية، ولكنهم اصطدموا بالقوات الفرنسية، وخاضوا معركة زبارة حليمة؟[2]

2-معركة زبارة حليمة(24 فيفري 1961) [3]:

أ - انطلاق الدورية العسكرية: انطلقت مجموعة من المجاهدين من منطقة القصرين قرب الحدود الجزائرية التونسية، بأمر من القائدين محمد جغابة ومحمود قنز، وكان

---

[1] - أنظر: شهادة المجاهد بالقاسم الزنقي، **حقائق من تاريخ ثورة التحرير**، مطبعة سخري، ط1، الوادي-الجزائر، 2014، ص 28.

[2] - أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 102-104.

[3] - أنظر: السجل الذهبي، ط 2021، ص 39.

عددهم نحو 17 مجاهدا، معهم ثلاثة جمال محملة بالذخيرة والمواد الغذائية، وتولى قيادتهم علي بوغزالة.[1] وبعد خمسة أيام من المسير التقوا بأحد الخونة، الذي أفشى سرهم، واضطرتهم الأحوال إلى الاتجاه نحو منطقة تدعى « زبارة حليمة ».[2] التي تنتشر بها الأشجار الملتفة، والتضاريس التي تساعد على التخفي عن أنظار العدو، ولكن لحقت الطائرات الاستكشافية في الصباح في حدود الساعة الثانية، وأول عمل قاموا به، إبعاد جمالهم عن أرض المعركة، وتهيئة أنفسهم للقتال.[3]

ووزعوا الجنود إلى ثلاث فرق، على رأس كل منها قائد، وهم علي بوغزالة، وبشير بوغزالة، وزايدي الملكي.[4] وكانت أسلحة المجاهدين بسيطة، بعض البنادق والقنابل اليدوية. بينما جندت فرنسا قواتها الجوية التي تتكون من 36 طائرة، وسيارات وشاحنات ومدافع هاون، وأجهزة اتصال، وقوات المهاري العارفة بالصحراء.

ب- **اندلاع المعركة:** انطلقت شرارة المعركة في حدود الساعة الثانية بعد الزوال، واستمرت إلى الساعة السابعة مساء، وخلالها كانت الطائرات تقنبل، والأسلحة ترمي، وتمكن المجاهدون بأسلحتهم تحطيم عدد من الشاحنات، وأصابوا جنودها في مقتل. وفضل المجاهدون الانسحاب التكتيكي، عندما أشعلوا النار في الأشجار القريبة، لتضليل الطائرات، والتي انطلت عليها الحيلة، وأخذت تفرغ حمولتها في تلك الأماكن المحترقة، معتقدة انسحاب المجاهدين وتواجدهم فيها.

ثم تسلل المجاهدون ما بين قوافل السيارات، وضربوها وانسحبوا، وحينها أمر قائد الجيش الفرنسي، توجيه الضرب ما بين السيارات مستهدفا المجاهدين، ولكنه أخطأ التقدير، وبلغت الإصابات القوات الفرنسية، والمجاهدون من بعيد ينظرون إلى القوات

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص ص 119.

[2] - **زبارة حليمة:** منطقة تقع في الشمال الشرقي من بئر رومان وقرب الحدود التونسية الشرقية.

[3] - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص ص 380-387.

[4] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص ص 122.

الفرنسية وهي تضرب بعضها بعضا. وعادت الطائرات في آخر النهار، ورمت المجاهدين بالغازات السامة المحرمة، ولكن المعركة انتهت فصولها بحلول الظلام.

ج- **نتائج المعركة:** كانت خسائر الفرنسيين ثقيلة جدا، خلفت المعركة أكثر من 30 قتيلا، مع تحطيم أكثر من 30 آلية ما بين شاحنات وسيارات. [1]

أما خسائر المجاهدين فكانت استشهاد مجاهد واحد فقط، هو المجاهد سويعي سعد، وجرح آخر. [2]

د- **انسحاب الدورية:** انسحبت الدورية في جنح الظلام، وتوغلت داخل الأراضي التونسية، مواصلة سيرها إلى الساعة الثانية صباحا، ولكن الطائرات لحقت بهم، وحينئذ تدخل الجيش التونسي، وقصف الطائرات الفرنسية وقاتل إلى جانب المجاهدين، فاضطرت القوات الفرنسية إلى التراجع، وسلم المجاهدون من تلك المخاطر.[3]

3-عمليات زرع الألغام وتفجير المناطق البترولية:

بادر المجاهدون، بإشراف المجاهد بوغزالة الهادي، بالبحث المضني عن أنابيب النفط لتفجيرها، فوجدوا صعوبة كبيرة في ذلك، ولكنهم تمكنوا من زرع بعض الألغام، والتي انفجرت على بعد 60 كلم من منطقة الدبداب، ولاسيما في وادي مركسن، فتم تفجير سيارتين، وشاحنة ضخمة تحمل الانابيب.[4] وتمت العمليات يوم 25 مارس 1961 الموافق لعيد الأضحى المبارك، وكانت النتائج: أحراق شاحنتين حاملتين للأنابيب، وسيارتين في وادي مركسن، وما يزيد عن 30 قتيلا. أما في وادي هجرين، فتم إحراق سيارتين و20 قتيلا. [5]

---

1 - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص ص 383-386.

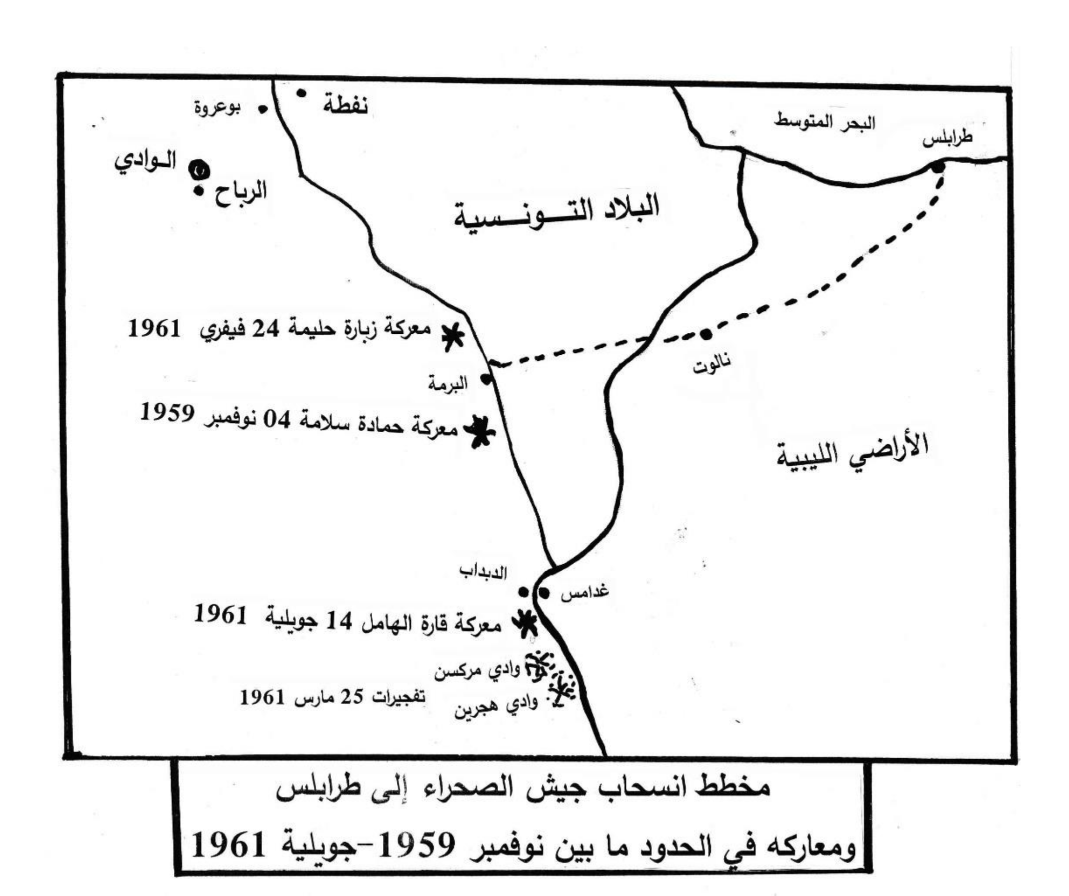
2 - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص ص 120.

3 - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص ص 385-386.

4 - أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 107-108.

5 - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، ص ص 124.

وكان رد فعل فرنسا الاحتجاج ضد ليبيا التي آوت المجاهدين ووفرت لهم الحرية، ولكن السلطات الليبية نفت وجود المجاهدين الذين يقومون بتلك الأعمال، لأنهم لم يتفقوا على القتال، بل سمح لهم فقط بتسليح المنطقة وتهيئتها للقتال. وحتى قيادة الثورة لم يكن عندها علم بذلك. والعمليات هي مبادرة من المجاهدين في الميدان الذين قدروا العمل، وبنوه على قرارات قديمة.[1]



مخطط انسحاب جيش الصحراء إلى طرابلس
ومعاركه في الحدود ما بين نوفمبر 1959-جويلية 1961

[1] - أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 110.

4-أحداث قارة الهامل وحماية الأراضي الجزائرية(14 جويلية 1961):

كان الصراع على أشده على الأراضي الصحراوية الجزائرية، لأن الثروة البترولية تسيل اللعاب، ولما كانت تونس متواطئة مع السلطات الفرنسية، وتساعدها على متابعة المجاهدين وعرقلة مسيرتهم، حتى تحقق شيئا من المصالح المشتركة مع فرنسا. سمحت هذه الأخيرة لهم بالدخول إلى الأراضي الجزائرية في نواحي عين امناس وقارة الهامل القريبة منها. وحينها تم تنظيم مسيرة راضية حداد[1] من الإتحاد النسائي والجيش التونسي، وهم يحملون الأعلام في جويلية 1961، وطلبت السلطات التونسية من فرنسا، أن تسمح لها بالتدخل في الحدود، في مكان قرب عين أمناسن ما بين ليبيا والجزائر، فتتوسع في تلك الأراضي من فور سانت، [2] حتى قارة الهامل. ولكن الثورة بادرت إلى منع المؤامرة، وقطعت الطريق على النوايا التونسية، فسبقتهم إلى المنطقة[3] كما يلي:

أولا: كلفت المجاهدين مصباح بريك، والجيلاني غنبازي (بابا المينة) بمهمة فورية وعاجلة، وهي زرع الألغام في نواحي قارة الهامل، ورفع العلم الجزائري فوقها، وتم ذلك بنجاح.

ثانيا: كلف المجاهد الهادي بوغزالة بالإعداد لخوض معركة في قارة الهامل يوم 14 جويلية 1961، مغتنماً احتفال الفرنسيين بعيدهم الوطني، ومنع الجيش الفرنسي من التقدم أو توفير الحماية للتونسيين. وأشرف على العلمية فوج من جيش السوافة المرابط

1- **مسيرة راضية حداد:** نسبة إلى راضية حداد1922 - 2003 وهي ناشطة تونسية، تولت رئاسة الإتحاد القومي النسائي التونسي، منذ أواسط الخمسينيات إلى مطلع السبعينيات، وكان لها دورها في المسيرة التي نسبت إليها من المجاهدين الجزائريين.

2- تعتبر الحكومة الفرنسية في تونس أول من عجل برسم الحدود مع السلطات التركية في طرابلس في حدود سنة 1910، وسعت إلى بناء برج Fort-Saint قرب غدامس ومعها بير باستور وتقع على بعد 30 كلم شمال شرق غدامس. أنظر: علي غنابزية: مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية1882-1954، رسالة دكتوراه تحت إشراف الدكتور عمار بن خروف، جامعة الجزائر، 2009، رسالة مرقونة، ص 33.

3 - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص ص 395-396.

في تلك الحدود الثلاثية، [1] وبدعم معنوي من الجيش الليبي. [2]وبقي المجاهدون في رباطهم، وحافظوا على قارة الهامل للجزائر، ومنعوا تلك المؤامرة الدنيئة. [3]

5- دعم الجيش للمفاوضات حول الصحراء الجزائرية(أكتوبر 1961- فيفري 1962):

خلال تلك الظروف السابقة وبعدها، كانت المفاوضات على أشدها بين فرنسا والحكومة الجزائرية المؤقتة، مما جعل هذا الجيش يبقى مرابطا ومتحفزا للقتال في الفترة ما بين أكتوبر 1961 إلى شهر فيفري 1962، وكان في أتم الاستعداد لكل الطوارئ [4] وحينها كانت الصحراء محور المفاوضات، والقضية الهامة في تأخرها، [5] بل محور المفاوضات خلال السنتين السابقتين، وأخرت وقف إطلاق النار، لأن إصرار الثوار في الصحراء وصبرهم، جعل فرنسا تتراجع عن قضية فصل الصحراء عن الشمال، وتضمن للجزائر وحدتها الوطنية. [6] ولم تحدث في تلك الفترة أي معارك أو عمليات صدام مع الجيش الفرنسي. [7]

---

[1] - هي حدود تتقاطع فيها الأراضي التونسية بمركزها في فور سانت، وليبيا بمدينة غدامس، والجزائر بمراكز للجيش الفرنسي، في برج مسعودة، وسيف فطيمة، وقارة الهامل.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، عون علي، معارك وحوادث حرب التحرير، المرجع السابق، ص ص 126-127. مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 104- 105.

[3] - أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 118-119.

[4] - نفسه، ص ص 94-107.

[5] - أسفرت محادثات لي روسLes Rousses ما بين 11-19 فيفري 1962 عن قبول الفرنسيين وقف إطلاق النار، ويكون بعد إبرام اتفاقيات نهائية سياسية وعسكرية، وتتم بمصادقة المجلس الوطني للثورة الجزائرية، والذي اجتمع بطرابلس من 22 إلى 27 فيفري 1962، لدراسة نص اتفاقية ايفيان في كل جزئياتها، ولا شك أن بعض الأخبار كانت تصل للمجاهدين في الصحراء، لأن القائد زكريا على صلة بليبيا. أنظر: بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص ص 36-37.

[6] - المصدر السابق، ص ص 18-25.

[7] - أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 119-120.

وبقي جيش السوافة مرابطا، ووصلته بشائر وقف إطلاق النار في الحدود الليبية، فاحتفلوا برفع العلمين الجزائري والليبي، وشرعوا في ترحيل السلاح بالقوافل إلى جهة بير فطيمة وغيره من أرض الجزائر، ودخل الجيش إلى منطقة الدبداب الحدودية واحتفل مع الشعب يوم 5 جويلية 1962، بالاستقلال، بحضور إخوانهم من التونسيين والليبيين،[1] ورفعت الأعلام خفاقة، لتكتمل الفرحة بوحدة الكفاح المشترك بين شعوب المغرب العربي.

---

[1] - أنظر: مذكرات المجاهد الهادي بوغزالة، ص ص 113-115.

النشاط الثوري لمجاهدي وادي سوف
خارج المنطقة ما بين 1954-1962

الكفاح الثوري لأبناء وادي سوف داخل الوطن

إن انتشار المجاهدين من أبناء وادي سوف - في ربوع الجزائر الواسعة - يعتبر ظاهرة ملفتة للانتباه، ومعبرة عن العمل الوطني الموحد لأبناء الجزائر. وكان وراء ذلك الانتشار ظروف متشابكة، حتمت الإقامة المؤقتة أو النهائية، بسبب الأوضاع السياسية والأمنية والاجتماعية، التي جعلتهم يتواجدون في تلك المواقع والمدن. واختلفت أحوالهم ووضعياتهم الاجتماعية هنالك، فمنهم الذين ولدوا في تلك المناطق، لأن عائلة المجاهد هاجرت في وقت سابق طلبا للرزق أو الأمن ولاسيما في وقت الأزمات. ومنهم من ولد في إحدى قرى أو مدن وادي سوف وترعرع بها في فترة شبابه اليانع، ولكنه هاجر بمحض إرادته مع عائلته، ولما اندلعت الثورة وجد نفسه متحفزا ومستعدا لخوض غمارها. وغالبية منهم انطلقوا قصدا من مواطن عيشهم في وادي سوف إلى تلك المواطن بمفردهم طلبا للعمل، ولكن أبت إرادة الله إلا أن ينخرطوا في العمل الثوري، وسجلوا أنفسهم في قائمة المجاهدين في الجبال والمدن والبوادي البعيدة عن بلدتهم، وسقط منهم العدد المعتبر من الشهداء في ميدان الكفاح المدني أو العسكري.

وكلما تمعنا في أسماء الشوارع والساحات، والأسواق والمؤسسات والمدارس والجامعات، والقرى والمدن، والملتقيات والمنتديات في وادي سوف؛ إلا وتبرز منها قصة شهيد، سقط في ساحات الوغى خارج وادي سوف، مع إخوانه الجزائريين في برج بوعريريج أو تيزي وزو أو خنشلة أو في بوجار، أو في باريس وننانتير، أو الرديف أو إحدى المدن التونسية، وهلم جرا. وهكذا كانت وادي سوف وفية لذكراه، فخلدت اسمه، وثبتت رسمه.

كما أن الولايات الثلاث استقطبت المجاهدين، وهي الولايات القريبة، التي وجدوا سهولة في قصدها، وهي (الولاية الأولى والثانية والسادسة). ويمكن الوقوف على أبرز أعمالهم الجليلة.

أولا: النشاط الثوري لمجاهدي وادي سوف في الولايات التاريخية:

1-نشاط الثوار من وادي سوف في الولاية الأولى:

كانت الولاية الأولى هي المجال الثوري لأبناء وادي سوف في بدايات الثورة، سواء القيادة التي تولاها حمة لخضر وخاض معارك داخل العمران، أو القيادة التي تولاها بن عمر الجيلاني والطالب العربي والحبيب الجراية، وكانت المنطقة الأولى للثورة. ولما تحولت إلى الولاية الأولى، وهي المشرفة على التنظيم والهيكلة والتوجيه، واستمر ذلك إلى آخر أيام القتال. وكان نطاق المشاركة لأبناء وادي سوف من أوراس باتنة وما جاورها إلى أوراس النمامشة وتمتد إلى القاعدة الشرقية. وحازت جبال تبسة وأوراس النمامشة النصيب الأكبر من النشاط والمشاركة في المعارك، ولعل الجدول المرفق يبين ذلك في معارك الجبل الأبيض وزاريف ودكان وعالي الناس. كما أن الأوراس عموما هي المعبر عن الانتماء للولاية التاريخية للمجاهدين، واستمر ذلك من 1954 إلى 1959.

اسم المجاهد	تاريخ الميلاد	تاريخ الاستشهاد	مكان الاستشهاد
بالنور لزهاري	1941 حاسي خليفة	1957	جبل عالي الناس[1]
خالدي الطاهر	1934 العقلة	فيفري 1957	جبل عالي الناس
صوالح محمد البشير	1928 الدبيلة	أوائل 1957	جبل عالي الناس
عوينات ابراهيم	1936 حاسي خليفة	1957	دوار بجبل عالي الناس
دحدة البشير	1932 حاسي خليفة	فيفري 1957	دوار بجبل عالي الناس
فتح الله أحمد	1928 الوادي	15 فيفري 1957	بجبل عالي الناس
كركوبية خليفة	1930 الرباح	فيفري 1957	بجبل عالي الناس

[1] - **جبل عالي الناس:** جبل يقع في الأطلس الصحراوي، ما بين خنشلة وبسكرة، وحوله عدة قرى ومداشر، أقصى ارتفاع له 1800 م.

كيرد علي	1932 الوادي	فيفري 1957	بجبل عالي الناس
حميدة محمد	1935بحاسي خليفة	فيفري 1957	بجبل عالي الناس
عمر عزوز[1]	1931 بالزقم	1959	كمين بنواحي تبسة
ضو العيد	1931 الرقيبة	جوان 1957	معركة الحميمات[2]
لعبيدي صالح	1936 الوادي	أوت 1959	معركة بنقرين
غريب بلقاسم	1936 الوادي	1959	جبل سيدي أحمد سوق اهراس
بريك محمد	1931 تغزوت	1956	بجبل زاريف
رقيق محمد	1931 الدبيلة	1956	بجبل زاريف
شعباني عباس	1912 سيدي عون	ديسمبر 1956	بجبل زاريف
داسي خليفة	1933 الدبيلة	جانفي 1957	بجبل زاريف
قاسمي بشير	1933 الدبيلة	1956	بجبل زاريف
مومن بكوش عمر	1915 النخلة	1957	بجبل زاريف
بحري سعد	1940 بالوادي	1957	بجبل زاريف
لعبيدي لزهر	1932 الوادي	1957	بجبل زاريف
غانية احمد	1926 البياضة	1957	بجبل زاريف
معيوة المولدي	1928 حاسي خليفة	1956	معركة بجبل غيفوف[3]
بن عبد الله عمار	1931 نواحي لمبري	مارس 1959	بجبل العنق[4]
بن عمر محمد	1924 بالعقلة	1956	جبل العنق
دوكانة لمنور	1938 تغزوت	1956	الماء الأبيض تبسة
فار أحمد	1935 الوادي	أوت 1957	جبل دكان بتبسة
عون لزهاري	1928 الوادي	أوت 1957	جبل دكان تبسة
مليك عبد الله	1936 الدبيلة	أكتوبر 1957	جبل دكان تبسة
سديرة علي	1938 الدبيلة	1958	جبل دكان تبسة
بيسة علي	1938 الدبيلة	1958	جبل دكان تبسة
سعدون التهامي	1935 الدبيلة	فيفري 1957	بالجبل الأبيض
بوعافية رجب	1937 بالدبيلة	فيفري 1958	بالجبل الأبيض
مكي علي	1917 العقلة	مارس 1958	بالجبل الأبيض

[1] - وفاء لروح الشهيد عمر عزوز تأسست جمعية باسمه في بلدة الزقم، واحيت ندوة سنوية للشيخ العداواني.

[2] - قرب جبل سندس بين تبسة وخنشلة.

[3] - قرب زاريف الواعر.

[4] - جنوب بئر العاتر بنواحي تبسة.

حابي خليفة	1938 حاسي خليفة	جوان 1959	بالجبل الأبيض
قطوطة عمارة	1920 الرباح	1956	بالجبل الأبيض
بن عمارة بشير	1939 بالمقرن	1957	جبال الأوراس
سلطاني أحمد	1938 الطريفاوي	1 فيفري 1957	جبال الأوراس
زواري فرحات بشير	1930 الرباح	1958	جبال الأوراس
العابد عبد الكريم	1936 الدبيلة	جويلية 1958	جبال الأوراس
مجدوب صالح	1918 الرباح	أكتوبر 1959	بجبل شيليا بالأوراس
شكيري زين العابدين	1928 قمار	فيفري 1957	بابار قرب خنشلة
مسعي عون نصر	1905 الرقيبة	24 جانفي 1956	قرب خنشلة
نزلي علي	1932 كوينين	جانفي 1959	بجبل ماونة قرب قالمة
دركي علي	1935 بالوادي	1959	الجبل نواحي ونزة
العابد المولدي	1934 الرقيبة	17 نوفمبر 1961	منزله بالمغير

جدول مشاركة أبناء وادي سوف في معارك الولاية الأولي التاريخية 1954- 1959[1]

والجدير بالذكر أن الدوريات العسكرية ما بين الجنوب التونسي وحتى مركز القيادة في الأوراس، كانت تسير ذهابا وإيابا، وخصوصا في عهد الطالب العربي، ويذكر المجاهد مبروك حمتين تلك الدورية بقيادة عمار مقى ومهمتها الاتصال، ومسؤول الجانب المدني والمالي هو المجاهد زين العابدين شكيري، وكان عدد المجاهدين نحو 150 مجاهدا، وكانوا يتنقلون بين الجبال من زاريف وأم الكماكم والجبل الأبيض وعالي الناس، وغيره ووقع لهم اشتباك مع العدو، وسقط منهم أول شهيد عبد القادر الوهراني، وجرح مبروك حمتين. ووصلوا إلى نواحي خنشلة وتواصلوا مع التجار من المنطقة ومنهم بوسحابة علي من كوينين وعبد الرحمان طالبي من قمار، وقدموا لهم الهدايا، وعبروا لهم

[1] -أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، يحتوي على تراجم المجاهدين وتفاصيل عن معاركهم وتاريخ استشهادهم.

عن اعتزازهم بهم، وأنهم محل فخر لوادي سوف، لأنهم رفعوا مقامهما إلى جانب إخوانهم المجاهدين الشاوية والنمامشة. (1)

ويروي المجاهد العربي بلول، وبعد تصفية جيش الطالب العربي، والزج بهم في السجون بتونس، وخروجهم عام 1958. توزعوا في عدة اتجاهات، وكان نصيبه مع مجموعة تظم 45 جنديا، نقلوا من قبل الجبهة وبإيعاز من الحكومة المؤقتة، إلى جهة الكاف، ثم الكويف قرب تبسة، وقضوا مدة في التدريب على السلاح، وفنون القتال، وخاضوا معارك ضارية، ومنها معركة الكويف في أكتوبر 1958، وكانوا حينها ينسفون الأسلاك الشائكة من خط موريس الذي مثل عائقا منعهم من الولوج إلى داخل الوطن. كذلك معركة 23 جويلية 1961 في بكارية إلى الشرق من تبسة، وكان من قادتها قاسي محمود، وصالح السوفي والسعيد عبيد ومحمد علاق. واستمروا في تلك الجبال إلى يوم وقف القتال 18 مارس 1962. (2)

أما المجاهد إبراهيم معتوقي، فقد أشار إلى مشاركته مع بقايا جيش الطالب العربي، ومواصلتهم الكفاح في الجبال الممتدة من شرق تبسة وفي الحدود التونسية إلى جهة القاعدة الشرقية. وخصوصا في جبال بوربعية، وجبل الحوض، ويذكر من رفاقه الذين انطلقوا في هذه المرحلة، وكانوا خمسة وهم: إبراهيم معتوقي، علي بالعربي الشويرف، ومسعود الشويرف، وعبد القادر بريك، ومعراج جديدي، ووصلوا إلى جهة عين الزانة، ثم جبل طمسميدة جهة فريانة بالقصرين، وكانوا يتنقلون ويخوضون المعارك، وكلما وجدوا صعوبة مع مجموعة، يفضلون الانسحاب والانتماء إلى قيادة ثانية، وعانوا كثيرا في تلك التنقلات. (3)

---

[1] -أنظر: **مذكرات المجاهد مبروك حمتين**، منشورات ملحقة متحف المجاهد بالوادي، مطبعة سخري، الوادي – الجزائر، ب ت ط، ص ص 45-55.

[2] -أنظر: **مذكرات المجاهد العربي بلول**، من إصدارات دار الثقافة محمد الأمين العمودي بالوادي، مطبعة مزوار، ط1، الوادي – الجزائر، 2010، ص ص 44-88.

[3] -أنظر: **مذكرات المجاهد إبراهيم معتوقي**، منشورات ملحقة متحف المجاهد بالوادي، مطبعة منصور، الوادي – الجزائر، 2015، ص ص 43-68.

وكان المجاهدون السوافة على دراية واسعة بالصحراء والمناطق الجبلية، واحتاجت قيادة هيئة الأركان إدخال(أو تهريب) المجاهد محمد قنتار وجماعته إلى الأوراس، وحاروا في الأمر بسبب متانة وحصانة خط موريس، ولكن صادف وجود محمد جغابة في غار الدماء، فاقترح على قنتار، أن يستعين بالسوافة الموجودين في ققصة، وبين له قدرتهم على تنفيذ الأمر، وتم الاتصال، وكانت المجموعة متكونة من المجاهدين وهم: محمد الناوي، ومعاش الطيب، وبلول علي، ولوبيري علي، وأحمد بن إبراهيم. وشاركوا في التحضير، واجتازوا في المرة الأولى ولكنهم فشلوا، ونجحت المحاولة الثانية في شهر جانفي 1962، وتمكنوا من إدخالهم للجزائر، فوصلوا إلى جبل أحمر خدو والفيض وإلى المكان المقصود. [1]

وتوجد قصة الهروب والتهريب العجيبة، التي قادها جندي من وادي سوف، رفقة الجندي الفرنسي الذي اختار الانضمام إلى جيش التحرير. إنه المجاهد محمد الصالح نصير، والفرنسي هو نويل فافرليار المدعو (نور الدين)، الذي هرَّبَ المجاهد من مركز عسكري في تبسة، وقطعا مسافة كبرى بين الجبال، حتى وصلا إلى مركز القيادة عند الطالب العربي في الرديف.[2] في سبتمبر 1956 والتقى بالقيادة واندمج مع المجاهدين. [3]

ويروي المجاهد بلقاسم خالدي قصته – وهو من جنود الطالب العربي - بعد خروجه من السجن في تونس، أرسلته القيادة إلى غار الدماء في جانفي 1959، ثم وجهوه إلى مركز للتدريب العسكري في الكاف، وتدرب على السلاح الثقيل. وفور إنهاء مرحلة التدريب، وجهوه لجبهة القتال، في الجبال الممتدة من طمسميدة قرب

---

[1] -أنظر: **مذكرات المجاهد الرائد محمد ناوي**، مطبعة منصور، الوادي – الجزائر، 2015، ص ص 83-89.

[2] -أنظر: نصير محمد الصالح، **مذكرات مسيرة الخوف والأمل**، مطبعة سامي، الوادي – الجزائر، 2021، ص ص118-180.

[3] -أنظر: مسعود بن علي، **مسيرتي خلال مرحلتي التحرير والبناء**، مطبعة سامي، ط1، الوادي – الجزائر، 2021، ص ص 41-45.

الجبل الأبيض بتبسة وحتى المنطقة الحدودية الصحراوية في الجنوب. ووصلت معاركهم إلى جبل سيدي أحمد قرب سوق اهراس بالقاعدة الشرقية. وكانوا يعانون في جبهة القتال من معاملات بعض الفئات التي كانت تعتبرهم من المشوشين، مما دفع بلقاسم خالدي إلى الفرار إلى مجموعة تحت قيادة صالح السوفي، ولكن الجبهة رفضت ذلك وأعادته إلى فرقته الأولى. [1]

وكانت التحديات التي واجهت السوافة في تلك المناطق هي الحصار الشديد لخط موريس الشائك، والذي كان يحصد العابرين، وعبر عن ذلك المجاهد خالدي بقوله: (وما علق بذهني أن كل عمود من السلك الشائك إلا واستشهد به مجاهد). [2]

والتحدي الثاني هو ما مسهم من التمييز، واللمز من الجنود اللمامشة، بوصف جنود الطالب العربي بالمشوشين، وخصوصا بعد أحداث نكبة السوافة، ومعارضة بعضهم لقرارات مؤتمر الصومام، وما ضخم في أخبار، كان القصد منها الإقصاء، الذي جعل بعضهم يفكر في الانسحاب والجهاد داخل وادي سوف على خطى حمة لخضر. كما أشار إلى ذلك المجاهد مبروك حمتين: (قررنا أنا ومجموعة من المجاهدين السوافة الفرار من هذه المنطقة[جبل الشعنبي] والذهاب إلى سوف، لأنهم كانوا يحقروننا ويتهموننا دائما بالتشويش لأننا من جنود الطالب العربي خاصة بعد استشهاده، فقررنا الذهاب إلى سوف والقيام بعمليات هناك مقتدين بالقائد حمة لخضر فالاستشهاد أو النجاة وكان هذا في خريف 1958. والظاهر أنها جاءتهم وشاية بنا فمنعونا من حراسة الليل خوفا من أن نهرب).[3]

---

[1] -أنظر: **مذكرات المجاهد بلقاسم خالدي**،، مطبعة سامي، الوادي – الجزائر، 2021، ص ص 65-86.

[2] -نفسه، ص 86.

[3] -أنظر: مذكرات المجاهد مبروك حمتين، ص ص 62.

-نشاط المجاهدين السوافة في القاعدة الشرقية:

كان للمجاهدين من وادي سوف مشاركة في القاعدة الشرقية، [1] والجبال المتاخمة للشرق الجزائري، ولاسيما عندما التحقت مجموعة من جنود الطالب العربي بمقر القيادة العامة في غار الدماء، ووجهوهم للتدريب لعدة أشهر. وأهمهم الصادق ادقاشي، وعبد القادر الكردوس، وعبد المالك قريد(الجنة)، وعمار كراسع، وعبد القادر الأسود، وعبد العزيز زايدي وغيرهم. وكان التحدي الذي واجههم هو العجز عن اجتياز خط موريس نحو الداخل،[2]وحاولوا في أوائل 1960، ولكنهم فشلوا. واتجه جيشهم نحو جبل سيدي أحمد القريب من الونزة، وخاضوا المعارك لمدة ستة أشهر، استهدفوا المراكز العسكرية الفرنسية. وكان آخر هجوم أثناء المفاوضات في 14 مارس 1962، على كامل تراب القاعدة الشرقية، وأصيب يومها المجاهد المولدي الساكر بقذيفة قاتلة ذهبت بطرف من رأسه،[3] فاستشهد في الحال. [4] والذين شاركوا في الثورة في تلك الجهات نذكر منهم:

-الشهيد علية إبراهيم استشهد في بوججار عام 1958.

- الشهيد فطحيزة عمارة، خاض معارك عديدة في الأوراس، وانتهى به الأمر إلى الاستشهاد في بوججار بالقاعدة الشرقية في شهر نوفمبر 1961.

-الشهيد غريب بلقاسم، وشارك في معركة بجبل سيدي أحمد واستشهد عام 1959.[5]

---

[1] - تعتبر القاعدة الشرقية منطقة مستقلة عن الولايتين الأولى والثانية، وتمثل سوق اهراس قاعدتها، وهي محددة في الجبال الحدودية مع تونس، ولها عدة مراكز للتدريب والإيواء. كما تمركزت بها قيادة الأركان في غار الدماء منذ 1960.

[2] -أنظر: **مذكرات المجاهد الصادق دقاشي**، دار سامي، الوادي – الجزائر، 2021، ص ص 88-93.

[3] -نفسه، ص ص 104-124.

[4] - **المولدي الساكر:** ولد بالوادي 1927، وشارك في الثورة في تونس، والذي خاض المعارك في الأوراس، ووصل إلى مدينة سوق اهراس وشارك في معركة قرب مركز بوججار بالقاعدة الشرقية سنة 1961، وظل يتنقل حتى استشهد عام 1962. أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 724.

[5] -أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص ص 818-869-849.

-الشهيد أحمد حميداتو، استشهد في معركة بعين الزانة بالقاعدة الشرقية سنة 1960.[1] ودون أن ننسى القائد ديدي صالح المعروف بصالح السوفي الذي انضم للثورة مبكرا، وكان نشطا في الأوراس، وتولى المسؤولية ما بين 1957-1959 خلفا للرائد عبد الله بلهوشات، ولما أنشئت هيئة الأركان، عين في جانفي 1960 قائداً على المنطقة الجنوبية الممتدة من جبل سيدي أحمد بالقاعدة الشرقية إلى أقصى الصحراء شرقا، ومعه نواب، هم السعيد عبيد وعباس غزيل ومحمد علاق. ورغم الحصار بسبب خطي شال وموريس، فقد أبلى البلاء الحسن وزرع الرعب في أركان الجيش الفرنسي.[2]

2- النشاط الثوري لمجاهدي وادي سوف في الولاية الثانية:

شهدت الولاية الثانية (الشمال القسنطيني) أحداث 20 أوت 1955، والتي نظمتها الثورة لفك الحصار على الأوراس، وتأكيد استمرارية الثورة، وتعميمها في كل المناطق، ورفع معنويات المجاهدين، والرد على الأساليب الاستعمارية. وهي عبارة عن هجومات استهدفت 39 هدفا على مستوى الولاية حددت بدقة، ومنها منطقة عين عبيد،[3] القريبة من قسنطينة،[4] والتي شارك في أحداثها عدد من أبناء وادي سوف، وسقط منهم في حدود إثنى عشر من الشهداء. منهم ستة من عائلة بلعبيدي أصلاء بلدة كوينين، وكان منهم التجار، أصحاب الدكاكين والمحلات في المدينة، وكلهم ولدوا بكوينين، وهاجروا طلبا للرزق. وهم بلعبيدي محمد الكبير من مواليد 1904، وبلعبيدي التجاني من مواليد 1927، وبلعبيدي محمد الحافظ من مواليد 1938، وبلعبيدي لعبيدي من مواليد 1895، وبلعبيدي العروسي من مواليد 1915، وهذا

---

[1] -نفسه، ص ص 579.

[2] -أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 82.

[3] - **عين عبيد:** تقع في الجنوب الشرقي من قسنطينة وتبعد عنها بحوالي 43 كلم.

[4] - أنظر: عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ج1، ص 316-317.

الأخير، اقتحم الفرنسيون بيته وأعدموه كما أعدموا ابنه وبناته الثلاث وزوجته. ولكن زوجته أُخرجتْ من المقبرة الجماعية بعد أن اكتشف الناس أنها مازال بها رمق من الحياة، ونقلت إلى مستشفى قسنطينة وعاشت بعد زوجها عدة سنوات. [1] وكان منهم العالم الزيتوني، والفقيه الشيخ السعيد بن محمد بلعبيدي، المولود بكوينين سنة 1893، والذي سافر يوم 19 أوت لزيارة أقاربه في عين عبيد، فوجد صعوبة في دخول المدينة فنزل ضيفا عند أحد المزارعين، وفي الغد من يوم 20 أوت، حاول الدخول للمدينة، ولكن رصاص المعمرين كان له بالمرصاد، ونال الشهادة، ودفن مع إخوانه من عائلة بلعبيدي في مقبرة جماعية. [2]

وكذلك الشهيدان من بلدة كوينين عزيزة عبد الجبار المولود عام1929، وأخيه عزيزة عمارة المولود 1936 بكوينين، وكليهما عملا في المتاجر، وسقطا مع بعض الشهداء في أحداث 20 أوت 1955. [3] ونفس الحال كان للأخوين مولاتي عمارة المولود بكوينين 1929، وأخيه إبراهيم المولود بكوينين 1934، واستشهدا في يوم 20 أوت 1955. [4] ويلحق بهم الاخوان من عائلة سعودي أصلاء كوينين، وهما: معمر سعودي المولود بكوينين سنة 1928، والذي بدأ العمل في التجارة بعين عبيد بطلب من عمه عام 1952. وانخرط في العمل الثوري المدني عام 1955، واستشهد في أحداث 20 أوت. أما العروسي سعود ولد في كوينين عام 1939، وهو من تلاميذ معهد بن باديس، ودرس في جامع الزيتونة بتونس، وخلال عطلة الصيف، زار عمه في عين عبيد، وانتمى مثل أخيه إلى العمل الثوري، ووجد نفسه مشاركا في أحداث

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص ص 378-382.

[2] - أنظر: عبد العزيز بلعبيدي، **رجال أخيار**، اصدار الجمعية الثقافية محمد العيد آل خليفة، مطبعة سيب، كوينين - الوادي، 2010، ص ص 11-13.

[3] - أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص ص 781-782.

[4] - نفسه، ص ص 932-933.

20 أوت، وسجل اسمه في قائمة الشهداء. [1] وهكذا جسد أبناء كوينين اللحمة الوطنية بين أبناء الجزائر العظيمة.

وحتى الذين كانوا يعملون في صمت، وبسبب وجود أحد أفراد العائلة في الثورة، يكون مصيره القتل، وهذا ما وقع للشهيد صلوح البشير من كوينين الذي فتح دكانا في عين فكرون قرب قسنطينة، وانتمى للعمل المدني السري، ولكن التحاق أخيه عبد الحفيظ بجيش التحرير، كشف مراقبة الاستعمار لحركاته، والقي عليه القبض في صائفة 1958، ووجد مقتولا مع جمع من الشباب في الحامة قرب قسنطينة. [2]

3- كفاح المجاهدين من وادي سوف في نطاق الولاية السادسة:

كانت صحراء الجنوب الشرقي تابعة في بداية الثورة للمنطقة الأولى الأوراس، واستمرت إلى موعد انعقاد مؤتمر الصومام الذي جعل الصحراء ولاية بحد ذاتها، وتعاقب عليها عدد من القادة، أبرزهم سي الحواس الذي أعاد ترتيب مناطق الولاية، وربطها بالجبال،[3] وأهمها المنطقة الرابعة وتضم بسكرة ووادي سوف، وتقرت وورقلة. [4] وكان أبناء وادي سوف ضمن جنودها، ووصلوا إلى مراكز قيادية، ومنهم:

أ- مجاهدون في مراكز قيادية:

-الرائد زكرياء: [5] الذي تنقل من وادي سوف إلى بسكرة أواخر سنة 1955، وكان والده يملك بها بستانا من النخيل، فباع المنتوج من التمر واشترى بندقية حربية

---

[1] - نفسه، ص ص 698-699.

[2] - سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 758.

[3] - أنظر: علي غنابزية، الكفاح السياسي والعسكري، ص 82.

[4] - أنظر: عمار حشية، **في الاطلس الصحراوي**، دار افريقيا للنشر والتوزيع، مطبعة دركي، الوادي – الجزائر، 2001، ص 25.

[5] - **الرائد زكرياء:** هو الطيب فرحات حميدة الذي ولد بحي تكسبت بمدينة الوادي، عام 1919، نشأ في أسرة ميسورة الحال، تنتمي للحركة الإصلاحية، فتعلم على شيوخ المدينة القرآن والمبادئ الأولية، ودخل المدرسة الأهلية، ولكن والده أصر على تعليمه الديني، لأنه كان من شعبة جمعية العلماء المسلمين. كما حظي الشاب بمقابلة الشيخ عبد الحميد بن باديس مرتين، أولها عندما زار الوادي أواخر عام 1937، والثانية بتونس عندما التقى ابن باديس بالطلبة الجزائريين، وذكرهم

وصعد إلى جبل الأوراس، وتقلد عدة مناصب ورتب عسكرية، ومنها نائب مسؤول منطقة تحت اسم شوقي، ثم مسؤولا للمنطقة الثانية بالولاية السادسة عام 1958، ثم أمينا عاما للولاية إلى جانب قائدها سي الحواس، واستمر في مرافقته إلى يوم استشهاده يوم 29 مارس 1959. [1]

- **المجاهد عمار حشية** التحق بالثورة استجابة للنداء الذي أصدره الإتحاد العام للطلبة الجزائريين 19 ماي 1956، وكان الالتحاق يوم 22 أكتوبر 1956، بجبل الحاجب بضواحي بسكرة بمعية 14 شابا من نفس المدينة. تم توجه نحو جبل «أمحاريق» بالقرب من مدينة بوسعادة، وكان على اتصال بقائد الولاية سي الحواس الذي عينه - بحكم ثقافته – كاتبا بقسمة بوسعادة، وكان بمثابة أمين سر القائد سي الحواس. [2] ويقول عن نفسه: (كنت من بين المتعلمين القلائل في ذلك العهد، لهاته الأسباب اشتغلت كأمين سر للعديد من المسؤولين ابتداء من المسؤول السياسي إلى مسؤول الولاية، وذلك طوال وجودي بالجبل، كنت متمكنا من اللغة العربية الفرنسية). [3] وشارك في معركة في عام 1957، ولكنه القي عليه القبض في الجلفة إثر اشتباك في 19 جوان 1959، وأودع السجن الذي فر منه بعد أربعة اشهر. ومنذ

بالاستعداد لخدمة الجزائر. وكانت روح المقاومة تسري في نفسه والتي زرعها والده، عندما أراه سيف جده الذي شارك به في معركة المقارين لصد الغزو الفرنسي عام 1854. تحصل على شهادة العالمية من الزيتونة، والتحق بجامعة السربون بفرنسا ونال شهادة ليسانس في الحقوق. شارك في الثورة إلى نهايتها، وفي عهد الاستقلال مارس عدة مهام إدارية ودبلوماسية وسياسية، إلى يوم وفاته 24 فيفري 2020. أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 214. منتدى وادي العرب الجزائري، تم الاطلاع يوم 2012/07/04. موقع يومية البلاد، الجزائر. تم الاطلاع يوم 2022/02/06، الساعة 10.30 ليلا. الرابط:https://www.elbilad.net/derniere-info

[1] - أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص ص 78-79.

[2] - أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص ص 132.

[3] - أنظر: عمار حشية، **الحركة الثورية في وادي سوف**، دار سامي، الواذي-الجزائر، 2021، ص 38.

22 أكتوبر 1959 وإلى غاية الاستقلال، كان نشاطه الثوري ما بين منطقة آريس وبسكرة وبوسعادة ومنطقة الجلفة. [1]

كما أن المجاهد العابد العربي، الذي جاهد في جبل أحمر خدو، صار من رفقاء أحمد بن عبد الرزاق، وأوصله مرة إلى تونس في طريقه إلى ليبيا، ورافقه في رحلة ثانية إلى تونس، وعند عودته منها تاركا سي الحواس في مكانه، تعرض العابد العربي لكمين نصبه العدو، وسقط شهيدا بمنطقة الفيض في جوان 1957. [2]

أما الشهيد زواري فرحات بشير، والذي كان ضمن قوات الطالب العربي، بالولاية الأولى، والتحق سنة 1958 بسي الحواس، واستشهد في نفس السنة في ديسمبر بجبال الأوراس. [3]

كما أن الشهيد صوادقية الجيلاني جاهد في الولاية الأولى، ودخل إلى المنطقة الأولى منها رفقة سي الحواس عام 1957. واستشهد في الحدود التونسية 1958. [4] إضافة إلى قادة الدوريات العسكرية المختلفة.

ب-نشاطات القائد عبد المجيد بوصبيع:

كان المجاهد عبد المجيد بوصبيع[5] مسؤولا في مركز الاتصال والأخبار للصحراء ومنطقة وادي سوف، والذي عين بموجب قرار رسمي من العقيد سي الحواس في

---

[1] - أنظر: عمار حشية، الحركة الثورية، ص 38. عبد الحميد بسر، الامجاد، ص ص 133.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص ص 358.

[3] - سعد العمامرة، قاموس الشهيد،، ص ص 683.

[4] - نفسه، ص ص 761.

[5] - **المجاهد عبد المجيد بوصبيع:** ولد عام 1935 بالبياضة بوادي سوف، وحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ثم التحق بالمعهد الزيتوني بتوزر مع أقرانه من سوف. ولكنه انقطع عن الدراسة يوم 19 أكتوبر 1955، واتصل بالقائد الجيلاني بن عمر في الجبال المحيطة بالرديف، فكلفه بالرجوع للمعهد وتوعية الطلبة وتجنيد بعضهم للثورة. تمكن من تجنيد بعض أصدقاء الدراسة، ومنهم العروسي حنكة، وعزة العيد، وبن عمر جعفر، وغيرهم. وكان من الشباب الذين اختارتهم القيادة للتكوين والتدريب العسكري، كما كان جنديا في جيش الطالب العربي. وعين على رأس مركز الاتصال والاخبار للصحراء. ونجح في عمليات نقل السلاح للداخل. التحق عام 1961 بالكلية العسكرية السورية وتخرج عام 1963 برتبة

ماي 1957. ورغم صعوبة منطقة النشاطات، وآثار النكبة التي حلت بجيش الحدود، قام هذا المجاهد مع رفاقه بأعمال هامة، ومنها:

- الاتصال بوادي سوف عن طريق أفراد شجعان، وحثهم على القيام بجمع التبرعات، وشراء الإبل، ونقل السلاح إلى داخل الأراضي الجزائرية.

- إرسال الدوريات العسكرية المحملة بالسلاح والذخيرة إلى الولاية السادسة وعبر الصحراء ما بين 1957-1959. [1] وتظم قوافل تمرير السلاح والتي تقطع مسافة طويلة لا تقل عن 500 كلم، بداية من الحدود التونسية إلى بوسعادة (مركز الولاية السادسة) مرورا بمرتفعات أولاد نايل والزاب وأوراس النمامشة. [2]

وأثناء مسير تلك القوافل أو الدوريات المرافقة لها من أجل حراستها والعناية بترحيل السلاح بسلام، كانت تتعرض للمتابعات الفرنسية، وتقع اشتباكات ومعارك، ونسرد منها الحوادث التالية:

- اشتباك الأقواس (15 أوت 1958):

خرجت دورية من مركز الاتصال بالجنوب التونسي، بتكليف من القائد عبد المجيد بوصبيع، واتجهت إلى مواقع القائد سي الحواس، وكان رئيس الدورية هو المجاهد زايدي الملكي،[3] ومعه 05 مجاهدين، يسوقون أمامهم 06 جمال محملة بالذخيرة،[4] واتجهت في طريقها نحو الجبل، وتوقفت مدة ست ساعات في منتصف النهار. وكانت الصحراء عارية جرداء، فتقدم نحوهم عدد من جنود القومية في منطقة تدعى

ضابط مدرعات، وظل في الجيش الوطني الشعبي حتى وصل لرتبة عقيد. وبعد تقاعده استقر في عنابة، والتي توفي بها يوم 9 أوت 2004. أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 213.

[1] - أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 214.

[2] - أنظر: عمار حشية، في الاطلس الصحراوي، ص 14.

[3] - كان المجاهد زايدي الملكي ورفقة اخوانه المجاهدين، يتحرك في رحلات من تونس نحو الولاية السادسة، يحمل البريد والذخيرة الحية، بمعدل رحلة لكل شهرين، دامت نحو سنتين، من أواخر 1957 إلى نهاية 1959. أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 283.

[4] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 59.

الأقواس،[1] وألقوا عليهم قنبلة، فلم يرد المجاهدون على الهجوم، وفجأة توقف إطلاق النار، وظن القومية أن المجاهدين قتلوا، فأطل أحدهم، فأردوه قتيلا، وخاف أصحابه من نفس المصير، ففضلوا الفرار تحت وابل من الرصاص، تاركين وراءهم الجمال والمتاع. وفورا غادر الثوار نحو الجبل، والتجأوا إلى خيام البدو، ونزلوا عند عرشي «أولاد نايل» و«أولاد عمر»، فأكرموهم خير إكرام، وأخفوا ذخيرتهم. ورغم ذلك أدركتهم القوات الفرنسية التي استنفرت جنودها، الذين حملوا على الشاحنات من العاتر ونقرين ووادي سوف، وظلوا يضربون الصخور بمدافعهم، وتحلق طائراتهم في سماء المنطقة، وفي الأخير رجعوا خائبين. [2]

وكانت نتائج الاشتباك، مقتل قائد العدو، وعدد من الجرحى. بينما سلم المجاهدون،[3] وتركوا جملا عجز عن الحركة، حمولته المقدرة 2500 خرطوشة. ثم واصلت الدورية خط سيرها ليلا إلى «زريبة حامد» ثم بلغت هدفها عند سي الحواس، وسلموه البريد والذخيرة، ومكثوا عنده شهرين كاملين. [4]

- **اشتباك قور الجوالي (سبتمبر 1958):**

أعطى القائد عبد المجيد بوصبيع أوامره إلى دورية من المجاهدين، أوكل قيادتها إلى زايدي الملكي، تتكون من 6 مجاهدين، ومعهم 3 جمال محملة بالذخيرة لتحمل إلى سي الحواس بالولاية السادسة. [5]

انطلقت الدورية ليلا من توزر بالأراضي التونسية إلى الهيشة ثم وادي الضل، واستأنفوا المسير في اليوم الموالي حتى وصلوا منطقة قور الجوالي[6] مع حلول الظلام،

---

[1] - **الاقواس:** منطقة صحراوية بها أشكال من الحجارة تشبه الاقواس.

[2] - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 273-278.

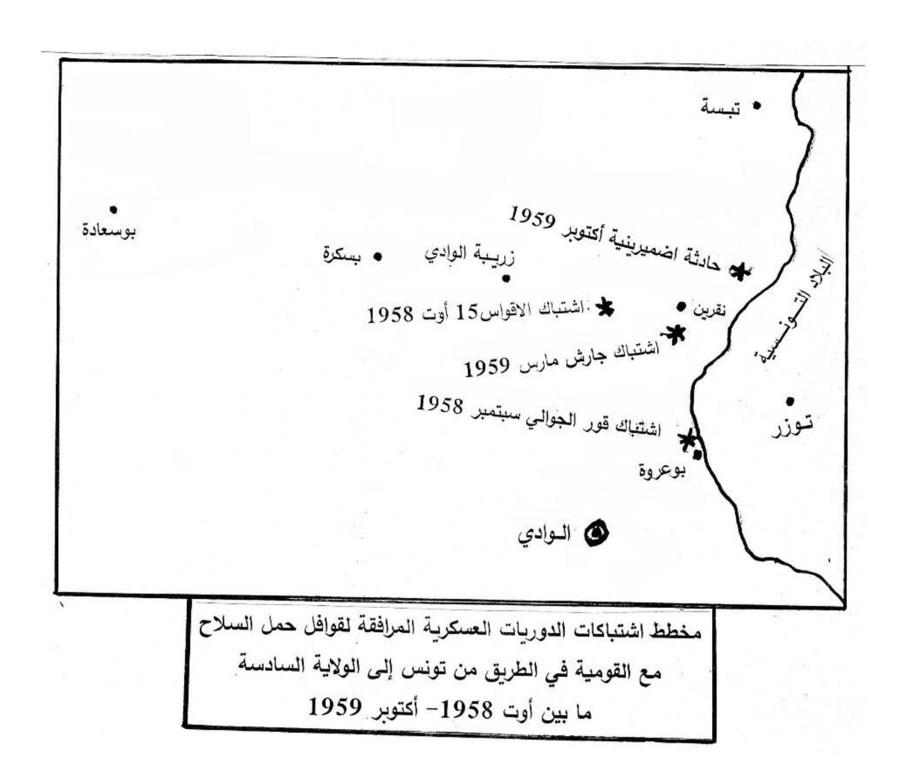
[3] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 59.

[4] - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 276-278.

[5] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 80.

[6] - **قور الجوالي:** كلها مناطق في نواحي بوعروة وشوشة اليهودي، وقريبة من حدود وادي سوف.

فوجدوا القومية سبقوهم إلى ذلك المكان. [1] وبادر القائد الملكي إلى تقسيم أفراده إلى مجموعتين، فاعتقد القومية أن الدورية القادمة نحوهم من أتباعهم، فطلبوا منهم كلمة السر،[2]وحينها أطلق المجاهدون النار عليهم في حدود الساعة التاسعة ليلا، واستعمل القومية الطلقات المضيئة. ودام القتال نحو ساعة أو يزيد، وحينها انسحب مجاهدان بأسلحتهما نحو تونس، بينما بقي قائد الدورية يصد الهجوم، ويحاول حماية الجمال الثلاثة المحملة بالذخيرة، ولكن دون جدوى، ولم يملك هو الآخر إلا الانسحاب. وخسرت الدورية جمالها الثلاثة المحملة بعدد 7500 خرطوشة، ولكن أرواحهم سلمت جميعها. أما القومية فسجلوا في صفوفهم عددا من الجرحى فقط. [3]



مخطط اشتباكات الدوريات العسكرية المرافقة لقوافل حمل السلاح مع القومية في الطريق من تونس إلى الولاية السادسة ما بين أوت 1958- أكتوبر 1959

[1] - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 280.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 80.

[3] - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 281.

- اشتباك جارش (مارس 1959):

خرجت دورية متكونة من 7 جنود، ومعها 8 جمال محملة بالذخيرة، وكانت بقيادة زايدي الملكي. وكان ذلك بتكليف رسمي من المسؤول عبد المجيد بوصبيع. وبدأ الانطلاق من توزر، وشقت القافلة طريقها إلى داخل الاراضي الجزائرية.[1]ولما وصلت إلى وادي جارش،[2] توقفت طلبا للراحة، وخوفا من كشفها في ضوء الصباح. [3] ولكن عندما حل المساء، ظهرت لهم قوات العدو، وهي قافلة عسكرية بها خمس شاحنات مملوءة بالجنود، نزلوا واتجهوا نحوهم، ووقع تبادل إطلاق النار، دام نحو ساعة ونصف، وخلف الاشتباك 20 قتيلا في صفوف العدو، وعدد من الجرحى. ورجعت فرقة المجاهدين تاركة وراءها جملا ميتا. [4]

- حادثة اضميرينية (أكتوبر 1959):

كانت فرقة من المجاهدين بقيادة زايدي الملكي، في طريق العودة من الولاية السادسة إلى مركز القيادة بتونس، بجمالها الفارغة. فلما وصلت الفرقة إلى منطقة اضميرينية، [5] وجدوا أنفسهم وجها لوجه مع ثلاث نقاط للحراسة بالمدفعية الخفيفة، وكانت ليلة مقمرة، فتناثرت حولهم القذائف. ولكن المجاهدين تسللوا وتركوا جمالهم، ووصلوا إلى قاعدتهم في تونس سالمين.

وكانت هذه آخر دورية للملكي زايدي، ورافقه المجاهد فرحات احميدة الطيب(زكريا) كمبعوث للقائد سي الحواس، وممثلا عن الولاية السادسة لدى قيادة الثورة، وفي طريقهم سمعوا بخبر معركة جبل ثامر بالقرب من بوسعادة في 29 مارس 1959، واستشهاد القائدين سي الحواس وعميروش، ومع ذلك واصلوا طريقهم إلى

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 61.

[2] - **وادي جارش:** يقع جنوب منطقة نقرين على بعد 95 كلم عن الحدود.

[3] - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 283.

[4] - أنظر: سعد العمامرة، علي عون، معارك وحوادث حرب التحرير، ص 61.

[5] - **اضميرينية:** تقع في نواحي تبسة غرب الطريق الرابط لها مع وادي سوف.

تونس، وتعرفوا عن بعضهم، عندما تفاجأ زايدي الملكي بأن زكريا هو ابن بلدته وادي سوف، ويتولى مهمة مرموقة لدى قيادة الولاية.[1]

وهكذا كانت الدوريات العسكرية فاعلة، رغم كل الصعاب والتحديات التي واجهتهم، وتلك طبيعة الصراع، والتدافع المستمر. وتعتبر تلك العمليات حلقة ضمن مراحل الكفاح، التي واصلت على خطى جيش الحدود والصحراء، والذي بعث مرة أخرى بعناصره القديمة، وما تدعمت به من فئات الشباب المجند حديثا، والذين صنعوا مجدهم في الصحراء ودام ذلك ليوم الاستقلال.

ج-ارتباط التنظيم المدني بالولاية السادسة:

كانت وادي سوف في اتصال مستمر مع الولاية السادسة، وخصوصا بعد نكبة جيش الحدود ووقوع مجازر أفريل 1957، وحدوث ركود عابر، تجدد بعد مدة ليست طويلة. وحسب شهادة المجاهد العيد غوري، فإن الاتصال الأول تم في افريل 1958 عن طريق الطاهر دقعة، وكان التعامل مع المجاهد أحمد ديدة، وبعد استشهاده خلفه نصرات حشاني على رأس العمل. [2]

وكان واسطة الارتباط، والذي ذلل السبيل للعمل المشترك، هو المناضل محمد الصالح مسغوني، مسؤول التنظيم الثوري السري بناحية تقرت. والذي اختار بعض الفدائيين، وكلفهم بالعمل، أبرزهم نصرات حشاني[3] الذي شرع في ذلك النشاط عام 1958، وتمكن من الربط الوثيق بين وادي سوف وقيادة الولاية السادسة، وصارت تعمل تحت إشرافه، وشرع في تكوين النظام المدني من جديد، وأنشأ خلايا

---

[1] - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 283-289.

[2] - نفسه، ص 226-227.

[3] - **نصرات حشاني:** ولد ببلدة الرقيبة سنة 1935، وعاش بها مدة، وانتقلت عائلته إلى المغير بوادي ريغ، وانتمى إلى الثورة في حدود جوان 1958 ضمن المنظمة المدينة، ولكن وقع اشتباك بناحية عين الشيخ فسقط شهيدا. أنظر: سعد العمامرة، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص 173.

سرية. [1] بعد جمعه المعلومات من المناضلين في وادي سوف بواسطة الرسائل المتبادلة مع نصرات حشاني، ثم نظم لهم لقاء في المغير، وكان الوفد يضم إبراهيم الساكر، مسعود مسقم (خونا)، إبراهيم النجعي، بن عمر مسعود، بشيربلوم، بن موسى بشير، وكونوا هيكلة، وكلفهم بجمع المال والدواء وارساله للولاية السادسة.[2]

لقد تشجع نصرات حشاني للعمل مع مناضلي وادي سوف، مما دفعه إلى تنظيم زيارات عديدة للمنطقة، وخصوصا الرقيبة التي كانت مكان مولده، وتمت الزيارة عام 1960. كما زار مدينة الوادي في أوائل 1961، واجتمع بالمناضلين في بيت المناضل محمد الصالح بكوش.[3] ولكن وصلت أخبار الاجتماع إلى السلطات الفرنسية، فألقت القبض على صاحب البيت في 24 سبتمبر 1961، وزج به في السجن، وتعرض للاستنطاق والتعذيب. وقامت السلطات العسكرية بملحقة الوادي بهدم منزله حتى يكون عبرة للسكان. [4]

وكانت خلايا التنظيم منتشرة في وادي سوف، ولاسيما مدينة قمار، والزقم وحساني عبد الكريم، وتغزوت، وأهمها مدينة الوادي، والتي انتمى إليها الأعيان وكبار التجار، وتطور النظام إلى شراء سيارة من نوع 403، وعينوا لها سائقا محترفا، هو المناضل التجاني ذهب، وصارت تتحرك لصالح الثورة، وتعمل في الخط ما بين الوادي وتقرت وبسكرة، وتقوم بتنفيذ المهمات العسكرية والمدنية.

---

[1] - أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 226.

[2] - شهادة المجاهد إبراهيم الساكر في الندوة الولائية في الذكرى الخمسون لمجازر رمضان 1957، المنظمة في متحف المجاهد بالوادي، يوم السبت 28 أفريل 2007، على الساعة التاسعة والنصف صباحا.

[3] - **محمد الصالح بكوش:** ولد عام 1937 بالبياضة بالقرب من الوادي، وتربي في عائلة عريقة، فحفظ شيئا من القرآن، والتحق بالمدرسة الأهلية ونال قسطا من الفرنسية. ولما بلغ سن الشباب، سافر للعمل في فرنسا في فيفري 1954، وناضل في هياكل جبهة التحرير، وبعد عودته للبلاد عام 1958، واصل النضال السري، ولما عرف أمره سجن إلى غاية فيفري 1962. عمل موظفا بعد الاستقلال، وانتخب رئيسا لبلدية الوادي لعهدتين 1967-1975. توفي يوم 18 نوفمبر 1985. أنظر: عبد الحميد بس، الامجاد من أبناء سوف، ص 168-169.

[4] - أنظر: عبد الحميد بس، الامجاد من أبناء سوف، ص 168.

وكان التنظيم السري يجمع إلى جانب المال، الدواء من مختلف المناطق التي يتواجد بها الأصدقاء، من قسنطينة وبسكرة، والأكثر من مستشفى الوادي، وكان المناضل والعامل بالمستشفى، هقي أحمد المعروف بكنيته (بده باباهم) المسؤول على تلك العمليات،[1] ويوضع الدواء في بيت عمته المجاهدة هقي مسعودة المعروفة بكنيتها (سودة باباهم) [2] الساكنة قرب المستشفى مباشرة. وكان العامل في المستشفى إبراهيم النجعي،[3] الذي كلفوه بتسليم الدواء لكل من يعمل مع الثورة، وكان يسلم الدواء لكل من إبراهيم الساكر، ومسعود خونا، فيرسلوا بعضها للولاية السادسة، وبعضها لجماعة عنابة والتي يرسلوها بدورهم للولاية الثانية.[4]

ولما تتجمع الأدوية من المناطق المذكورة خارج وادي سوف، يتم تهريبها وتنقل إلى الثورة، كما تجمع المواد التموينية، وتنقل في الحافلة إلى سطيل أو المقيبرة ومنها تأخذ طريقها للجبال.[5]

[1] - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 226-233.

[2] - **سودة باباهم:** كانت تسكن في حي الجدلة المقابل للمستشفى القديم بالواديمستشفى البشير بالناصر حاليا، وكانت تستقبل الدواء من المستشفى في صناديق كرطونية، وتستغل فرصة جلب صناديق كبيرة تستعملها لتربية الجديان، وهي التي ترميها الصيدلية عادة. وكان إبراهيم النجعي الراعي للمهمة. وتكرر الأمر لعدة مرات، ولما أخبرتها زوجة ابنها غنابزية زينة بنت محمد، لم تبال واستمرت العملية، ويبقى الدواء في بيتها مدة ثم يؤخذ للولاية السادسة. لقاء مع خالتي زينة غنابزية ببيتها بحي الجدلية بالوادي يوم الخميس 17 فيفري 2022 مساء.

[3] - ذكر المجاهد إبراهيم النجعي، أنه في المساء، يقصد بيت سودة بنت باباهم، ويأخذ منها الدواء الذي وضعته في دار السقيفة، وعندما يعزم على مغادرة المنزل، تسأله لمن هذا الدواء، فيقول لها للمجاهدين، فتفرح كثيرا، وتطلق زغرودة معبرة عن احساسها وشعورها بالمشاركة في الدعم والاسناد للثورة التحريرية. لقاء عابر مع المجاهد إبراهيم النجعي، يوم الأربعاء 16 مارس 2022 في سويبرات بن ساسي على الساعة 9.40 صباحا.

[4] - شهادة المجاهد إبراهيم النجعي في الندوة الولائية في الذكرى الخمسون لمجازر رمضان 1957، المنظمة في متحف المجاهد بالوادي، يوم السبت 28 أفريل 2007، على الساعة التاسعة والنصف صباحا.

[5] - أنظر: عوادي، المرجع السابق، ص 228-229.

ولكن استشهاد نصرات حشاني يوم 10 جوان 1961 بعين الشيخ[1] بسيدي خليل، جعل القيادة تتغير، فخلفه السيد عبد الرحمان تواتي، ولكنه استشهد بعد شهر واحد في معركة بالمقارين، فآلت القيادة إلى السيد عثمان عصمان الذي عجز عن التسيير الحسن، ولم يتحكم في العمل والنشاط، فاكتشف النظام يوم 12 نوفمبر 1961، عندما عثرت السلطات الاستعمارية على الوثائق والسجلات وقوائم المنخرطين بالمغير، وامتد الأمر إلى وادي سوف يوم 19 نوفمبر 1961. وبدأت حملة الاعتقالات، والتعذيب في سجن لامبيز بتازولت بباتنة، وأفرج عن بعضهم، وبقي ستة من مناضلي وادي سوف إلى غاية 12 جانفي 1962. [2]

د-الدور الثوري لأصلاء وادي سوف في بلاد الزاب:

تعتبر بلاد الزاب من ضمن المناطق الهامة في الصحراء، والتي واكبت النشاط الثوري في وقت مبكر، وكان أصلاء وادي سوف من ضمن المناضلين والمجاهدين البارزين. وبحكم العلاقة بين الزاب وسوف، وحسن الجوار، استقرت عائلات عديدة في بسكرة، والتي حمل بعض شهدائها من سوف أسماء مؤسسات مازالت حافظة لهذا الرابط القوي بين الإقليمين، تحت مظلة الوطنية والعقيدة السمحاء.

وأول المناضلين المجاهد الطيب خراز(1925- 2006) من مواليد تغزوت، والذي أشرف على التحضيرات للثورة ببسكرة، وبعد نجاح العمليات في بسكرة يوم أول نوفمبر، القي القبض على الطيب خراز، والذي خضع للتحقيق والاستنطاق، وتبنى كل التفجيرات، وأنها من فعل الثورة، ومنفذوها هم رفاقه الذين التحقوا بالجبال. وهذا عرضه لحكم عسكري شديد، من محكمة قسنطينة، وهي 12 سنة بسجن الكدية، ثم حول إلى لامبيز. وأثناء وجوده في السجن، حوله إلى مدرسة حقيقية لتعليم المساجين القراءة والكتابة، وتعريفهم بالتاريخ الوطني ومبادئ الثورة التحريرية. وبقي في السجن

---

[1] - أنظر: السجل الذهبي، ط2021، ص 39.

[2] - أنظر: عبد القادر عوادي، المرجع السابق، ص 235-238.

الى يوم وقف إطلاق النار. [1]

أما المجاهد الهاشمي طرودي (ولد 1926) في بسكرة، من عائلة سوفية، وكان صديقا للطيب خراز، وسار على نهجه في الثورة، ولما اكتشفت الخلية التي ينتمي إليها، اعتقل في ماي 1955، وزج به في السجن مدة ست سنوات ونصف، قضاها متنقلا بين معتقلات باتنة، والجرف، آفلو، أركول، بوسوي، وأخيرا بول كزال، وأفرج عنه يوم 15 سبتمبر 1961، وفرضت عليه الإقامة الجبرية ببسكرة. [2]

أما الشهيد رشيد رضا العاشوري المولود عام 1936، وهو أصيل كوينين، والذي جند فدائيا على مستوى مدينة بسكرة عام 1955، وقام بعدة عمليات، تفجيرية، وتصفية عدد من الخونة، وأحرق بعض العربات والمنشآت، حتى ألقي عليه القبض أثناء الحصار الذي تعرضت له مدينة بسكرة في ماي 1957، وحول إلى سجن الكدية، وحكم عليه بالإعدام، ونفذ بواسطة المقصلة يوم 22 فيفري 1958. [3]

ويعتبر الطبيب الشهيد البشير بن ناصر(1930 -1961) مخضرما بين المناطق، ولد بأولاد أحمد بالوادي، وعاش شبابه بمدينة بسكرة، ولما نال الباكالوريا دخل الجامعة لدراسة الطب، ولكن الواجب الوطني جعله يلتحق بالثورة عام 1956 مع صديقه طالب عبد الرحمان، وانتقل إلى الشمال القسنطيني، وعين بالمصالح الصحية بنواحي الميلية ولكنه استشهد في حصار بمدينة قسنطينة في ديسمبر 1961. [4]

ولكن الذي كان له الفضل في إنشاء أول خلية لحزب الشعب في وادي سوف، وأوحى بذلك لصديقه ونيسي الهاشمي، هو الشهيد يوسف العمودي، الذي ولد بحي

---

[1] - أنظر: محمد الصالح حثروبي، **هجرات سكان وادي سوف إلى مدينة بسكرة خلال القرن العشرين**، دار الهدى، عين مليلة – الجزائر، 2019، ص 242-248. عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 114-116.

[2] - أنظر: محمد الصالح حثروبي، المرجع السابق، ص ص 226-229.

[3] - نفسه، ص ص 253-255.

[4] - أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 119-120. ووفاء لذكراه واعترافا بفضله، أطلق اسمه على مستشفى الوادي القديم بالقرب من حي الجدلة بالوادي يوم 5 جويلية 2000.

المصاعبة بالوادي سنة 1912، ولكنه عاش في بسكرة، وكان من أوائل المناضلين بها، وانضم للثورة عام 1955، وكلف بالإسناد والتجنيد، كما قام بتنشيط الإضراب الذي دعت إليه الجبهة في جانفي 1957، فألقي عليه القبض وسجن عدة أشهر. وخلال اعتقال المناضلين بوادي سوف في رمضان 1957، قدم للوادي مدافعا عنهم، فتفطنت الإدارة الفرنسية لنشاطه الثوري، وأوعزت بذلك للسلطات العسكرية في بسكرة، فاعتقلته فور رجوعه لبيته، وحكمت عليه بالإعدام ونفذ فيه يوم 11 ماي 1957 رميا بالرصاص. [1]

ثانيا: النشاط الثوري لمجاهدي وادي سوف في المدن الجزائرية:

1- نشاط ثوار من وادي سوف في المدن:

عندما نتصفح سجل الجهاد في مختلف المدن الجزائرية، تبرز الأسماء العديدة والألقاب المعبرة عن العائلات السوفية، التي استقر أبناؤها بشكل مؤقت أو دائم في تلك المناطق بشرق البلاد وغربها، ووصل إلى أقصى الشمال، وسقط بعضهم شهداء خلال الثورة منذ أول يوم انفجارها، وبعضهم اعتقل في محل عمله، أو نفذ الإعدام في ميدانه المدني. ويمكن استعراض بعض أسماء أولئك الشهداء الأبرار في تلك المدن:

-الشهيد قدري التجاني: المولود عام 1930 بقمار، كان عاملا بمدينة الجزائر العاصمة بالميناء، واستشهد خلال عام 1957. [2]

-الشهيد بوضياف بوضياف: المولود بكوينين، والذي انتمى للثورة بالعاصمة، وعمل بحي القصبة، ثم أرسل بمهمة إلى قسنطينة ولكن عاجله الموت، وسقط شهيدا عام 1962. [3]

---

[1] - أنظر: محمد الصالح حثروبي، المرجع السابق، ص ص 256-258. عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 232-234.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 356.

[3] - أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 494.

-الشهيد بره حمه جلول: المولود بالبهيمة 1914، والذي هاجر إلى سطيف وشارك في الثورة، ولكن سقط شهيدا في منطقة نقاوس 1956. [1]

-الشهيد بره العربي: المولود بالبهيمة 1930، والذي هاجر إلى سطيف رفقة أخيه جلول، للعمل في التجارة، وشارك في مظاهرات 8 ماي 1945. أما في الثورة، فكلف في يوم 28 جانفي 1957 بمسؤولية غلق المتاجر أثناء الإضراب، ولم ينس المستعمر فعلته ونشاطه، فألقي عليه القبض بدكانه في صيف1957، وانقطت أخباره، وصار شهيدا كريما في سطيف. [2]

-الشهيد الهادي تجاني: الذي انتمى للثورة عام 1956 بالوادي، ثم هاجر إلى عنابة وفتح دكانا، استغله كمركز لتمويل الثورة بالمؤن والدواء واخفاء السلاح، داهم العدو دكانه، ووجدوا كمية من القنابل بداخله، فأعدم يوم 3 أوت 1959. [3]

-حساني عبد الكريم: المولود بالبهيمة 1939، والذي اختار مدينة برج بوعريريج مسكنا، ورافق أخاه عبد الحفيظ. وعمل في التجارة بالمدينة، ومنذ ريعان شبابه عمل مع الفدائيين، ينقل الرسائل والمعلومات ويخفي الأسلحة، ثم انضم رسميا إلى الثورة بصفته فدائيا، واستطاع عام 1956 تفجير حانة بقنبلة، فصار محل متابعة من العدو. اضطره ذلك إلى الالتحاق بصفوف الجيش جنديا بالولاية الثالثة، وكان من الذين اختارهم عبد القادر البريكي للقيام بعمليات أفزعت العدو، فأصبح ذائع الصيت، وصار يعرف بعبد الكريم السوفي، وتعرض أخوه عبد الحفيظ للتنكيل والتعذيب، وفي أحد الليالي وقع في اشتباك مع العدو داخل المدينة أودى بحياته شهيدا يوم 20 جانفي 1960 بمدينة برج بوعريريج. [4]

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 411.

[2] - نفسه، ص 443.

[3] - نفسه، ص 509.

[4] نفسه، ص 581-582.

-الشهيد قط الصادق: الذي سافر إلى برج بوعريريج قصد الإشتغال بالتجارة، ولكنه التحق بالجيش، واستشهد عام 1961. [1].

-الشهيد عباسي مبارك الورماسي: كان من أوائل المنتمين للثورة عام 1954، واستقر عام 1956 في عين البيضاء وكان يمتهن الحلاقة، والذي اتخذ محله مقرا للتواصل وتبادل التقارير والمعلومات مع الخلايا، ولكن العدو وصل إليه، وعثر عليه ميتا عام 1956 وعليه آثار التعذيب. [2].

- الشهيد لرقط كيلاني: أحد الذين فجروا الثورة في خنشلة ليلة أول نوفمبر 1954 بقطع خطوط الهاتف والكهرباء على المدينة، وشارك في مهاجمة الثكنة العسكرية، واستشهد بالأوراس خلال 1959. [3]

-المجاهد لرقط الهاشمي: وأخيه الكيلاني، لما اكتشفت المنظمة الخاصة عام 1950، طلب منهما مغادرة وادي سوف إلى مداوروش، ثم تحولا إلى خنشلة حفظا لهما من الكيد الفرنسي، وشاركا مع عباس لغرور ومصطفى بن بولعيد في التحضير للثورة، وكان معهما من الشباب السوافة عقاب محمود ومسعي نصر وسالم بوبكر ولحميم رشيد والكيلاني لرقط، وتم التدريب بجبال خنشلة تحضيرا للثورة. وحضر الهاشمي والكيلاني أبناء الارقط الاجتماع الذي ترأسه مصطفى بن بولعيد وشيحاني بشير من أجل تحديد الأشخاص والأماكن المراد استهدافها ليلة أول نوفمبر، وتم تحديدها في الثكنة العسكرية ومقر البلدية ومحافظة الشرطة ومولد الكهرباء ومركز الدرك، وكان الأخير من نصيبه، وتم في حينه الهجوم على المركز. ألقي القبض على الهاشمي يوم 11 نوفمبر 1954 وعذب وسجن لمدة سبع سنوات أشغال شاقة في سجن الكدية بقسنطينة ولامبيز بباتنة، وأطلق سراحه يوم الاستقلال. [4]

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد،، ص 890.

[2] - نفسه، ص 791.

[3] - نفسه، ص 922.

[4] - أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص ص 117-118.

-الشهيد مود محمد الصالح: بدأ نشاطه في بوزريعة بالعاصمة، ولما أحس بمراقبته، واصل جهاده متنقلا حتى استشهد بمنطقة مشرية بالغرب الجزائري 1959. [1]

-الشهيد مسالم عبد الله: الذي انضم للثورة في شلغوم العيد، واستشهد في اشتباك دروية مع العدو في فرجيوة 1961. [2]

- الشهيد هبيتة إبراهيم: الذي استشهد سنة 1959 في معركة ببوسعادة. [3]

-الشهيد يجور بلقاسم: انتقل الى بسكرة، وأسس معملا للخياطة خاص بجيش التحرير، ولما اكتشف أمره أعتقل وقتل بمنطقة جبل أحمر خدو في جوان 1957. [4]

2- نشاط العلماء الثوار من وادي سوف في ربوع الوطن:

بسبب الظروف الاجتماعية القاسية، والامكانيات العلمية التي اكتسبها أبناء وادي سوف في جامع الزيتونة المعمور، وانتمائهم المبكر لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتضييق الشديد على العلماء من قبل الحكم العسكري في وادي سوف؛ فضل كثير منهم الهجرة وقاموا بالتعليم والتربية في مختلف أنحاء الوطن، وأسسوا مدارس، وتكفلوا بإدارتها والتعليم فيها. وشكلت مدارسهم، ونشاطاتهم التربوية والدعوية، خطرا على السلطات الاستعمارية، واعتبرته أشد وقعا من السلاح المادي. وسارعت إلى تعطيل التعليم، وإغلاق المدارس، واعتقال العلماء والزج بهم في السجون والمعتقلات، ويمكن استعراض أهم من وصلنا نشاطهم، وهم نماذج تحتذى في النشاط الثوري الرسالي:

-**الشيخ مصباح حويذق:** انضم للثورة سنة 1955، واتخذ من مدرسته بمستغانم مركزا لتهيئة القذائف اليدوية، وتوجيه الجنود. ولكن السلطات اكتشفت أمره من خلال خطبة الجمعة المؤثرة، فاعتقل يوم الأحد 25 مارس 1956، ونقل إلى معتقل «بوسوي» فعذب ونكل به، وبقي به 45 شهرا، ولما أطلق سراحه يوم 19 ديسمبر

---

[1] سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 970.

[2] - نفسه، ص 975.

[3] - أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 1036.

[4] - - نفسه، ص 922.

1959، واصل نشاطه الثوري، بل أنشأ مدرسة قرآنية بحي «مورفيل» بوهران في سبتمبر 1960، والتي أحرقتها عصابة اليد الحمراء يوم 5 جانفي 1962. [1]

الشيخ عبد القادر الياجوري: كان عام 1954 إماما خطيبا ومشرفا على مسجد الفلاح بوهران، ومندوبا متجولا لجمعية العلماء في الغرب الجزائري، ورئيسا للجنة التعليم. [2] ولما اندلعت الثورة، ساندها من أول وهلة، وقام يخاطب المواطنين بوهران في أول جمعة من شهر نوفمبر 1954، ويدعوهم إلى الالتفاف حول ثورتهم المباركة، ويستنكر أي انقسام يحدث داخل صفوف المجاهدين نتيجة الأهواء الشخصية أو مهادنة الاستعمار. وظل ملازما للثورة حتى ألقي عليه القبض يوم 29 مارس 1956، وأودع السجن ست سنوات، ولم يفرج عنه إلا وقت إطلاق النار.[3] وتردد على المعتقلات التالية: أركول، بوسوي، سيدي الشحمي. وعندما أفرج عنه تولى بأمر من جيش التحرير، رئاسة لجنة قضائية مؤقتة إلى حين الاستقلال. [4]

الشيخ عمر شكيري: ولد بقمار سنة 1920، وكان مديرا لمدرسة الصادقية بحي صلامبي بالعاصمة، وإماما للجمعة بمسجد الصادقية. فانزعج الاستعمار من نشاطه، والقى عليه القبض ليلا في أفريل 1956، وأخرج من بيته عاريا ما عدا عباءة خفيفة. وتعرض في السجن للاستنطاق، وأودع في معتقل البرواقية، وبطيوة، وسان لو، وسيدي الشحمي، وبوسوي، واركول. وأفرج عنه في جويلية 1961، ووضع تحت الإقامة الجبرية في العاصمة.[5] وفي المعتقل تحركت شاعريته، فانسابت عدة قصائد من قريحته، ومنها قصيدة « الله اكبر» التي كتبها يوم 27 ديسمبر 1956، وتخيل

---

[1] - أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 34.

[2] - أنظر: محمد الحسن فضلاء، **من اعلام الإصلاح في الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2000، ج2، ص 78.

[3] - أنظر: علي غنابزية، « الشيخ عبد القادر الياجوري المصلح المجاهد»، **جريدة النبأ**، العدد 222، 25 سبتمبر إلى 01 أكتوبر 1995.

[4] - أنظر: محمد الحسن فضلاء، من اعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، ص 78.

[5] - أنظر: محمد الحسن فضلاء، من اعلام الإصلاح في الجزائر، ج2، ص 125-127.

فيها استقلال الجزائر، وأراد ان تلقى في مهرجان الاستقلال، وفعلا حضر الشاعر تلك اللحظات في احتفالات الاستقلال والقيت القصيدة، وتحققت أمنيته، ومن أبياتها:

قف قبل نطقك بالتهاني خاشــــعا	حيس الجنود ومصرع الشـهداء
أدّ الـسـلام مـهللا ومـكـبـــرا	للراية البـيضاء والـخـضــراء
والثـم بثـغرك ذا الـهلال ونـجمه	متمسحا بـالرقعة الـحمــــــراء
إن الـهلال ونجـمه بلوائنا أثــر	الـطعـان بـأمة الـهـيجـــــاء
جـمعت دمـا الشهداء فهي أهلــة	والنجم مثل الطعنة النجــلاء
الله أكـبـر يـــا مـــآذن رددي	الله أكـبـر واهـتـفي بـنــداء
هـذي الجزائر حـطمت أغلالها	وتـحررت مـن ربـقة الأعـداء
وتـحـفزت تبـغي الوثــوب كـأنها	أسـد تـمطى بعد طـول ثـواء[1]

الشيخ محي الدين دربال: ولد 1928 بالرباح بالوادي، ولكن خرج للعمل، إذ عينته جمعية العلماء المسلمين معلما في مدرسة التربية والتعليم بعنابة، وكان له نشاط في الثورة مع إخوانه العلماء والمناضلين في التوجيه والاتصال وجمع المال، وبث الوعي الثوري. ولكن المدرسة أغلقت سنة 1957، وطلبت السلطات الفرنسية من معلميها العمل معهم في مؤسساتها التعليمية، ولكنهم رفضوا ومنهم الشيخ محي الدين الذين زج به في السجن، في القصبة وبرج نام بعنابة، وأولاد عطالله، ثم ذهبوا بهم جميعا إلى معتقل بول كازال بعين وسارة من 1958 إلى 1961. وبعد خروجه من المعتقل

---

[1] - نفسه، ص 128.

أسندت إليه جبهة التحرير مهمة القضاء الثوري والعضوية في لجنة الإسعاف، وكان يتظاهر بتعليم التلاميذ في إحدى المدارس القرآنية الحرة وهي مدرسة النجاح بعنابة.[1]

الشيخ صالح بوصبيع: من مواليد 1930 بالبياضة بالوادي، كان معلما في أكتوبر 1954 في مدرسة التربية والتعليم بعنابة، والتحق بالمنظمة المدنية السرية للجبهة في 1955، وكان عضو اتصال يستقبل البريد، ومستمر في التعليم بمدرسته، ولما حامت حوله الظنون، أغلقت مدرسته في سبتمبر 1957، واقتحمت الشرطة منزله على الساعة الواحدة بعد منتصف الليل يوم 5 مارس 1958، وبقي رهن التحقيق 45 يوما ثم حكم عليه بسنتين سجنا نافذا، قضاهما ما بين عنابة وقسنطينة، ثم حول إلى محتشد بوزيان فمكث فيه شهرين كاملين، ثم أفرج عنه ووضع تحت الإقامة الجبرية مع مراقبته الشديدة إلى يوم الاستقلال. [2]

-**الأستاذ بشير خلف:** من مواليد مدينة قمار سنة 1941، سافر للعمل في مدينة عنابة واشتغل في متجر بحي سيدي سالم، فوجد نفسه منتميا لإحدى خلايا الثورة ضمن المنظمة المدنية منذ جانفي 1960، فكلف بعدة مهام، منها شراء ما يحتاجه المجاهدون من لباس وأحذية من محلات المعمرين في الحي، والمشاركة في العمليات الفدائية، وجمع المعلومات عن الخونة والعملاء، وكان يتعامل مع الجنود الفرنسيين كزبائن وتمكن بلباقته، أن يتحصل منهم على مسدسات وذخيرة حية. كما تمكن من جمع الأدوية. ولكن أمره أكتشف، فتعرض للاعتقال، والتعذيب الوحشي والاستنطاق منذ 20 اوت 1960، وحكم عليه بالسجن وأودع في سجن لامبيز، الذي تمكن فيه من إتمام دراسته على الشيوخ والعلماء، وأفرج عند عشية الاستقلال يوم 5 ماي 1962. [3]

---

[1] - أنظر: محمد الحسن فضلاء، من اعلام الإصلاح في الجزائر، ج 3، ص 276-277.

[2] - نفسه، ص 309-311.

[3] - بشير خلف، **حياتي في دائرة الضوء**، دار سامي للطباعة والنشر، ط1، الوادي – الجزائر، 2021، ص 64-97.

-**الأخوان الشهيدان:** هما أبناء الإمام بن سعد لقرع، عالمان جليلان، أولهما الشيخ محمد العيد لقرع المولود عام 1913 ببلدة النخلة بالوادي، العالم الزيتوني والمعلم والموجه، والذي عمل في صفوف جمعية العلماء مدرسا بقرية آيت عبان بنواحي جبال جرجرة بالقبائل الكبرى، والتحق بالثورة، ولكنه بقي يتردد على القرية طالبا من سكانها الدعم، فتفطنت له عيون الاستعمار، فاغتالوه سنة 1957. [1] والثاني هو الشيخ محمد الطيب لقرع، المولود بالنخلة بالوادي عام 1916، وهو العالم الزيتوني، والمربي المصلح الذي انتدبته جمعية العلماء للتدريس بقرية بتروال بنواحي تيزي وزو بالقبائل الكبرى، فكان معلما بالنهار، وجنديا مجاهدا بالليل مع المجاهدين بالجبل القريب. ولما سمع باستشهاد أخيه محمد العيد في مارس 1957، اتجه فورا إلى جبال الأوراس، وصار جنديا مقاتلا، حتى استشهد في إحدى المعارك سنة 1958. [2]

-**الشيخ أبو القاسم حماني:** ولد بالوادي عام 1917، وتم تعيينه من قبل جمعية العلماء في العمل الإصلاحي بمدينة سدراتة، التي أسس بها مدرسة الحياة، وإلى جانب ذلك كان إماما متطوعا بالمسجد العتيق للمدينة. ولما اندلعت الثورة، صار عاملا في خلاياها السرية، ولكن أمره اكتشف في عام 1955 مع جماعته، ففر معظمهم إلى تونس وغيرها، وفضل الشيخ حماني السفر والاختفاء بمدينة عنابة، ولم يستطع المستعمر القبض عليه، فحفظه الله من مكرهم. [3]

-**الشيخ الحفناوي هالي:** أصيل مدينة قمار، الذي كان مشرفا على لجنة التعليم بالعاصمة، ألقي عليه القبض أواخر سنة 1956 ودام في الاعتقال إلى أواخر 1958، ونقل إلى عدة سجون، ولما أطلق سراحه واصل عمله إلى يوم أن تحررت الجزائر. [4]

-**الشيخ محمد العيد آل خليفة:** هو من محاميد سوف، وأصيل كوينين، وأمير شعراء الجزائر ورائدهم، والذي كان مديرا لمدرسة العرفان بعين مليلة، التي أغلقتها السلطات

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، الجيلاني العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص 117.

[2] - أنظر: سعد العمامرة، الجيلاني العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص 139-140.

[3] - أنظر: محمد الحسن فضلاء، من اعلام الإصلاح في الجزائر، 3 ص 313-314.

[4] - نفسه، ج1، ص 226-227.

العسكرية سنة 1956، واعتقلت مديرها الشيخ محمد العيد، وأودع السجن، ولما أفرج عنه وضع تحت الإقامة الجبرية في بسكرة لا يتركها واستمر إلى عام 1962. [1]

-**الشيخ علي بن سعد:** أصيل مدينة قمار، والذي عرفته الصحافة، بنضاله بالكلمة الصادقة الصادحة بالحق دون مبالاة، وقد أصدر جريدة الليالي بالعاصمة، والتي طالب في أحد أعدادها بالاستقلال سنة 1937، [2] فاعتبرته السلطات الفرنسية مجنونا. حتى أوقفت تلك الجريدة عن الصدور.[3] وتعرض الشيخ للسجن ثلاث مرات بسبب آرائه، وكان آخرها لما كان مديرا ومربيا ومرشدا في المدرسة الخلدونية ببوفاريك، وعند اندلاع الثورة، أعتقل وأودع سجن البرواقية، ومكث به ثلاث سنوات، ولما أفرج عنه وضع تحت الإقامة الجبرية في مدينة وهران إلى غاية عام 1962. [4]

-**الشيخ حمزة بوكوشة:** أحد رموز الحركة الإصلاحية، وأبرز رواد الصحافة العربية الحرة، والذي بث من خلالها صوته مدافعا عن المظلومين. [5] ولما اندلعت الثورة كان مراقبا لجمعية العلماء. ولما حلت الجمعية سنة 1956، تعرض للاعتقال، وقضى في المعتقل 21 شهرا في مقتقل بوسوي وجول كازال. [6]

هؤلاء هم علماء وادي سوف، منارات هادية في مختلف المدن الجزائرية، وفي جميع الأنحاء، وبجهودهم التعليمية، وتوجيهاتهم التربوية، وبثهم الوعي، وتوليهم شؤون العامة، وحل مشاكلهم في إطار الصلح والتوافق، انطلاقا من القضاء الشرعي، تمهيدا للقضاء المستقل عن الإدارة الفرنسية في زمن الاستقلال والحرية.

---

[1] - نفسه، ص 233.

[2] - أنظر: عبد الملك مرتاض، **المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 14.

[3] - أنظر: علي غنابزية، **مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900-1986**، مطبعة مزوار، ط1، الوادي – الجزائر، 2014، ص 63-64.

[4] - أنظر: محمد الحسن فضلاء، المرجع السابق، ج2، ص 20-21.

[5] - أنظر: علي غنابزية، مساهمات علماء وادي سوف، ص 55-59.

[6] - أنظر: محمد الحسن فضلاء، المرجع السابق، ج2، ص 63.

الكفاح الثوري لأبناء وادي سوف خارج الوطن

فتح الله على أبناء وادي سوف، مجالا خصبا للعمل الوطني، فأينما حلوا، وحيثما وجدوا، في رحلاتهم، وإقامتهم، كانوا مثالا للجد والنشاط والاجتهاد، خدمة لقضية الجزائر. وكانت لهم مشاركاتهم في النظام المدني والعمل الفدائي والعسكري خارج الوطن. وعرفت تونس حركة كبيرة للمناضلين المهاجرين في شمالها بالعاصمة التونسية، وفي جنوبها ببلاد الجريد والمناطق المنجمية. وتعدى ذلك إلى فرنسا في صفوف العمال، وإلى البلاد العربية عند الطلبة الجامعيين، وفي الولايات المتحدة عند الطلبة المجتهدين.

أولا-الكفاح في الأراضي التونسية:

استقطبت البلاد التونسية أعداداً هائلة من المهاجرين من وادي سوف منذ القرن التاسع عشر، وازدادت بعد الأزمة الاقتصادية العالمية 1929، وكانت قبيل اندلاع الثورة متركزة في موطنين هامين، العاصمة التونسية وكانت نشطة سياسيا وإداريا، ومنطقة الحوض المنجمي تموينيا وعسكريا. [1]

1-النشاط في العاصمة التونسية: ويمكن الوقوف على عدة أطراف مارست النشاط الثوري والعسكري في أحياء العاصمة التونسية:

أ-إدارة عبد الحي (جوان 1955-أكتوبر 1956):

عرفت وادي سوف بمستوى رجالها في العلم والعمل، والثقة والشجاعة والإباء، وهذا بوأهم مكانة معتبرة في الثورة بشكل جلي ولاسيما المجاهد السعيد عبد الحي وزميله المجاهد عبد الكريم هالي، بانضمامهما للثورة عام 1954، واتصلا بالأوراس وعملا مع مصطفى بن بولعيد، وشاركا في المعارك، واكتشف القائد قيمتهما القتالية

[1] - أنظر: علي غنابزية، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية**، دار هومة، الجزائر، 2017، ص 464.

والعلمية وقدرتهما على الإدارة والتنظيم.

اختار مصطفى بن بولعيد السعيد عبد الحي في جوان 1955، وكلفه بتأسيس قاعدة لجيش التحرير بالعاصمة التونسية، تمكنه من تسهيل عمليات جلب السلاح من ليبيا عبر الأراضي التونسية. فصار عبد الحي يمثل النظام الثوري في تونس مدنيا وعسكريا. (1) وتمكن من انتقاء طاقمه بشكل جيد، وأهم أفراده:

-عبد الكريم هالي: هو الصديق الحميم للسعيد عبد الحي، ورفيق دربه في النشاط في الجزائر وتونس. اختارته القيادة في الأوراس مسؤولا خارج التراب الوطني، مكلفا بالاتصال بالوفد الخارجي(أحمد بن بله) لتنظيم عمليات نقل السلاح والذخيرة من القاهرة، فقام بعمله خير قيام إلى أكتوبر 1956. (2)

- علي شكيري: المتخرج من العراق في الحقوق، وكلفه السعيد عبد الحي عام 1956 بالكتابة العامة، ثم عينه مسؤولا عن جهاز الأمن والدفاع عن مصالح الثورة أمام المصالح والمؤسسات المختصة. (3)

- المولدي بوغزالة: كلف بمهمة الاتصال مع قيادة الجنوب الشرقي والحدود التي يشرف عليها الطالب العربي، وهذا قبيل انعقاد مؤتمر الصومام. (4)

وبعد المؤتمر وقع خلاف بين إدارة عبد الحي ولجنة التنسيق والتنفيذ المنبثقة عن المؤتمر، وتم اعتقال المعارضين لقراراته من السوافة ومن سار على نهجهم من قيادات الأوراس، ووضعوا في سجن زندانة بولاية منوبة ريثما تنعقد المحكمة العسكرية للنظر في قضيتهم. (5)

---

[1] - أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد، ص 58-59.

[2] - نفسه، ص 100-101.

[3] - نفسه، ص 113.

[4] - نفسه، ص 111.

[5] - أنظر: محمد عباس « مع الطاهر بن عيشة. شاهد.. على نكبة السوافة»، جريدة الشروق العربي، العدد 665، الاثنين 6 جانفي 2003، ص 7..

انعقد اجتماع حضره القائد عميروش وسي الحواس والطالب العربي والرائد ديدي صالح في ماي 1957 بالجبل الأحمر. ولم يخرج الاجتماع بشيء، [1] بل انتهى الأمر بتصفية القيادة الإدارية والعسكرية بتونس وأقطابها وخصوصا السعيد عبد الحي والطالب العربي.

وهكذا انتهت إدارة عبد الحي، وتعرض السوافة لنكبة كبرى، وزج بأعداد كثيرة في السجون. ولكنهم واصلوا مسيرتهم بعد عام 1958، مجاهدين في القاعدة الشرقية وجبال أوراس النمامشة، وفي المنطقة الحدودية ضمن جيش الحبيب الجراية وبدون انقطاع إلى يوم الاستقلال. وكانت ثقتهم راسخة، ومبادئهم ثابتة، واعتقادهم أن الجزائر فوق كل اعتبار، وفي سبيل تحريرها تحملوا الغالي والنفيس، وصبروا على ما أصابهم من لأواء حتى نالوا الشرف في القيادة والريادة والجهاد والاستشهاد.

ب-خلايا الإسناد في العاصمة التونسية: تأسست خلايا اسناد الثورة ضمن المنظمة المدنية السرية، في التجمعات السكانية التي بها كثافة للمهاجرين السوافة، وأهمها:

-**منطقةجبل الجلود**[2]: وكان غالبية السوافة يعملون في مصنع الاسمنت«الحروبة» وتقلد بعضهم مناصب نقابية في الاتحاد العام التونسي للشغل، وكان أغلبهم من بلدة الطريفاوي، الذين تشبعوا بالوعي السياسي، والقيم الدينية. لقد وجدوا إلى جانبهم شيوخا، تعلموا في جامع الزيتونة، كان لهم صلة وثيقة بهم، منهم الشيخ مصباح حويذق، وعثمان مجور شكريبة، والجيلاني بن عون، والعزوزي علية، والمولدي مزيو، والهاشمي هويدي، وعثمان ملوكة، ومحمد الصالح حويذق، والطاهر النوبلي، وعلي عون موسى، أحمد بن حسين، والمولدي عون الكتاني، وقسوم محمد. وكانوا يحملون أفكاراً إصلاحية وفق منهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويدينون

---

[1] - أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 124.

[2] - **جبل الجلود:** حي في ضاحية العاصمة التونسية يقع بين تونس وبن عروس، طابعه صناعي واجتماعي، تمركز به المصانع المختلفة، والمساكن المنتشرة.

بالولاء لجبهة التحرير الوطني. [1]

أما بداية العمل النضالي في إطار جبهة التحرير، فتم في عام 1955، عندما أسس السعيد عبد الحي أول خلية لجبهة التحرير، وكان يلح على أصحابه بالسرية التامة، لأن الثكنة العسكرية قريبة من نهج قيليب فيل.[2] وكان أعضاء الخلية هم: الرئيس الشرفي مزيو بشير«الباشا». طليبة أحمد بن مسعود، مكلف بالجانب السياسي. مزيو عبد الحميد الكاتب العام. أما المناضلون فهم كثر، والذين وزعوا فيما بعد على خلايا جديدة. وتمثلت مهامها فيما يلي:

-اتخاذ الإجراءات الأمنية، المتمثلة في المراقبة المستمرة لتحركات العدو من خلال مراقبة الثكنة العسكرية في الحي، والمحافظة على أسرار الخلايا وتأمينها، والحراسة المتداولة بين الأفراد، للمركز المخصص للكشافة الجزائرية.

-الاهتمام بالعائلات المحتاجة وخصوصا عائلات الشهداء والمجاهدين، والحرص على متابعة الدراسة لكل أبناء المهاجرين ومساعدة الضعفاء منهم.

-الحرص على تطبيق أوامر الثورة بكل جدية، وتوزيع جريدة المجاهد ومجلة الشباب الجزائري لكل الأفراد من المناضلين.

-السعي الحثيث لجمع الأموال من المتبرعين، والاشتراكات من أعضاء الخلايا، واستقبال الاشتراكات من العمال في فرنسا.

-اختيار الشباب القادرين على العمل الثوري، وتجنيدهم للقتال في الجبهات في الجبال المجاورة لتونس، حسب اجتهادهم وإقدامهم. [3]

---

[1] - أنظر: عمر أحمد طليبة، **جالية ونضال جبل الجلود 1954-1962**، مطبعة الرمال، الوادي - الجزائر، 2021، ص 31-32.

[2] - أنظر: عمر أحمد طليبة، **جبل الجلود المغاربية**، مطبعة مزوار، ط1، الوادي - الجزائر، 2014، ص 45.

[3] - أنظر: عمر أحمد طليبة، جالية ونضال جبل الجلود 1954-1962، ص 33-34.

-**منطقة الجبل الأحمر**[1]: تأسست بالحي خلية معظم عناصرها من أصلاء قمار، وكانت برئاسة بلقاسم نوار، ونائبه محمد الصغير طليبة، والكاتب العام محمد علي كرام، ونائبه بوجلخة عبد الرحمن، وأمين المال غرنوق محمد بن مبارك، ونائبه خليفة بن الهاشمي. والأعضاء هم: ناجي برهاني، القروي بن الصادق، صوالحي محمد بن عبد القادر، الصادق بن محمد شاوي، بن قدور. وكانت الخلية تجتمع أسبوعيا في أحد منازل الأعضاء في دورات عادية، وتقوم بمهامها العملية في الدعاية للثورة، وجمع الأموال، واستعراض مشاكل الجالية، ومحاولة إيجاد حلول عاجلة، وإحصاء الأسر العاجزة عن النفقة ومساعدتها. والعمل على رفع المستوى الفكري للجالية الجزائرية، لأنها أساس الدولة الجزائرية المرتقبة. كما تعمل على توسيع النشاط، وتأسيس خلايا جديدة للثورة في العاصمة. [2]

كما تأسس إلى جانب تلك الخلايا السرية، فوج عبد الحميد بن باديس للكشافة الإسلامية الجزائرية بالجبل الأحمر في حدود 1957، وكان الفوج يضم الأشبال والكشافة والجوالة، وفوج البنات. وبلغ عددهم ما بين 40-50 كشافا. [3]

وكانت الكشافة مدرسة للتربية والتوعية والنضال، وتقديم دروس للشبان حول الثورة ومسارها، وتقديم المسرحيات الوطنية والثورية المعبرة. إضافة إلى الأناشيد الحماسية التي ترسخ الروح الوطنية في الناشئة. كما نظمت المخيمات والرحلات، مع التدريب على الإسعافات الأولية. وكلها أعمال تنمي القدرة على النشاط، وكل ذلك أثمر انخراط عدد من أفراد فرقة الجوالة بالجبل الأحمر في جيش التحرير الوطني،

---

[1] - **الجبل الأحمر**: سمي بالأحمر نسبة إلى لون التربة الحمراء في أرضه. وهو حي شعبي تأسس في الثلاثينيات في الضاحية الغربية للعاصمة التونسية، واتخذ خلال الخمسينات ملجأ لعناصر المقاومة المسلحة ضد الاستعمار.

[2] - أنظر: عمار عوادي، **الهجرة من وادي سوف وأثرها على حياة السكان 1954-1962**، دار هومة، الجزائر، 2013، ص 76-85.

[3] - أنظر: مسعود كواتي، **تاريخ الجزائر المعاصر وقائع ورؤى**، دار هومة، الجزائر، 2015، ص 135-136.

والتحقوا بالجبال، وتوجه آخرون إلى العراق للدراسة في المدارس الحربية. [1]

2-النشاط في الحوض المنجمي بالجنوب التونسي:

كان الاهتمام بالوطن حاضرا لدى بعض المهاجرين في الرديف، وأبرزهم المجاهد المولدي بوغزالة الذي بادر فور انطلاق الثورة بتنظيم اجتماع لأصحابه في بيت المناضل صالح مياطة يوم 10 نوفمبر 1954، بعد صلاة العشاء، أكدوا فيه على تأييد السوافة للثورة، والاستعداد لدعمها ماديا ومعنويا، وقاموا بتوزيع المهام بينهم. وشرعوا في العمل وفق المسؤوليات، في نطاق اللجان التالية:

- لجنة المالية تحت إشراف بن عمر لخضر.
- لجنة التموين كلف بها المناضل باهي علي.
- لجنة الدعاية والتجنيد، أشرف عليها المناضل المكي بن علي.
- لجنة التسليح تحت إشراف المولدي بوغزالة. [2]

وتم توسيع الخلايا إلى بقية الحوض المنجمي، في أم العرايس، والمتلوي، وتوزر، والمظيلة.[3]

والتقى المولدي بوغزالة بالقائد مصطفى بن بولعيد عندما مر بالرديف يوم 8 فيفري 1955، وهو في طريقه للمشرق، وأعلمه بوجود عدد من المجاهدين بجبال الرديف ينتظرون تسليحهم وتكليفهم بخوض المعارك. وهذا دفع القيادة إلى إرسال أفراد من الجيش إلى تونس، وكانوا النواة الأولى لجيش الحدود، بداية من مرحلة الجيلاني بن عمر إلى عهد الطالب العربي. وكان المولدي بوغزالة سندا للقائدين السابقين، وقام

[1] - المرجع السابق، ص 137-142.

[2] - أنظر: بسر عبد الحميد، الامجاد من أبناء سوف، ص 110.

[3] - أنظر: حسان الجيلاني، **قصة العودة**، دار هومة، الجزائر، 2011، ج1، ص 56.

بتجنيد الشباب، وجمع الأموال، وساهم في شراء الأسلحة من الجنوب التونسي فيما بين 1954 - 1955. [1]

كما تأسس إلى جانب الخلايا السرية، العمل الكشفي في الرديف، عندما أوعز الطالب العربي لأحد رفاقه، المناضل الكشاف، أحمد بن العائش الزبيدي، بتجنيد الشباب، وبث الروح الوطنية في الأشبال، فتم تأسيس أول فوج كشفي من قبله، وأمره بالتخفي، بابعاده عن المضايقات الفرنسية، وكان الفوج ينشط داخل النادي التابع للكشافة التونسية. ولكن تمويله من قبل الجبهة، واشتراكات المنخرطين. وبعد نشأة الحكومة المؤقتة 1958، صار للكشافة الجزائرية استقلالها عن التونسية، ولها مقراتها، بل تبرعوا لها بمساكن خاصة، مثل منزل الشهيد عبد العزيز بوصبيع الذي سلمته أرملته للكشافة فور استشهاده في ربيع 1959. وتقوم الأفواج بكل النشاطات، بتنظيم الرحلات والمخيمات الداخلية والعربية. وتمارس الأعمال الفنية والترفيهية، والنشاط المسرحي، والثقافي. ولما حلت سنة 1960، تمت التعبئة العامة، بتجنيد الشباب القادرين على حمل السلاح، كانت عناصر الجوالة الكشفية في مقدمة المتطوعين في جميع الأراضي التونسية بالرديف وغيرها. [2]

وشهدت منطقة الحوض المنجمي في تونس، حيثما تواجد بها أهل سوف، نفس الحركة الكشفية، وخصوصا في مناطق المتلوي، وأم العرايس، والمظيلة. وكانوا يقومون بالنشاطات الثقافية، وتحت رعاية وتوجيه من جبهة التحرير، مع مشاركتهم في الثورة التحريرية. [3]

---

[1] - أنظر: بسر عبد الحميد، الامجاد من أبناء سوف، ص 110.

[2] - أنظر: بسر عبد الحميد، **الحركة الكشفية الجزائرية بمنطقة وادي سوف 1947-1989**، مطبعة سامي، الوادي – الجزائر، 2022، ص ص 86-105.

[3] - أنظر: بسر عبد الحميد، الحركة الكشفية الجزائرية بمنطقة وادي سوف 1947-1989، ص ص 113-142.

وكان للعلماء دورهم في صناعة الوعي، وتهيئة النفوس لتقبل العمل الوطني، وسجل التاريخ أسماء بعضهم، ومنهم الشيخ عبد الكريم حويذق، الذي هاجر إلى تونس عام 1944، واستقر بعائلته في الرديف، وتولى إمامة مسجدها، ودرس جميع الفئات، وكانت دروسه ذات صبغة إصلاحية، منطلقة من وعي جمعية العلماء، ودروس وطنية تركت الأثر البليغ في الشباب الناشئ، مما جعل الإدارة الفرنسية تتابع خطواته. وعند اندلاع الثورة لم يتأخر عن المشاركة فيها بخطبه الحماسية، وتوجيهاته الحكيمة داخل المسجد وفي البيوت والمنتديات التي يجتمع فيها أهل وادي سوف. ولكنه سجن عام 1955 مع حمد بحري وصالح جراية، وتعرضوا للتعذيب في قفصة، ثم نقلوا إلى مدينة تبسة. ومنها أخذ عبد الكريم حويذق إلى مدينة قسنطينة ومكث فيها حتى استشهد داخل سجنها المركزي عام 1956. [1]

أما الشيخ الحسين حمادي، فقد قام بدور هام في بلدته النخلة، ثم نفته السلطات الفرنسية إلى تونس عام 1957، وعند وصوله لتونس سجن من قبل السلطات الفرنسية لمدة شهر بغرض التحقيق والتأكد من هويته، ثم أطلق سراحه، استقر في الرديف، واتخذ بيته مركزا للثوار المجندين، ومحطة عبور لمدة خمس سنوات. [2] كما استأنف نشاطه في الوعظ والتعليم، ومناصرة الثورة، وعرف بدعمه المطلق لها، وشجع ابنه الأمين على الالتحاق بها في أكتوبر 1960. [3] وكان بمنفاه بتونس، يتابع الأخبار من مذياع صاحب دكان يجلس عنده وقت الضحى، وكانت أولوياته الثورة الجزائرية، وينقل

---

[1] - أنظر: سعد العمامرة، الجيلاني العوامر، شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف، ص 69-70.

[2] - أنظر: محمد السعيد عقيب، **دراسات في تاريخ وادي سوف**، مطبعة سامي، ط1، الوادي – الجزائر، 2016، ص 29.

[3] - أنظر: محمد الصالح بن علي، **الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح**، مطبعة سخري، الوادي -الجزائر، 2012، ص 169.

الأخبار إلى المهاجرين من أهل سوف، ويرفع معنوياتهم، ويؤكد لهم أن الاستقلال عهده قريب.[1]

2-الكفاح في البلدان العربية:

تواجد أبناء وادي سوف في عدة بلدان عربية، عندما ذهبوا لإتمام دراستهم، برعاية جبهة التحرير وتحت نظر الحكومة المؤقتة، وهذا جعلهم يناضلون ويساندون الثورة، واعتبروها همهم الأساسي. وكانت القاهرة البوابة الأولى للطلبة الذين انخرطوا في فرع الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين، الذي كان يسهر على شؤونهم الاجتماعية، والمالية والصحية. [2]

وأهم الطلبة الذي عاشوا أحداث الثورة أثناء تلقيهم العلم ما بين 1955-1962، في مختلف التخصصات من العلوم الإنسانية، هم: أبو القاسم سعد الله (الآداب)، ومصباح مصباحي (علم الاجتماع)، أبو القاسم جبالي (الآداب)، يوسف جديد (علم الاجتماع)، صالح بوصبيع (التاريخ)، عبد الكريم عوادي، السنة الثانية من التعليم الثانوي. [3]

وبما أنهم منظمون في خلايا تابعة لجبهة التحرير، كانوا يلتقون في« نادي المغرب العربي» ويمارسون النشاطات، ويحضرون الاجتماعات العامة والمحاضرات والندوات. وكلها حول الثورة والدعوة اليها، والتعرف على أخبارها الجديدة، والالتقاء بالمجاهدين والوافدين إليها. [4] وكانوا على ارتباط دائم مع ممثلي جبهة التحرير، ويسهرون على تنظيم محاضرات لهم في النادي، والمبادرة بعقد ندوات مع الشخصيات العلمية

---

[1] - أنظر: محمد العيد قدع، **الشيخ الحسين حمادي دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي بتونس ووادي سوف 1902-1982**، مطبعة ذويب، الوادي -الجزائر، 2013، ص 149.

[2] - أنظر: **مذكرات مصباح مصباحي، غربة في عقر الدار**، مطبعة سامي، الوادي -الجزائر، 2021، ص 115.

[3] - أنظر: إبراهيم شويخ، **الرحلات العلمية وأثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف 1931-1969**، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، تحت اشراف أ.د. علي غنابزية، جامعة الوادي 2017-2018، ص 50-51.

[4] - أنظر: أبو القاسم جبالي، **مذكرات حياتي**، مطبعة نوميديا، قسنطينة -الجزائر، 2012، ص 157.

والفكرية، ومنهم الشيخ البشير الابراهيمي، والمفكر مالك بن نبي، وبعض قادة الثورة، ومنهم، العقيد علي كافي، والمؤرخ أحمد توفيق المدني، والعالم الفقيه إبراهيم مزهودي. وبادر الأستاذ عمار طالبي بتأسيس «مجلة الطالب» التي أقبل الطلبة على اقتنائها، وهي تعالج أهم المواضيع الخاصة بالثورة، ويكتب فيها الطلبة، ومنهم الطالب السوفي آنذاك مصباح مصباحي. [1]

أما الطالب أبو القاسم سعد الله، فكانت فرصته الانتماء للثورة، والعمل في ركابها، عندما حل بالقاهرة منذ 24 سبتمبر 1955، [2]وانتظم كطالب تحت رعاية جبهة التحرير الوطني، وصار لاحقا يستفيد من منحة من مكتب الجبهة بالقاهرة، عن طريق منظمة الطلبة الجزائريين. وتحدث عن تبلور العاطفة الوطنية، والثورية العملية، ونتركه يعبر عن ذلك:

(وفي القاهرة تبلورت في نفسي عاطفتان: أولاهما الوطنية السياسية. فالجزائر لم تعد في نظري هي الأسرة والقرية والحدود الجغرافية ونحو ذلك، ولكن أصبحت تعني عندي كل أهل القطر الجزائري بقطع النظر عن جهاتهم، وأحزابهم واتجاهاتهم، وعلى هذا الأساس تطوعت في جيش التحرير الوطني، وساهمت في حملات جمع التبرعات للجزائر، وشاركت في النشاط الطلابي الجزائري كعضو وكمسئول، ومثلت اتحاد الطلبة المسلمين الجزائريين في عدة مناسبات، واشتغلت في مصالح جبهة التحرير الوطني.

أما العاطفة الثانية التي تبلورت في نفسي خلال وجودي بالقاهرة فهي القومية العربية... وبدافع هذه العاطفة تطوعت في المقاومة الشعبية زمن الاعتداء على مصر، وتعرفت على الاتجاهات السياسية في الوطن العربي...). [3]

---

[1] - أنظر: مذكرات مصباح مصباحي، ص ص 115-116.

[2] - أنظر: مراد وزناجي، **حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ**، دار الحبر، الجزائر، 2008، ص 47.

[3] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، منطلقات فكرية، ص 48.

وكان يشارك في مختلف النشاطات الوطنية، ويحي ذكرى الثورة - إلى جانب الفاعلين من الشخصيات التاريخية - مثل الاحتفال الذي أقامه نادي طلاب المغرب العربي في مقره بالقاهرة يوم 2 نوفمبر 1957، وحضره أحمد توفيق المدني، وبن يوسف بن خدة، وكان بمناسبة الذكرى الثالثة للثورة الجزائرية، وألقى سعد الله كلمة مطولة باسم الطلبة الجزائريين، واستهلها بقوله:

(أيها الأخوة... عندما نحتفل اليوم بذكرى ثورة الجزائر، لا نحتفل بها كجزائريين، ولا نحتفل بها كمغاربة وإنما نحتفل بها كعرب يؤمنون بعدو واحد وهدف واحد ووطن واحد... إننا نحتفل بها كعرب لأن الثورة في الجزائر لم تكن في يوم من الأيام إلا عربية صميمة نابعة من قلوب الملايين العربية المتمردة معبرة عن آمالها في الوحدة والتحرر ومجسمة للإرادة العربية التي لا تقهر مهما طالت بها السنون وتكاثفت من حولها السحب). [1] وأسهب في الحديث عن منطلقات الثورة، وإمكانياتها المتواضعة، والروح الثورية القوية التي يمتلكها الإنسان الجزائري، وأعمال الاستعمار الإجرامية في حق الشعب، الذي انتفض لاسترجاع حريته وكرامته، وحرمان الطلبة من حقوقهم، فكانوا وقودا لثورتهم، ونبه في الأخير إلى تكاثف جهود العرب الذين تظلهم القومية، ليقوموا في صف واحد لدك عروش الظلم والطغيان). وختم ذلك بالعبارات التالية:

(... لقد أعلنت هذه الثورة العربية الصميمة أنها ليست ثورة الجزائر وحددها وليست ثورة المغرب العربي فقط وإنما هي ثورة العرب جميعا... هي الوجه الحقيقي للطاقة العربية المشعة رغم الطلي والظلام والكثافة التي وضعها الاستعمار على ذلك الوجه... ومن هنا كان انتصار الجزائر في المعركة انتصارا لفلسطين الجريحة والجنوب العربي المكافح.. انتصارا لمصر وسوريا في صراعهما التحرري.. انتصارا للقومية العربية

---

[1] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990، ج2، ص 224.

في كل مكان)اهـ[1] وكان مسئولا للشؤون الثقافية في اتحاد الطلبة، ودائم الاحتكاك بالشخصيات التاريخية، وذكر منها: (أسماء كثيرة تقريبا كل القيادات، من فرحات عباس، إلى بن يوسف بن خدة، إلى كريم بلقاسم، بلعيد عبد السلام، الأستاذ مالك بن نبي، إبراهيم مزهودي، وأوعمران، والإبراهيمي وتوفيق المدني ومحمد يزيد وعبد الحفيظ بوصوف وعبد الحميد مهري وغيرهم، حيث كنا نلتقيهم بمناسبة الأعياد وغيرها «ولنا صور مع بعضهم» وكنت أدعو بصفتي مكلفا بالنشاط الثقافي بعض الشخصيات لإلقاء محاضرات. وهكذا تواصل النشاط الطلابي في إطار جبهة التحرير بالمشرق العربي، ممثلا بفروع الرابطة ثم الإتحاد...). [2] وهذا الاحتكاك مكنه من حضور الإعلان عن الحكومة الجزائرية المؤقتة في 19 سبتمبر1958 في فندق الكونتيننتال بساحة إبراهيم باشا. [3]

وبعد انتهائه من الدراسة في القاهرة سنة 1959، اشتغل في مصالح جبهة التحرير بالقاهرة، راقنا باللغة العربية في وزارة الثقافة التي كانت وليدة العهد، كما اشتغل بالمكتبة التابعة للحكومة المؤقتة التي كانت تضم الكتب المهداة إليها.[4] واستمر في ذلك إلى سنة 1960 بسفره إلى الولايات المتحدة الامريكية، ويتواصل نشاطه هناك.

والجدير بالذكر أن الشيخ البشير الابراهيمي – وعن طريق علاقاته - كان يساعد الطلبة للالتحاق بالدراسة في القاهرة والبلاد العربية الأخرى. [5] كما كانت العراق وجهة أخرى لطلبة وادي سوف، وأبرزهم علي شكيري، الذي سجل في جامعة بغداد، ونال شهادة الليسانس في الحقوق 1956، بل كان الممثل لجبهة التحرير في بغداد 1955، أثناء مزاولته الدراسة، ولم يمنعه طلب العلم من خدمة وطنه، ومراسلة

---

[1] - أنظر: نفسه، ص ص 232-233.

[2] - أنظر: مراد وزناجي، ص ص 52-53.

[3] - أنظر: مراد وزناجي، المرجع السابق، ص ص 128.

[4] - أنظر: نفسه، ص 57.

[5] - أنظر: أبو القاسم جبالي، المرجع السابق، ص 157.

الصحف العربية في المشرق، والتعريف بالثورة التحريرية، ومكافحة الاستعمار، وبنى علاقات وطيدة بالوفد الخارجي مع أحمد بن بلة ورفاقه. [1] ومن الطلبة السوافة في جامعات العراق، البشير الشابي (الآداب)، ربيب محمد من قمار(التاريخ). كما أرسلت الجبهة بعثة أخرى إلى الكويت، ودرسوا في الثانوية والجامعة، ومنهم عبد الله بسرياني، ومبارك المصري، وإبراهيم سعد الله، وقندوز أحمد وغيرهم، والذين عايشوا الثورة بكل شؤونها. [2]

3-الكفاح في الدول الغربية:

أينما تواجد الجزائريون في بلاد المهجر، كان لهم دور في خدمة وطنهم، ودعم ثورتهم، والعمل بجد وتفان في الثورة التحريرية كمسبلين وفدائيين، وضمن التنظيم السري الذي تقتضيه الظروف في الدول الغربية ولاسيما أمريكا. ولم يمنعهم التشديد الفرنسي على الثورة من التراخي أو الخوف، بل صنعوا إنجازات مشرفة في عقر دار المستعمر، وسقط منهم الشهداء، وعرفتهم السجون والمحتشدات، وكان سجنهم وسام شرف، وعنوان وفاء لوطنهم السليب.

أ-النشاط الثوري للعمال السوافة في الأراضي الفرنسية:

كانت الهجرة من وادي سوف إلى فرنسا قديمة العهد، ترجع إلى الثلاثينيات من القرن الماضي، من أجل كسب لقمة العيش، والعمل في المصانع وورشات البناء، ووصل عددهم عام 1954 إلى 218 مهاجر فقط من العدد الإجمالي للمهاجرين السوافة 12000 مهاجر. وكان أهم مواطن استقرارهم في العاصمة باريس وضواحيها، والرون وليون، وستراسبورغ. [3]

---

[1] - أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 112.

[2] - أنظر: إبراهيم شويخ، المرجع السابق، ص 51-52.

[3] - أنظر: علي غنابزية، مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية، ص470.

ولما اندلعت الثورة، كانت الجالية الجزائرية – ولاسيما في فرنسا - في حيرة من أمرها، بسبب غياب الأخبار، وانتشار الحركة المصالية. ولكن سرعان ما تداركت القيادة ذلك الوضع، وسعت إلى هيكلتهم في جبهة التحرير بداية من 1955 تحت لواء فيدرالية جبهة التحرير، والتي قسمت التراب الفرنسي إلى مناطق للعمليات، وخلايا تنظيمية للنشاطات.[1]ونظرا لأهمية المهاجرين في الخارج، وما يحصلون عليه من مال، صاروا رافداً مهما للثورة، حتى أطلق على الفيدرالية اسم «الولاية السابعة» التاريخية. وأهم مناطق ونشاطات المهاجرين السوافة في فرنسا:

-**المناضلون في باريس:** تواجد السوافة في العاصمة الفرنسية، وأحيائها الممتدة، وخصوصا في منطقة نانتير، وكانوا في بادئ الأمر يتعاملون مع الثورة في تونس، ويتواصلون مع إخوانهم في وادي سوف الذين ينقلون لهم أخبار المتابعة العسكرية الفرنسية في وادي سوف، والتي تتربص بهم الدوائر من بعيد، مثلما فعل «بريدو» في الدبيلة، وسجل أسماءهم، وكان يسعى جاهدا للعثور عليهم والانتقام منهم. وقد نبههم المجاهد غندير عمر بن الهاشمي (البهلي) برسالة سرية، وهم الثلاثة: (عاد منصور، مزيو الطاهر، بن عون عبد القادر)، ونصحهم بعدم التفكير في العودة إلى وادي سوف لأن الموت ينتظرهم. كما أن المجاهد شنوف المولدي كشف سر أحد المبعوثين إلى باريس من قبل «بريدو» للتجسس عليهم وقتلهم، ولكنهم اكتشفوا أمره وقتله الفدائيون في باريس.[2]

ورغم الصعوبات والمخاطر المحدقة بهم، ساهم العمال في باريس في الأعمال الفدائية، وجمع التبرعات تحت إشراف المجاهد أحمد الحوري، وإرسالها بانتظام إلى

---

[1] - أنظر: جيلالي تكران، فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا دارسة في التنظيم والهيكلة 1954-1957. **مجلة الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية**، العدد 19، جانفي 2018، ص ص 183-185.

[2] - أنظر: بن عون عبد القادر، **مذكرات فدائي من الولاية السابعة 1955-1962**، دار سامي، ط2، الوادي – الجزائر، 2019، ص 24-25.

تونس إلى غاية 1957. وحينها نظم اجتماع بتدبير المجاهد علي عون موسى وبقيادة علي هارون، وتأسست أول خلية منظمة لجمع المال، وتلقت التدريب والتوجيه في منزل بالحاج الوهراني، وتحت إشراف مزوار الوهراني، وعدد أفرادها 15 عضوا،[1] وتم توزيع أفرادها كما يلي:

مسعود البسكري مسؤول الخلية، والأعضاء بن عون عبد القادر، بالقط بشير، سويد إبراهيم، عبد الحميد البسكري.

وكانت مهام المناضلين، متعددة، أهمها جمع الاشتراكات وحمل السلاح ونقله، وتنفيذ العمليات الفدائية. وتشكيل لجان للعمل، تسهر على التنظيم المحكم، وتوزيع المهام بدقة، ومنها لجنة حل المشاكل الاجتماعية للمهاجرين برئاسة مسعود قرح، ولجنة التحقيق والتأديب برئاسة بدادة عبد الله، وتعمل على حل المشاكل داخليا دون الرجوع إلى السلطات الفرنسية. وتقوم الخلية بتوزيع المنشورات، وكذلك تمزيق المنشورات المغرضة، مثل المنشور الذي علقته المخابرات الفرنسية ويدعو إلى الانفضاض عن جبهة التحرير لكونها تقوم بأعمال سيئة، وفيه العبارة التالية: (لا تعطوا اشتراكاتكم للفلاقة لأنهم يفسدون بها ويخمرون). [2]

وكانت تحركاتهم صعبة للغاية، لأن المخابرات الفرنسية تتابع خطاهم، وتم اعتقال بعضهم، ومكثوا في السجن عدداً من السنين، مثلما وقع للمناضل تواتي إبراهيم معمر، الذي حكم عليه بثمانية عشر شهرا، في عام 1959، وبقي إلى يوم وقف القتال، ورحل

---

[1] - أبرز أعضاء التنظيم في باريس: علي عون موسى، عبد القادر بن عون، حميدة العايش، حبا يوسف، عاد منصور، عبد الحميد البسكري، ومسعود البسكري، وغندير عبد القادر، الساسي كرمادي، عماري بشير الزقوني، خياري المولدي، بالقط بشير، سويد إبراهيم. أنظر: بن عون عبد القادر، المصدر السابق، ص 27-28.

[2] - أنظر: بن عون عبد القادر المصدر السابق، ص 27-44.

مباشرة إلى مطار بوفاريك في مروحية، بمعية إخوانه المناضلين ومنهم: محمد بن موسى، وعيشوش التجاني، ومحمد النان. [1]

كما شارك المناضلون من وادي سوف في مظاهرات 17 أكتوبر 1961، وخصوصا أحمد هقي بن العروسي، وبوصبيع العايش عبد الله، وعلاق مختار بن حسن.[2] وسقط منهم شهداء وهما: الشهيد بكاكرة عبد الغني من البياضة. [3] والشهيد إبراهيم قارة من قمار. [4] ووفاء من أهل قمار، خلد اسمه في المجتمع. [5]

-**المناضلون في ستراسبورغ:** وهي مدينة في شرقي فرنسا، استقطبت عدداً من عمال وادي سوف، منهم تواتي إبراهيم معمر، وزهو عبد الله من قمار، وعلي عومن موسى من الطريفاوي، وعلي عروة من كوينين وخليفة من الرقيبة، وكانت لهم خلية لجمع التبرعات. [6]

ويذكر المناضل عبد القادر بن عون، الذي هاجر لفرنسا في فيفري 1955، وبعد استقراره، اتصل به المناضل عبيد بوبكر بن صالح، وطلب منه دفع الاشتراك للثورة،

---

[1] - أنظر: تواتي إبراهيم معمر، **مذكرات مجاهد في أرض العدو**، مطبعة سخري، الواذي -الجزائر، 2013، ص 52-79.

[2] - أنظر: بن عون عبد القادر المصدر السابق، ص 93-102.

[3] - **بكاكرة عبد الغني:** ولد سنة 1940 بالبياضة بالوادي، وانضم للثورة بمدينة الوادي، عام 1956، ولكن سافر إلى فرنسا سنة 1958، والتحق مباشرة بفدرالية جبهة التحرير في باريس، وتولى المسؤولية المالية للخلية، وشارك في مظاهرات 17اكتوبر 1961، وكان في مقدمة المظاهرات حاملا لافتة تتضمن المطالب الوطنية، فاستشهد في الجسر. أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 483. أنظر: السجل الذهبي، ط 2021، ص 169.

[4] - **إبراهيم قارة:** ولد بقمار 1931، في عائلة محافظة، تمتهن الفلاحة، وتلقى تعليمه القرآني في مساجد البلدة، ونظرا لشظف العيش، هاجر إلى فرنسا، وعمل في فيدرالية جبهة التحرير، وبقي مناضلا، وشارك بقوة في مظاهرات 17 أكتوبر 1961، وفيها استشهد. أنظر: العقون التجاني، **شهداء قمار**، مطبعة سخري، ط1، الوادي، الجزائر، 2011، ص 23. السجل الذهبي، المرجع السابق، ص 169.

[5] - خلد اسمه في مؤسسة تربوية في قمار، هي متوسطة الشهيد إبراهيم قارة. مكالمة هاتفية مع الأستاذ التجاني العقون من قمار، يوم الاثنين 07 مارس 2022، على الساعة 2100 ليلا.

[6] - أنظر: تواتي إبراهيم معمر، ط 2021، ص 52-79.

ولما تيقن من قبوله التعاون مع التنظيم، كشف له عن اسم المسؤول عليهم هو المدعو بوعروة علي من كوينين، والذي رحب بانضمامه للثورة، وكلفه مباشرة بالمسؤولية الإعلامية، وإقناع العمال من حوله بالنضال الثوري، ومكث في ستراسبورغ نحو سنة، وانتقل إلى باريس في أوائل 1956، رفقة أصحابه. (1)

-**المناضلون في مارسيليا:** وهي مدينة في الجنوب الفرنسي، وبواسطة الباخرة يصلها المهاجرون بسهولة، وتواجد بها عدد من المجاهدين العمال ولاسيما في منطقة كافايو. ولم يكن لهم اتصال بالثورة فور اندلاعها، ولكنهم انتظروا حتى وصلتهم الأخبار من تونس، فاقترحوا على صاحب المنزل الذي يسكنون فيه، وهو مبارك شيبات - وكان وطنيا ومشتركا في جريدة البصائر - بجمع المال للثورة وإرساله إلى تونس. وشرعوا في العمل في أكتوبر 1956، وخصصوا لكل فرد ألف فرنك شهريا وأغلبهم من وادي سوف ومنهم مصطفى بوزغاية، وعبد الباقي حويذق من الطريفاوي، ومحمد الصغير هميسي من البياضة. ومعهم أفراد آخرون من خنشلة وبلاد القبائل والشاوية ومن وهران. واستطاعوا جمع 60 ألف فرنك في الدفعة الأولى. وكانوا يرسلونها عبر البريد إلى المجاهد مزيو مبارك في جبل الجلود بتونس، مقسمة على عدة اشخاص، كل حوالة باسم واحد حتى لا يلفتوا الانتباه. (2)

واستمر ارسال التبرعات إلى تونس حتى 1957، وانقطعت يوم تصفية جيش الطالب العربي. ولكنهم استمروا في جمع الاشتراكات، وعلموا بوجود النظام لجبهة التحرير بباريس، فاتصلوا بالسوافة هناك، (3) فارشدوهم إلى رجل ثري في نواحي

---

1 - كانت باريس مقصدا للجزائريين، والذين انتقلوا معه هم خياري المولدي، بكاري مصباح المدعو باحة، وعلي عون موسى. أنظر: بن عون عبد القادر المصدر السابق، ص ص 15-16.

2 - أنظر: طليبة بوراس، **مذكرات المجاهد طليبة الجيلاني**، مطبعة الرمال، ط1، الوادي – الجزائر، 2018، ص 26-29.

3 - اتصل المناضل طليبة الجيلاني بالمجاهد علي عون موسى في باريس في نوفمبر 1957، فدلهم على الطاهر النوبلي، والذي سلمهم عنوان المسؤول في مدينة مارسيليا. أنظر: مذكرات المجاهد طليبة الجيلاني، ص 31.

مارسيليا، أصله من مدينة مغنية يدعى عبد الله فلحي، فاتصلوا به في القرية التي يسكنها ما بين مارسيليا وآكس بروفانس، فسهل لهم أمر الاتصال بالجبهة، وبدأوا يعملون بشكل منظم في أوائل 1958. [1]

- شهداء وادي سوف في المدن الفرنسية (1955 -1961):

إن النضال السابق الذكر، لم يمض بدون تضحيات، بل ضمخت دماء السوافة أرض فرنسا، لتبقى شاهدة على ظلم الفرنسيين، ودليلا قاطعا على إصرار الجزائريين وتحديهم للآلة الأمنية، والقبضة الحديدية الفرنسية، والجهات الأمنية، والمداهمات العشوائية، والتي نسجل من خلالها عددا من الشهداء ويحتوي الجدول الموالي على بعض أسمائهم:

اسم المجاهد	تاريخ ومكان الميلاد	تاريخ الاستشهاد	مكان الاستشهاد
رزاق لبزة التجاني	1928 قمار	1955	باريس
مستور علي	1933 بالوادي	1955	نانتير بباريس[2]
غريسي علوي الجيلاني	1924 حساني عبد الكريم	28 جوان 1956	ليون
حثروبي بوبكر	1906 بحساني عبد الكريم	1957	فرنسا
شريفي محمود	1933 بالوادي	2 أفريل 1958	نانتير بباريس[3]
فرج عبد القادر	1929 بالوادي	15 أكتوبر 1959	غرفته بمدينة ليون
حنكة خليفة	1926 البياضة	15 أكتوبر 1959	غرفته بمدينة ليون

[1] - أنظر: مذكرات المجاهد طليبة الجيلاني، ص 34.

[2] - أنظر: بن عون عبد القادر المصدر السابق، ص 38.

[3] - **شريفي محمود**: الذي سافر إلى فرنسا واستقر بنانتير بضواحي باريس عام 1954، والتقى بالمجاهد علي عون موسى خلال شهر أكتوبر وعملا معا في نطاق المنظمة المدنية، وخلال عام 1957 انتمى لخلية من أفرادها خزاني عطالله وعلي قداري، وواصلوا العمل في التجنيد للثورة، وجمع المساعدات، ولكن كان آخر المطاف الاستشهاد في 2 افريل 1958.أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 742. بن عون عبد القادر المصدر السابق، ص 38.

نصبة أحمد	18 ديسمبر 1929 بقمار	22 أكتوبر 1959	فرنسا[1]
ملوكة إبراهيم	1930 الطريفاوي	17مارس 1962	نانتير ببارس [2]
بكاكرة عبد الغني	1940 بالبياضة	17 أكتوبر 1961	باريس
قارة إبراهيم	1931 قمار	17 أكتوبر 1961	باريس

جدول الشهداء السوافة في المدن الفرنسية (1955 -1961)

وهؤلاء الشهداء منهم من استشهد على يد الأمن الفرنسي، مثل رزاق لبزة التجاني.[3] أو تحت التعذيب الوحشي حتى الموت، مثلما حدث للمناضل غريسي علوي الجيلاني.[4] أو من جراء مداهمة مجهولة المصدر للبيت، كما حدث لفرج عبد القادر، [5] وصديقه حنكة خليفة.[6]. أو قتل غدرا من قبل منظمة اليد الحمراء مثلما هو حال المناضل ملوكة ابراهيم.[7]

---

[1] - **نصبة أحمد:** كان في فرنسا من المساندين لمصالي ثم انضم للثورة خلال 1956 واستمر إلى يوم استشهاده في 22 أكتوبر 1959. السجل الذهبي، ص 169. سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 1004.

[2] - **ملوكة إبراهيم:** انتقل إلى فرنسا خلال 1956، وكان نشطا في المنظمة المدنية، وقتل من قبل اليد الحمراء 17 مارس 1962.أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 979.

[3] - سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 651.

[4] - **غريسي علوي الجيلاني:** أصيل بلدة حساني عبد الكريم، والذي كان مناضلا في فرنسا، وقام بعملية فدائية بالميترو، وتم تعذيبه إلى آخر رمق في حياته، ورمي في الطريق العمومي، ثم أخذ للمستشفى ودفن بعد ذلك في 28 جوان 1956. أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 834.

[5] - **فرج عبد القادر:** هاجر إلى فرنسا في حدود عام 1957، وناضل في العمل السري للثورة، وفي 15 أكتوبر 1959 هاجمته جماعة إرهابية في بيته، فاستشهد مع زميله حنكة خليفة. مكالمة هاتفية مع نجله خزاني فرج، يوم الأحد 20 فيفري 2022، على الساعة العاشرة صباحا.

[6] - **حنكة خليفة:** ولد عام 1926 بالفطاحزة بنواحي البياضة، عاش حياته الأولى في محيط الحركة الوطنية والاصلاحية، ثم صار ضمن المجاهدين بالمنظمة المدنية في سوف، وتعرض للاعتقال والتعذيب في سجن لامبيز، ففضل الهجرة إلى تونس أولا ثم إلى فرنسا، وواصل نشاطه ضمن فيدرالية الجبهة، وعندما كان قائما يصلي أطلق عليه الرصاص من جهة مجهولة فسقط شهيدا، مع زميله فرج عبد القادر. أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 575. مكالمة هاتفية مع نجله العربي حنكة، يوم الثلاثاء 8 مارس 2022، على الساعة 20.35 ليلا.

[7] - أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 979.

-**عودة المناضلين إلى ساحة الجهاد في الجزائر:** كما أن بعض المناضلين، عملوا في فرنسا مدة، ثم عادوا إلى الجزائر، وواصلوا النضال ضمن المنظمة المدنية أو في الجبال. وممن استمروا في المنظمة السرية، نذكر المجاهد بكوش محمد الصالح الذي استقر في ستراسبورغ بفرنسا في فيفري1954، وعمره نحو 17 سنة، وناضل في فيدرالية جبهة التحرير عام 1955 مكلفا بالعمل الفدائي إلى غاية 1957، ورجع للجزائر عام 1958 ليواصل نضاله مسبلا مكلفا بجمع الأموال في وادي سوف. [1]

كذلك الشأن لدى المجاهد نيد الطاهر الذي كان عاملا في فرنسا منذ 1957، ومن الذين عايشوه بن عمر عبد القادر وبن عمر بكار أبناء دلولة، وبكوش محمد الصالح والتجاني علي، وكان يتنقل بين مدينتي ليون وباريس وقام بعدة عمليات فدائية، ولكن الثورة قررت عودته للوطن عام 1960. واصل عمله في التجارة، التي يقدم من خلالها خدمة للثورة، ولما كان متوجها إلى الجزائر في شاحنة متنقلة، نصبت له جماعة بلونيس فخا، وقبضوا عليه وانقطت أخباره منذ جويلية 1961، وصار من شهداء الجزائر[2].

أما الذين التحقوا بالكفاح المسلح في الجزائر، وخصوصا في الحدود مع تونس، ووصلوها عبر دفعات ما بين 1956-1959، انطلاقا من نانتير. وكانت الدفعة الأولى 1956، وأفرادها، من مدينة الوادي كل من: بية علي، ودركي علية، ومعهما غندير عمر من الطريفاوي. أما الدفعة الثانية عام 1957، وقائدها سودة عبد القادر، والثالثة 1958، وقائدها هبيتة عمر، والرابعة 1959، والتي قادها هبيتة مسعود الخنّاق. [3]

---

[1] - أنظر: عبد الحميد بسر، الامجاد من أبناء سوف، ص 168

[2] - **نيد الطاهر:** من مواليد 1936 بالوادي، هاجر إلى فرنسا في حدود عام 1957، وناضل في العمل السري للثورة وفي عام 1960 عاد للبلاد. مكالمة هاتفية مع شقيقه إسماعيل نيد، يوم الأحد 20 فيفري 2022، على الساعة العاشرة وخمسون دقيقة صباحا. أنظر: سعد العمامرة، قاموس الشهيد، ص 1006.

[3] - أنظر: بن عون عبد القادر المصدر السابق، ص ص 44-45.

ب- نشاطات أبو القاسم سعد الله الثورية في الولايات المتحدة الأمريكية:

لما سافر أبو القاسم سعد الله للدراسة بالولايات المتحدة الأمريكية سنة 1960، كان يعتبر دراسته جهادا ودفاعا عن بلاده، ومما كتبه في هذا المجال:

(... إن الجزائر كانت في ثورة حياة أو موت، وقد كنت أعتقد بحرارة أن أقل ما يمكن أن أخدم به الوطن في تلك اللحظات العصيبة هو أن أنجح في مشروعي..).[1]

وحينئذ واصل بعض الأعمال التي سبق ممارستها في القاهرة، بمسؤولية وإقدام: (ومنذ وصولي انضممت إلى فرع الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين وإلى منظمة الطلبة العرب بأمريكا وكندا، وإلى جمعية الطلبة الإفريقيين بمنيسوتا التي ساهمتُ في إنشائها ثم آلت إلي رئاستها. وبالتعاون مع الأخوة الجزائريين في الفرع مثلت الإتحاد في عدة مناسبات وطنية وعالمية من بينها الندوة العلمية للطلاب التي انعقدت بنيوهمشير سنة 1962 ومؤتمر الإتحاد نفسه الذي انعقد لأول مرة في الجزائر في السنة نفسها.) [2]

وكان مقر إقامته حافلا بالنشاطات التي يقيمها تعريفا بالثورة: (ولما كنت الجزائري الوحيد في حي جامعي يغص بأكثر من أربعين ألف طالب فقد عملت بالتعاون مع الطلبة العرب والإفريقيين على التعريف بالثورة الجزائرية وأهدافها. وذلك بإحياء ذكراها في كل سنة، وتوزيع المطبوعات التي كانت تصلني من مكتب جبهة التحرير الوطني بنيويورك، وجمع التبرعات للاجئين، وعرض صور الكفاح المجيد). [3] وكان للثورة دورها في دفع سعد الله للتخصص في التاريخ، والتركيز على تاريخ الجزائر، رغم تخصصه في تاريخ أوربا، ذلك « أن الثورة نفسها قد جعلت كل جزائري يكتشف

---

[1] - أنظر: أبو القاسم سعد الله، منطلقات فكرية، ص 50.

[2] - أنظر: نفسه، ص 51.

[3] - نفس الموضع

نفسه من جديد، وبالتالي يكتشف تاريخ وطنه وشعبه وحضارته، وقد كانت الثورة في حد ذاتها تصحيحا للتاريخ الوطني».[1]

-الخاتمة:

مما سبق تبين أن النضال والكفاح الذي مارسه أبناء سوف، كان خارج المنطقة بشكل كثيف، لأن الظروف الطبيعية والأمنية، حتمت عليهم العمل، واعتبروا تحرير البلاد هو الهدف الأسمى، ولا تهم الجغرافيا، ولو كانت جغرافية عربية أو غربية، ما دام ذلك يساهم في معركة التحرير. وتبين أن السوافة في خارج نطاق وادي سوف قاموا بالأعمال التالية:

-خاضوا المعارك على طول البلاد وعرضها في الولاية الأولى، والمناطق الحدودية، والقاعدة الشرقية، وحققوا نتائج هامة، وسقط منهم شهداء تعتز بهم تلك المواطن قبل موطنهم الأصلي.

-المشاركة في الأحداث السياسية والمظاهرات، ومنها أحداث الشمال القسنطيني، والتي مثلها التجار والمثقفون، وسقط عدد معتبر من الشهداء.

-الانتماء إلى الولاية السادسة بالصحراء، والمساهمة في ترحيل السلاح بداية من الأراضي التونسية، والتي اضطرتهم إلى خوض المعارك والدخول في اشتباكات، دفاعا عن القوافل التي يقودها السوافة. وبرز فيها بعض المجاهدين الذين وصلوا إلى مراكز قيادية، مثل الرائد زكرياء، والمجاهد عمار حشية. كما ارتبطوا تنظيميا مع الولاية السادسة بعد عام 1958، ودعموا الثورة بالمال والدواء والمواد التموينية، وكانت بلاد الزاب معبرا، وعرفت بأصلاء سوف الذين مجدوها بجهادهم، وساهموا في تفجير الثورة في ربوعها.

-عرفت المدن الجزائرية نشاطات أبناء سوف، ونال بعضهم الشهادة، وخلدوا في تاريخ تلك المدن في مؤسسات المجتمع وقطاعاته ومجالاته الفضائية. وإلى جانبهم خاض

---

[1] - منطلقات فكرية، ص 60.

علماء وادي سوف المتنورين، ودأبوا على التعليم والتوعية، وشحذ الهمم، والمعاناة في السجون والمعتقلات.

-النشاط الدؤوب في الدول المجاورة في تونس التي عرفت الإدارة الأولى للثورة، وعرفت بإدارة السعيد عبد الحي، ومن كان في دربه من إخوانه المجاهدين من قمار والوادي والطريفاوي، وتأسيس الخلايا في العاصمة التونسية في الجبل الأحمر وجبل الجلود، ودعموا الثورة بسخاء من أموالهم وفلذات أكبادهم. ومثلها كان الحوض المنجمي في الرديف وما جاورها من المدن المنجمية، حاضنة للثورة، ومأوى المجاهدين من جنود القائدين الشهيدين الجيلاني بن عمر، والطالب العربي قمودي. وشهدت جبال تونس والجزائر في الحدود الشرقية والجنوبية ملاحم لكفاحهم المجيد.

-مثلت البلاد العربية مجالا للنشاط الذي انخرط فيه الطلبة الجزائريون، والسوافة بالخصوص، في القاهرة والعراق والكويت. بل قام أبو القاسم سعد الله بدوره الرسالي في الولايات المتحدة، وكان يغتم المناسبات في المجتمع الأمريكي ويوصل صوت الثورة، ويشنف آذانهم بالنشيد الوطني، بأسلوب مرح، وبكل عزة وافتخار.

المصادر والمراجع المعتمدة في الدراسات

1-الوثائق الارشيفية:

A N A: D.T. S, C: 509. Rapport Annuel de l'Année 1938.

M: ch Lutaud: Exposé de la situation général des territoire du sud de l'Algérie, Année 1914,1915,1916.Alger.

A.O.M. 16H 40. Rapport Annuel de l'Annexe d'El-oued à M. G.A, L'Année 1947.

A.O.M. 9H 23. Rapport sur l'arrestation de Si Abdelaziz ben El-hachemi, chez de Zaouïa Khadirya d'El-oued, 21Avr 1938.

A.O.M10H89, Etude sur l'Activité des Oulamas dans les Territoires du Sud, Fev 1938.

A.O.M.10H89, Cap.Robert Thiriet : les populations musulmanes du Souf et leur évolution politique. 1938.

A. N. T. S:D. C: 178, D:5/15,. Rapport de Directeur des Services des Sécurité à M. Le Secrétaire Général de Gouvernement Tunisienne à Tunis, le18juillet 1941.

A.O.M. 9H Renseignement sur une Manifestation à 'El-oued,14 Avr 1938

A. N. A. S: D.T. S. C: 0870. Rapport Mensuel de (T.S) à M. Le(G. G.A), Avril 1938.

A. N. T, S:H. C: 278. D:17 Lettre de M. le Commandant de la Division d'Occupation de Tunis, à M. le Résident Générale Mai 1915.

A. N. T. S:D. C: 178. D:5/15, Rapport de Directeur des Services des Sécurité à M. Le Secrétaire Général de Gouvernement Tunisienne à Tunis, le:18juillet 1941.

2-المخطوطات:

- التليلي محمد الطاهر، من تاريخ وادي سوف (مخ).

- الياجوري عبد القادر الياجوري، بطاقة تعريفية كتبها للمهرجان الثقافي لمدينة قمار 1985. لدي نسخة منها.

- غنابزية علي، **الكفاح السياسي والعسكري للثورة التحريرية بالصحراء الجزائرية 1954ـ1962** ـ أوت 1994، (مخ).

- وثيقة " شهادة" قدمت للمسمى غندير البشير من إدارة المصالح السجنية بتونس بتاريخ 20 أوت1979. لدي نسخة منها.

3- الكتب المطبوعة:

أ-الكتب العربية:

- ازغيدي محمد لحسن، **مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956 ـ 1962**، المؤسسة الوطنية لكتاب، الجزائر، 1989.

-(ـــ، ـــ)، **شخصيات نموذجية**، منشورات الحبر، ط1، الجزائر، 2009.

- انطونيوس جورج، **يقظة العرب**، **تر**، ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، ط5، بيروت، 1978.

- اوصديق الطاهر، **ثورة 1871**، ترجمة جباح مسعود. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1989.

- بسر عبد الحميد، **الامجاد من أبناء سوف**، دار سامي، الوادي – الجزائر، 2019، ج1.

-(ـــ، ـــ)، **الحركة الكشفية الجزائرية بمنطقة وادي سوف 1947-1989**، مطبعة سامي، الوادي – الجزائر، 2022.

-(ـــ، ـــ)، **شهداء مجازر رمضان 1957 بوادي سوف**، دار سامي، الوادي – الجزائر، 2020.

-(ـــ، ـــ)، **الشهيد القائد الطالب العربي قمودي**، مطبعة مزوار، ط1، الوادي - الجزائر، 2014.

- بلعبيدي عبد العزيز، **رجال أخيار**، اصدار الجمعية الثقافية محمد العيد آل خليفة، مطبعة سيب، كوينين -الوادي، 2010.

- **بومالي أحسن، إستراتيجية الثورة الجزائرية في مرحلتها الأولى 1954 ــ 1956، منشورات** المتحف الوطني للمجاهد، طبع المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، (د ت).

- بوعزيز يحى، **ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين**، دار البعث، ط1، قسنطينة، 1980.

-(ـــ، ـــ)، **كفاح الجزائر من خلال الوثائق**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

- التميمي عبد الجليل، **بحوث ووثائق في التاريخ المغربي. الجزائر وتونس وليبيا 1816 – 1871**، ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني. تونس. ط 2.الجزائر. 1985.

- الجابري محمد الصالح، **الأدب الجزائري في تونس**، بيت الحكمة، جزءان، قرطاج، 1931، ج1.

-(ــــ،ــــ)، **رحلات جزائرية**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2001.

- حثروبي محمد الصالح، **هجرات سكان وادي سوف إلى مدينة بسكرة خلال القرن العشرين**، دار الهدي، عين مليلة – الجزائر، 2019.

- حربي محمد، **جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع**، تر: كميل قيصر داغر، دار الكلمة للنشر، ط1، بيروت، 1983.

- حليس يوسف، **الموسوعة النباتية لمنطقة سوف**، مطبعة الواليد، الوادي – الجزائر، 2007.

- حسان الجيلاني، **قصة العودة**، دار هومة، الجزائر، 2011، ج1.
- حسن حسني عبد الوهاب، **خلاصة تاريخ تونس**، الدار التونسية للنشر. ط 4، تونس، 1968.
- بن خدة بن يوسف، **نهاية حرب التحرير في الجزائر اتفاقيات ايفيان**، تعريب لحسن زغدار ومحل العين جبائلي، ومراجعة عبد الحكيم بن الشيخ الحسين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987.
- دبش إسماعيل، **السياسة العربية والمواقف الدولية تجاه الثورة الجزائرية(1954-1962)**، دار هومة، الجزائر، 2000.
- الزبير سيف الإسلام، **ثورة المقراني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- الزبيري محمد العربي، **الثورة الجزائرية في عامها الأول**، دار البعث، ط1، قسنطينة ـ الجزائر، 1984.
- الطاهر عبد الله، **الحركة الوطنية التونسية**، دار المعارف للطباعة والنشر، ط2، تونس، 1990.
- طليبة عمر أحمد، **جالية ونضال جبل الجلود 1954-1962**، مطبعة الرمال، الوادي – الجزائر، 2021،
-(ـــ، ـــ)، **جبل الجلود المغاربية**، مطبعة مزوار، ط1، الوادي – الجزائر، 2014.
- كواتي مسعود، **تاريخ الجزائر المعاصر وقائع ورؤى**، دار هومة، الجزائر، 2015.
- لوثروب ستودارد، **حاضر العالم الإسلامي**، ترجمة شكيب ارسلان، دار الفكر، ط4، بيروت، 1972، م1.
- محفوظ محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي. ط1.بيروت، 1984، ج 3.
- المدني أحمد توفيق، **حياة كفاح**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ج3.

مراد وزناجي، **حديث صريح مع أ.د. أبو القاسم سعد الله في الفكر والثقافة واللغة والتاريخ**، دار الحبر، الجزائر، 2008.

- مرتاض عبد الملك، **المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

- المرزوقي محمد، **صراع مع الحماية**، دار الكتب الشرقية، تونس، 1973.

- مطمر محمد العيد، **حامي الصحراء: احمد بن عبد الرزاق حمودة " العقيد سي الحواس**، دار الهدى، عين مليلة ـ الجزائر، (د ت).

-(ـــ، ـــ)، **العقيد محمد شعباني وجوانب من الثورة التحريرية الكبرى**، دار الهدى، ط1، عين مليلة ـ الجزائر، 1999.

-(ـــ، ـــ)، **فاتحة النار، العقيد مصطفى بن بولعيد**، دار الهدى، عين مليلة ـ الجزائر، 1990.

- مفتاح عبد الباقي ، **أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته**، دار الهدي، عين مليلة -الجزائر، 2008.

- معامير محمد الساسي، **التقويم الجزايري1345هـ/1927م**، نشر مطبعة النجاح، تونس.

- مياسي إبراهيم، **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، لجزائر، 1999.

-(ـــ، ـــ)، **المقاومة الشعبية الجزائرية**، دار مدني للنشر والطباعة، الجزائر، ب ت ط.

- العرباوي عمر، **الاعتصام بالإسلام**، مطبعة اللغتين، ط 1، الجزائر، 1982.

- العلوي محمد الطيب، **مظاهر المقاومة الجزائرية 1830- 1954**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994.

- علي عبد الحليم محمود، **جمال الدين الأفغاني**، دار عكاظ، الرياض، 1979.

- بن علي محمد الصالح، **الشيخ الحسين حمادي حياة علم وكفاح**، مطبعة سخري، الوادي -الجزائر، 2012.

- علية عثمان الطاهر، **الثورة الجزائرية أمجاد وبطولات**، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، طباعة المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، 1996.

العمامرة سعد، عون علي، **معارك وحوادث حرب التحرير بمنطقة وادي سوف**، المؤسسة الوطنية للكتّاب، الجزائر، 1988.

- العمامرة سعد، العوامر الجيلاني، **شهداء الحرب التحريرية بوادي سوف**، مطبعة النخلة، الجزائر، ب ت ط.

العمامرة سعد، **قاموس الشهيد لمنطقة سوف ولاية الوادي**، دار هومة، الجزائر، 2014.

- عمر الديراوي:**الحرب العالمية الأولى**، دار العلم للملايين، ط6، بيروت، 1979.

- العقون التجاني، **شهداء قمار**، مطبعة سخري، ط1، الوادي، الجزائر، 2011.

- عقيب محمد السعيد، **دراسات في تاريخ وادي سوف**، مطبعة سامي، ط1، الوادي – الجزائر، 2016.

- العسلي بسام، **الاستعمار الفرنسي في مواجهة الثورة الجزائرية**، دار النفائس، ط 1، بيروت، 1984.

- عوادي عبد القادر بن مصباح، **الثورة التحريرية المباركة، إرادة الرجال وصبر الجمال في معارك الصحراء**، دار سامي للطباعة والنشر، الوادي – الجزائر، 2020.

- عوادي عمار، **الحركة الوطنية والنشاط الثوري بوادي سوف 1918-1957**، مطبعة سخري، ط1، الوادي - الجزائر، 2011.

-(ـــ، ـــ)، **كتابات ووثائق من تاريخ وادي سوف**، دار هومة، الجزائر، 2011.

-(ـــ، ـــ)، **الهجرة من وادي سوف وأثرها على حياة السكان 1954-1962**، دار هومة، الجزائر، 2013.

- العوامر إبراهيم، **الصروف في تاريخ الصحراء وسوف**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1977.

- غنابزية علي، **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية**، دار هومة، الجزائر، 2017.

-(ـــ، ـــ)، **مساهمات علماء وادي سوف في النهضة العلمية والحركة الصحفية الوطنية 1900-1986**، مطبعة مزوار، ط1، الوادي - الجزائر، 2014.

- فضلاء محمد الحسن، **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، دار هومة، الجزائر، 2000، 3أجزاء.

- قادري عبد الحميد ابراهيم: **التعريف بوادي ريغ**، منشورات جمعية الوفاء للشهيد بتقرت، الآمال للطباعة والنشر، الوادي - الجزائر، 1999.

- قدع محمد العيد، **الشيخ الحسين حمادي دوره الاجتماعي ونشاطه العلمي بتونس ووادي سوف 1902-1982**، مطبعة ذويب، الوادي -الجزائر، 2013.

- قليل عمار: **ملحمة الجزائر الجديدة**، دار البعث، ط1، 3 أجزاء، قسنطينة، 1991.

- قندل جمال، **خطا موريس وشال على الحدود الجزائرية التونسية وتأثيراتهما على الثورة الجزائرية 1957-1962**، دار الضياء، ط1، الجزائر، فيفري 2006.

- قسيبة رشيد، **القائد حمه لخضر ودوره في الثورة التحريرية**، مطبعة الرمال، الوادي - الجزائر، 2019.

- **السجل الذهبي لشهداء ولاية الوادي 1954-1962**، كتاب مديرية المجاهدين لولاية الوادي، جويلية 2005.

- **السجل الذهبي لشهداء الحرب التحريرية بولاية الوادي 1954-1963**، إعداد مديرية المجاهدين وذوي الحقوق بولاية الوادي، منشورات الجمعية التاريخية أول نوفمبر 1954 بولاية الوادي، مطبعة سامي، الوادي - الجزائر، 2021.

- أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1990، ج3.

-(ــــ، ـــ)، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1990، ج2.

-(ــــ، ـــ)، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت 1998، ج 5.

-(ــــ، ـــ)، **الحركة الوطنية الجزائرية**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992، ج1.

-(ــــ، ـــ)، **الحركة الوطنية الجزائرية**، دار الغرب الاسلامي، ط4، بيروت، 1992، ج2.

-(ــــ، ـــ)، **محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1982.

- الشريف محمد الهادي، **تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال**، دار سراس للنشر، تونس، 1980.

-(ــــ، ـــ)، **تاريخ تونس**، ترجمة محمد الشاوش- محمدعجينة، دار سراس للنشر، تونس، 2001.

-عمار هلال، **أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة 1930-1962**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

- يحي جلال، **المغرب الكبير**، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج 3.

ب-الكتب الفرنسية:

-Ait Ahmed Hocine:**Mémoires d'un combattant, L'esprit d'indépendance, 1942-1952,** Alger: ed, Bouchene, 1990..

-Ben Khedda Benyoucef: **Les Origines du 1er Novembre 1954** , éditions Dahleb, Alger, 1989, pp 131-132.

-El-hachemi Trodi: **Larbi ben M'hidi L'homme des grands rendez-vous**- ed ENAC. Alger.1991.

-Madaci Mohamed Larbi: **Les Tamiseurs de Sable Aures – Nemamcha 1954 -1959** , ANEP ,Alger ,2008,.

--Selami Souad: **Touggourt Esquisse Historique** ,Les imprimeries du sud ,Ouargla, 1998.

Rinn Luis – **Histoire de l'insurrection de 1871 en Algerie** – Alger. 1891

voisin André: **le Souf Monographie** , El oued: El walid, 2004.

4-المذكرات الشخصية والشهادات الحية:

أ-المذكرات الشخصية:

- بودوح السبتي، **مذكرات 1955-1962**، مطبعة عمار قرفي باتنة ـ الجزائر، 2002.

- بلول العربي، **شاهد على ثورة التحرير**، من إصدارات دار الثقافة محمد الأمين العمودي بالوادي، مطبعة مزوار، ط1، الوادي – الجزائر، 2010.

- بوغزالة حمد الهادي، **شاهد من الثورة**، حاوره طليبة بوراس، تق علي غنابزية، منشورات ملحقة متحف المجاهد بولاية الوادي، مطبعة سخري، الوادي -الجزائر، 2012.

- جبالي أبو القاسم، **مذكرات حياتي**، مطبعة نوميديا، قسنطينة -الجزائر، 2012.

- الحاج لخضر: **قبسات من ثورة نوفمبر 1954 كما عايشها**، كتابة الطاهر حليس، دار الشهاب، باتنة (ب ت).

- تواتي إبراهيم معمر، **مذكرات مجاهد في أرض العدو**، مطبعة سخري، الواذي - الجزائر، 2013.

- حمتين مبروك، **شاهد من الثورة**، حاوره طليبة بوراس، تقديم محمد السعيد عقيب، منشورات ملحقة متحف المجاهد بالوادي، مطبعة سخري، الوادي – الجزائر، ب ت ط.

- حشية عمار، **الحركة الثورية في وادي سوف**، دار سامي، الواذي-الجزائر، 2021.

-(ـــ، ـــ)، **في الأطلس الصحراوي**، دار افريقيا للنشر والتوزيع، مطبعة دركي، الوادي – الجزائر، 2001.

- خالدي بلقاسم، **شاهد من الثورة**، تقديم طليبة بوراس، مطبعة سامي، الوادي – الجزائر، 2021.

- بشير خلف، **حياتي في دائرة الضوء**، دار سامي للطباعة والنشر، ط1، الوادي – الجزائر، 2021.

- خيرالدين محمد، **مذكرات**، المؤسسة الوطنية للكتّاب، الجزائر، ب ت ط، ج 1-2.

- داسي أحفوظة، **مذكرات**، شرح وتعليق، عمار عوادي، محمد كشو، مطبعة سخري، الوادي – الجزائر، 2008.

- دقاشي الصادق، **صفحات خالدة من جهاد لأجل استقلال الجزائر**، تصدير عاشوري قمعون، ، دار سامي، الوادي – الجزائر، 2021.

- الزنقي بالقاسم، **حقائق من تاريخ ثورة التحرير**، مطبعة سخري، ط1، الوادي-الجزائر، 2014.

- طليبة الجيلاني، **شاهد من الثورة**، حاوره طليبة بوراس، تق موسى بن موسى، مطبعة الرمال، ط1، الوادي – الجزائر، 2018.

- مصباحي مصباح، **مذكرات - غربة في عقر الدار**، تصدير عاشوري قمعون، مطبعة سامي، الوادي -الجزائر، 2021.

- ناوي محمد، **مذكرات المجاهد الرائد**، حاوره حفناوي قصير، مطبعة منصور، الوادي – الجزائر، 2015.

- نصير محمد الصالح، **مذكرات مسيرة الخوف والأمل**، مراجعة عبد الحميد بسر، مطبعة سامي، الوادي – الجزائر، 2021.

- معتوقي إبراهيم، **شاهد من الثورة**، حاوره طليبة بوراس، تقديم علي غنابزية، منشورات ملحقة متحف المجاهد بالوادي، مطبعة منصور، الوادي – الجزائر، 2015.

- بن علي مسعود، **مسيرتي خلال مرحلتي التحرير والبناء**، تصدير عاشوري قمعون، مطبعة سامي، ط1، الوادي – الجزائر، 2021.

- العقون عبد الرحمن، **الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر**، الجزائر:3 أجزاء، المؤسسة لوطنية للكتاب، 1986، ج3.

- بن عون عبد القادر، **مذكرات فدائي من الولاية السابعة 1955-1962**، تقديم سبوعي فتحي، دار سامي، ط2، الوادي – الجزائر، 2019.

- بن عون عبد القادر، **مذكرات فدائي من الولاية السابعة 1955-1962**، تنظيم عمر طليبة، محمد العيد حرة، دار سامي، ط2، الوادي – الجزائر، 2019.

- سعدي بن الحاج عثمان، **مذكرات الرائد**، دار الأمة، ط1، الجزائر، 2000.

ب- الشهادات الحية:

- شهادة المجاهد إبراهيم النجعي والمجاهد إبراهيم الساكر والمجاهد محمد الناوي في الندوة الولائية في الذكرى الخمسون لمجازر رمضان 1957، المنظمة في متحف المجاهد بالوادي، يوم السبت 28 أفريل 2007، على الساعة التاسعة والنصف صباحا.

- شهادة شفوية مسجلة، أدلى بها المجاهد وادة علي بن الضيف للأستاذ بوراس طليبة مدير متحف المجاهد بالوادي. وتوجد مسجلة بمتحف المجاهد بالوادي.

- شهادة المجاهد البشير بوغزالة يوم 27 أفريل 1995 في الذكرى 38 **لشهداء مجازر رمضان 1957 بالوادي**، والتي نظمت من طرف الجمعية الوطنية الثقافية محمد الأمين العمودي، والأمانة الولائية للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء بالوادي، بدار الثقافة بالوادي.

5- الرسائل الجامعية:

- غنابزية علي، ‹‹ **مجتمع** وادي سوف من خلال الوثائق المحلية في القرن 13ه/19م››، **رسالة ماجستير**، تحت إشراف الدكتور عمر بن خروف، قسم التاريخ، جامعة الجزائر،.2001.

-(ـــ، ـــ)، ‹‹ **مجتمع وادي سوف من الاحتلال الفرنسي إلى بداية الثورة التحريرية 1882-1954**››، رسالة دكتوراه، قدمت بجامعة الجزائر، 2009.

- موسى بن موسى: **الحركة الإصلاحية بوادي سوف نشأتها وتطورها 1900-1939، رسالة ماجستير**، تحت إشراف د/ أحمد صاري، جامعة قسنطينة، نوقشت في 15 فيفري 2006.

- شويخ إبراهيم، ‹‹ الرحلات العلمية وأثرها في الحياة الثقافية بمنطقة وادي سوف 1931-1969 ››، مذكرة لنيل **شهادة الماستر** في التاريخ، تحت اشراف أ.د. علي غنابزية، جامعة الوادي 2017-2018.

- صباح هارون وآخرون، مجازر أفريل 1957م/ رمضان 1376هـ بوادي سوف وانعكاساتها على المنطقة، **مذكرة ليسانس** في التاريخ، إشراف الدكتور على غنابزية، المركز الجامعي بالوادي، 2009-2010.

C L.Bataillon: **le souf étude de géographie humaine,** Diplôme d'études Supérieures de Université

6- المقالات في الصحف والمجلات:

- ج ايفر: " الأغـواط"، **دائرة المعارف الإسلامية،** دار الشروق، القاهرة، 1933، المجلد الثالث.

- بن باديس عبد الحميد، « حول كارثة سوف الأليمة، ثم سكوت »، **البصائر،** العدد 121، يوم 8 جويلية 1938.

-(ــــ، ــــ)، « حول مساجين العلماء، هل في سجن الكدية ما يذكرنا بالباستيل؟ ». **البصائر،** العدد 178، 11أوت 1939.

-(ــــ، ــــ)، « ماذا في الجنوب؟ أنديجينا جديدة بعد مائة سنة وثمان سنوات »، **البصائر،** عدد (13ماي 1938).

-(ــــ، ــــ)، « ماذا في سوف؟ بعد الاعتقال الضغط والاضطهاد »، **البصائر،** ، 6 ماي 1938.

-(ــــ، ــــ)، « الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي والإصلاح »، **البصائر،** العدد123، 1938/7/22.

- بوصبيع علي، « محمد بلحاج الرجل الذي مكن ثورة التحرير من أول دفعة سلاح»، **جريدة الشعب،** العدد 13919، 23مارس 2006.

- جيلالي تكران، « فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا دارسة في التنظيم والهيكلة 1954-1957»، **مجلة الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية،** العدد 19، جانفي 2018.

- زغب أحمد، « صدى الحركة الاصلاحية بوادي سوف»، **مجلة القباب،** دار الثقافة بالوادي، العدد 01، جوان 2004.

- موسى سليمان، « المنشور الأول للثورة العربية الكبرى وتوزيعه في شمال افريقيا »، **المجلة التاريخية المغربية،** العدد 87، تونس، جانفي 1977.

- مياسي إبراهيم، « جهاد الشيخ عبد العزيز الشريف »، **مجلة لثقافة،** الجزائر، العدد 109، 1995.

- عباس محمد، « من رواد الحركة الثورية بالوادي»، **الشروق اليومي،** الجزائر، العدد 671، 13/1/ 2003.

-(ـــ، ـــ)، « مع الطاهر بن عيشة. شاهد.. على نكبة السوافة»، **جريدة الشروق** العربي، العدد 665، الجزائر، الاثنين 6 جانفي 2003.

- **غنابزية علي،** « الدور الاستراتيجي لوادي سوف في تجميع السلاح للثورة التحريرية»، **مجلة البحوث والدراسات،** المركز الجامعي بالوادي، العدد التاسع، يناير2010.

-(ـــ، ـــ)، « جمعية العلماء المسلمين بوادي سوف، نشاط فكري وسياسي وتجاوب واسع»، **جريدة الشعب،** الإثنين 27 جويلية 1998.

-(ـــ، ـــ)، « معركة حاسي خليفة 17 نوفمبر 1954 بوادي سوف أول معارك الثورة التحريرية»، **مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية،** بجامعة الوادي، العدد 02، أوت 2015.

-(ـــ، ـــ)، « الشيخ عبد القادر الياجوري المصلح المجاهد»، **جريدة النبأ،** العدد 222، 25 سبتمبر إلى 01 أكتوبر 1995.

-(ـــ، ـــ)، النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بوادي سوف 1931-1938 ، مجلة القباب، الصادرة عن دار الثقافة بالوادي، العدد الأول، جوان 2004.

-(ـــ، ـــ)، المنظمة الخاصة بوادي سوف، مجلة القباب، الصادرة عن دار الثقافة بالوادي، العدد 8، ديسمبر 2014.

- سعد الله أبو القاسم، « سليمان الباروني أضواء وملاحظات »، **مجلة الثقافة،** الجزائر، العددان 110-111، سبتمبر- ديسمبر، 1995.

- هلال عمار، « الشيخ عبد العزيز بن محمد الهاشمي»، **مجلة الثقافة**، الجزائر، العدد 95، 1986.

- محمد الخضر حسين، **مجلة السعادة العظمى،** العدد 20/19، في 16 شوال 1322هـ/23 ديسمبر 1904. والعدد 21 في غرة ذي القعدة 1322هـ/ 7جانفي 1905، تح، علي الرضا الحسني.

جريدة المجاهد، العدد 27، الجزائر، 22 جويلية 1958.

7-المحاضرات في الملتقيات:

- بوكوشة حمزة، « الشيخ الهاشمي الشريف وانتفاضة وادي سوف سنة 1918»، **محاضرة مكتوبة على الستانسيل**، ألقيت بثانوية علي ملاح بورقلة بمناسبة الموسم الثقافي أفريل 1987.

- بوعزيز يحي، « تهريب الأسلحة عبر الحدود للمقاومة الجزائرية لمحاربة جيش الاحتلال»، **محاضرة مخطوطة**، قدمت في الملتقى الوطني الأول حول قوافل التسليح لثورة أول نوفمبر، 1954 بالوادي من 19 – 20 مارس 1999.

-(ـــ، ـــ)، « ثورة ابن ناصر بن شهرة 1850 – 1875 » في كتاب بعنوان: **من أبطال المقاومة الشعبية بالجنوب**، مدونة الملتقى الوطني الثالث للمقاومة الشعبية للاحتلال الفرنسي بالجنوب. الاغواط 23 إلى 25 ماي 1998. وزارة المجاهدين. ولاية الاغواط.

- جراية الحبيب، « نبذة تاريخية بقلم المجاهد حبيب جراية»، **محاضرة مخطوطة**، قدمت بندوة مشتركة بين الجمعية الوطنية الثقافية محمد الأمين العمودي، والمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء بالوادي، حول تاريخ الثورة بالمنطقة في شهر نوفمبر 1994.

- دبابي الحاج محمد الصغير، « حقائق من تاريخ بني جلاب بوادي ريغ»، مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جلاب بوادي ريغ، 1998. الجمعية التاريخية الوفاء للشهيد بتقرت، الآمال للطباعة الوادي- الجزائر، 1999.

- بن نعمية عبد المجيد « مواقف شيوخ بني جلاب في تقرت من الاحتلال الفرنسي 1830 - 1854 » مدونة الملتقى التاريخي الثالث لفترة حكم بني جلاب بمنطقة وادي ريغ. (1998).

- عزوي محمد الطاهر، « الإعداد السياسي والعسكري للثورة في الأوراس أول نوفمبر 1954م - 1374هـ»، **مدونة مصطفى بن بولعيد والثورة الجزائرية.**

-(ـــ، ـــ)، « شهرة معارك الجرف في السنة الثانية للثورة الجزائرية »، في مدونة بعنوان **معالم بارزة في ثورة أول نوفمبر 1951م في الملتقى الأول بباتنة 1989،** منشورات جمعية أول نوفمبر لتخليد مآثر الثورة في الاوراس (باتنة)، مطبعة عمار قرفي، باتنة-الجزائر، 1992.

- عون علي موسى، « التصفية القاعدية للنظام بوادي سوف 4 رمضان 1957»، محاضرة القيت بمناسبة **الندوة الفكرية السادسة للجمعية الثقافية محمد الأمين العمودي** أيام 30-29 أفريل، 1 ماي 1993، قاعة البلدية للمحاضرات، الوادي-الجزائر، توجد ضمن مدونة الملتقى المرقونة.

-(ـــ، ـــ)، « مساهمة وادي سوف في تفجير ثورة التحرير بالسلاح والعتاد والرجال»، محاضرة قدمت بدار الثقافة بالوادي يوم 1992/5/1. توجد ضمن **مدونة محاضرات الندوة الفكرية الخامسة محمد الأمين العمودي**، ماي 1992.

8-اللقاءات الشخصية والحوارات:

- لقاء مع المجاهد عبد القادر العمودي بدار الثقافة بالوادي يومي 6، 7، 8 سبتمبر 1997.

-لقاءات مع أحمد خراز ببيته بحي المصاعبة بمدينة الوادي، جويلية 1995. ماي 1996. يوم 14سبتمبر1997. 02اكتوبر1998. يوم الجمعة 03جوان2005.

-لقاء مع السيد عبد الكريم شتحونة بالوادي 2007/09/25.

-لقاء مع السيد محمد باي ببيته بالمصاعبة بالوادي يوم 03مارس 1995.

- لقاء مع الشيخ عثمان مجور في بيته بالمصاعبة يوم عيد الفطر 3 مارس 1995.

- لقاء مع خالتي زينة غنابزية ببيتها بحي الجدلية بالوادي يوم الخميس 17 فيفري 2022 مساء.

- لقاء عابر مع المجاهد إبراهيم النجعي، يوم الأربعاء 16 مارس 2022 في سوبيرات بن ساسي على الساعة 9.40 صباحا.

- حوار في جريدة الشعب، مع عبد القادر العمودي، أجراه بوصبيع العايش علي، العدد09، 2 نوفمبر 1997.

- حوار مع عبد القادر العمودي (أحد المؤسسين) في الوادي يوم 6 سبتمبر 1997.

-حوار مسجل في شريط سمعي مع الشيخ حمزة بوكوشة بمدينة الوادي من طرف علي عون أبو موسى يوم 25 أوت 1984، وكان الشيخ حمزة بوكوشة شاهد عيان لذلك التحذير.

9-المراسلات والمكالمات:

- رسالة التاجر المناضل أحمد ميلودي إلى بعض إخوانه بتاريخ 6 جوان 1950. لدي نسخة منها.

- رسالة لي شخصيا من الشيخ حمزة بوكوشة من الجزائر يوم 12/01/ 1994.

- نسخة من الرسالة عليها ختم الزاوية القادرية بالرويسات، وهي منشورة ضمن كتاب رسالة الطريقة القادرية.

- مكالمة هاتفية مع الأستاذ إسماعيل نيد من الوادي، حول شقيقه الشهيد الطاهر نيد، يوم الأحد 20 فيفري 2022، على الساعة العاشرة وخمسون دقيقة صباحا.

- مكالمة هاتفية مع الأستاذ خزاني فرج من الوادي، نجل الشهيد عبد القادر فرج، يوم الأحد 20 فيفري 2022، على الساعة العاشرة صباحا.

- مكالمة هاتفية مع الأستاذ التجاني العقون من قمار، حول الشهيد إبراهيم قارة، يوم الإثنين 07 مارس 2022، على الساعة 2100 ليلا.

- مكالمة هاتفية مع الأستاذ العربي حنكة من الرباح، نجل الشهيد عبد القادر جنكة، يوم الثلاثاء 8 مارس 2022، على الساعة 20.35 ليلا.

10-المواقع الإلكترونية:

- منتدى وادي العرب الجزائري، تم الاطلاع يوم 2012/07/04. موقع يومية البلاد، الجزائر. تم الاطلاع يوم 2022/02/06، الساعة 10.30 ليلا. الرابط: https://www.elbilad.net/derniere-info

فهرس الموضوعات

هذا الكتاب...

يحتوي على مجموعة من الفصول التاريخية والدراسات العلمية، جمعت من حقول عديدة، مما كتبته في مدة ثلاثة عقود. وبدأت في هذه السلسلة - بهذا الكتاب الأول – ويخص الجانب السياسي والعسكري، انطلاقا من الحركة الوطنية وانتهاء بالثورة التحريرية، في إقليم وادي سوف العريق خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، ونشاط المجتمع في مقاومة الأساليب الاستعمارية، والمخططات الفرنسية. عندما قام - الفرد السوفي - بتلك الأعمال الجليلة، التي لم تثنه عن ركوب الصعاب، ولم تفل في عضده عن تحمل المشاق، وكما صارع الرمال العاتية، والرياح العاصفة، واجه المستعمر الغاشم بكل قوة وشجاعة، واستمات في الدفاع عن مقومات شخصيته، وجاهد بصدق من أجل تحرير وطنه.

لقد استوعبت هذه الفصول البحثية والدراسات التاريخية، طرفي المعادلة السياسية والعسكرية، فطرحت فيها العديد من القضايا والأفكار، التي شع نورها وتجلى في البعد الوطني والعمق الاستراتيجي لوادي سوف في منطقة المغرب العربي.

ISBN:978-9931-273-04-2
9 789931 273042

سامي
للطباعة والنشر والتوزيع